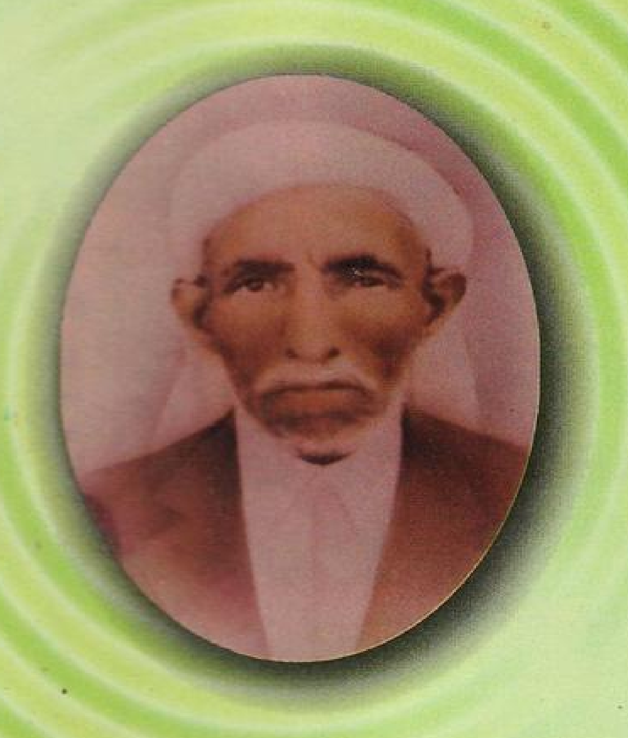


الشيخ الحسين حمادي

حياة علم وكفاح



الأستاذ: بن علي محمد الصالح

من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي

من علماء سوف في القرن العشرين

الشيخ الحسين حمادي
حياة علم وكفاح

الأستاذ: بن علي محمد الصالح

من إصدارات دار الثقافة

لولاية الوادي

الشيخ الحسين حمادي
المؤلف : بن علي محمد الصالح

رقم الإيداع القانوني: 3255- 2012
ردمك: 978-9931-360-33-9

الطبعة الأولى
2012-1433
الطباعة



حي المنظر الجميل - الوادي
هاتف: 50 66 21 032
فاكس: 26 77 21 032
Email: impsakhri@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ الأحقاف15

الإهداء

أهدي هذا العمل

المتواضع إلى:

روح معلمي الأول

الشيخ الحسين حمادي

وإلى والديّ الكريمين

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل لكل من:

- الأستاذ محمد حامدي مدير دار الثقافة لولاية الوادي.
- المجاهد الأمين حمادي نجل الشيخ الحسين.
- الإمام الطاهر حميداتو تلميذ الشيخ الحسين.
- الأستاذ عبد القادر مرزوقي تلميذ الشيخ الحسين.
- الدكتور محمد نجيب العمامي أستاذ محاضر في الأدب العربي الحديث والنقد الأدبي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سوسة، تونس

على ما قدموه لهذا الكتاب

تصدير

الشيخ الحسين حمادي من الشخصيات التي لفتت انتباهي منذ أمد بعيد، وكان اسمه كلما مرّ على مسمعي يثير لديّ شهوة البحث والتعمق لمعرفة أدق التفاصيل حول جهوده ونشاطه المتنوع، وإن لم تتوفر لي جميع المعطيات لأنال شرف الكتابة حول شخصيته، إلا أن القدر ساق لي من المعلومات ما جعلني أزداد تعلقا بهذا الرجل، وكبُر احترامي وتقديري له عندما اطلعت على ما قام به في الجانب التعليمي ونعني بذلك التعليم القرآني والديني عموما، والنهضة التي قادها لتنوير الصدور وتحرير العقول في زمن حاصر فيه المستعمر كل تعليم يهدف إلى الحفاظ على مقومات الأمة الجزائرية وطمس هويتها، وفي ظل غياب كلي لمؤسسات تعليمية رسمية أو موازية غيّبها المحتل عمدا أو تماطل في إنجازها لكي لا تتاح فرص التعلم ونشر العلم لإدراكه أن العلم والعلماء هم الطليعة والقيادة التي تقود الناس لرفض الاستبداد والتسلط والتبعية.

وعندما كان الشيخ الحسين من زمرة هؤلاء العلماء كان نصيبه من السياسة الاستعمارية النفي إلى تونس سنة 1957 لوقف مسيرته التنويرية والحد من نشاطه النضالي ودعمه المطلق للثورة التحريرية.

إن مثل هؤلاء الرجال قد حفروا لأنفسهم أثرا بارزا على صفائح التاريخ لا يمكن أن يمحى بتغافلنا على ما قدموا، لكن من واجبنا أن نحافظ على هذا الأثر، وأن نثمّن الجهد، وأن نوصله إلى الأجيال القادمة بشتى الوسائل والطرق.

ومن هذا المنطلق وكما دأبت دار الثقافة لولاية الوادي على المساهمة الدائمة في الحفاظ على الموروث الأدبي والثقافي عامة، والتعريف بمساهمات رجال "سوف" في شكل إصدارات

"علماء سوف في القرن العشرين"، يأتي هذا الإصدار لعلم من أعلام المنطقة وهو "الشيخ الحسين حمادي" الموسوم بعنوان:

الشيخ الحسين حمادي حياة علم وكفاح

للكاتب والمؤلف: بن علي محمد الصالح، الذي سبق وأن أصدرت له دار الثقافة لولاية الوادي ثلاثة كتب حول الأدب الشعبي، ولا يفوتني في هذا المقام إلا أن أثمّن جهوده الرامية إلى إثراء المكتبة المحلية والوطنية.

والله الموفق لما فيه الخير

محمد حامدي
مدير دار الثقافة لولاية الوادي
03 جوان 2012

مقدمة

ترددت كثيرا في إنجاز هذا العمل، ومردّ ذلك إلى عدة أسباب:

- أوّلها طبيعة العمل الذي سأقوم به، فهو عمل معقد يتطلب جهدا ضخما وبحثا معمقا ووقتا طويلا، أن نستمع لكل من عرف الشيخ الحسين أو درّسه أو جالسه أو سمع عنه، وقد يكون هذا ميسورا إذا تعلق الأمر بالفترة التي عاشها ببلدة "النخلة"، والعكس من ذلك حين نريد الحديث عن نشاطه بتونس في فترة شبابه، ثم فترة نفيه من طرف السلطات الفرنسية سنة 1957 إلى غاية استقلال الجزائر سنة 1962.

- وثانيها طبيعة الشخصية التي يتناولها هذا العمل، فقلما حظيت شخصية بالاحترام الذي حظي به الشيخ الحسين حمادي في بلدة "النخلة" وخارجها، وبحجم هذا الاحترام كبرت المسؤولية، ووجب مضاعفة الجهد حتى نفي الرجل حقه، وليس من السهل أن نلم في بحثنا هذا بحياة رجل قضى أكثر من سبعين سنة في العلم والكفاح، بين التعليم القرآني والإمامة والوعظ والإرشاد والإفتاء ومحاربة الأمية والجهل، ومناهضة المستعمر.

- وثالثهما هل أملك من الكفاءة ما يؤهلني لأتحدث على أهل العلم؟ وهل أملك كل التفاصيل التي تجعلني أقدم عملا مستوفيا حول الشيخ الحسين حمادي كما يتمنى من درسوا على يده وعاصروه وأحبّوه؟.

وبعد جمع كم هائل من الوثائق، ورصيد من المعلومات، جاءت مرحلة الاستماع إلى أصدقاء الشيخ الحسين وبعض طلبته ومن عايشوه عن قرب، ومن يرجى منهم الإفادة في الموضوع، فكان يرتسم على وجوههم جميعا نفس السؤال ونفس

الأمر، أما السؤال فهو: لماذا تسألون عن الشيخ الحسين الآن وقد مرت على وفاته أكثر من ربع قرن؟.

أما الأمر فهو: هيّا انفضوا الغبار على شخصية الشيخ الحسين رحمه الله!.

ولم يكن هذا المطلب من أقرباء الشيخ وأصدقائه وجيرانه فقط بل هو مطلب كل من يعرفه وسمع عنه، بل فيهم من يلح بفعل شيء فوري للتعريف بالشيخ الحسين وأعماله وإنجازاته، وراح بعض المثقفين والباحثين إلى أبعد من ذلك حين تسمع منهم في بعض المحافل الثقافية والعلمية والندوات الفكرية التي تقام بولاية الوادي وبصيغة سؤال شديد اللهجة: ماذا فعلتم أهل "النخلة" للشيخ الحسين حتى نعرف عنه ما يجب أن يُعرف؟.

ومن هنا زال التردد بعدما ظهر التقصير جليا، وأتخذ القرار بجمع المادة في هذا الكتاب المعنون:

الشيخ الحسين حمادي حياة علم وكفاح.

فأما الجزء الأول من العنوان (حياة علم) فقد قضى الرجل جُلّ حياته بين التعلم والتعليم، وأما الجزء الثاني (حياة كفاح) فقد كافح الجهل والأمية والعادات المنحرفة والخرافات، كما كافح الاستعمار بعلمه وبنضاله الذي أقلق فرنسا وأربكها فلم تجد بُدًّا من نفيه إلى تونس طيلة سنوات اشتعال الثورة التحريرية.

وقد جاء هذا الكتاب في عدة فصول، أوّلها الفصل التمهيدي الذي تناول الظروف العامة لزمن الشيخ الحسين في شتى جوانب الحياة، خاصة الجانب التعليمي والثقافي، أما الفصل الأول فتضمن مراحل حياته وتعليمه ورحلاته بين زوايا

العلم وجامع الزيتونة، ثم الشيخ الحسين المعلم والمربي فقد تضمنه الفصل الثاني بمراحله الأربع إضافة إلى أخلاقه ومناقبه، ليأتي الفصل الثالث مركزا على الوظائف المختلفة للشيخ الحسين، فهو الإمام والواعظ والمفتي والقاضي والشاعر والفلاح.

أما الفصل الرابع فقد تعرضنا فيه إلى نشاط الشيخ الحسين ومواقفه من الحركة الإصلاحية والوطنية والثورة التحريرية وملاحقة السلطات الاستعمارية له قبل أن تقرر نفيه إلى تونس، ثم أضفنا فصلا خامسا يتسم بالتنوع لأنه أشبه بالملاحق، لكن أهمية ما جاء فيه رأينا أن يكون على شكل فصل مستقل تناول المساندة الشعبية والتعاطف الكبير مع الشيخ الحسين حين نفيه وكيف صوّر الشعر الشعبي هذه الحادثة، وحادثتي المرض والوفاة.

ومهما اجتهدنا فإننا لا نعطي لهذا الرجل حقه، ولا نفيه قدره، ولا يمكن أن نحيط بكل تفاصيل أعماله الجليلة ومناقبه الفضيلة وجهوده العلمية والنضالية.

والأكيد أنّ هذا العمل وإن حمل بعض النقائص فهو لبنة ضمن لبنات تأسيس ثقافة التأريخ وتوثيق جهود الرجال ومناقبهم لضمان توصيلها من السلف إلى الخلف.

بن علي محمد الصالح
النخلة في: 29 ماي 2012



فصل تمهيدي

- كلمة لابد منها.
- الشيخ الحسين حمادي شخصية موهوبة في زمن صعب.
- الناحية السياسية.
- الناحية الاقتصادية والاجتماعية
- الناحية الدينية
- الناحية التعليمية و الثقافية
- النشاط التعليمي بوادي سوف، رجال نذروا أنفسهم للعلم

كلمة لابد منها

ما قدمه الشيخ الحسين حمادي رحمه الله هو عمل خالص لله سبحانه وتعالى ولم يكن ينتظر عليه الجزاء من لدن أحد، ولم يكن يبحث عن شهرة تجعل منه نجما بمفهومنا المعاصر، ولا على جاه يتبوأ به موقعا بارزا في المجتمع، ولا على سلطة فوقية، يصبح بها الآمر الناهي والمطاع المهاب الجانب، ولا على سمعة تملأ الأفواه والمسامع.

والحكمة تقول: "الأفعال أعلى صوتا من الأقوال" ولذلك فالعظماء تنطق أعمالهم وتتكلم نيابة عنهم مآثرهم، ويأبى العلم الذي خدموه إلا أن يخلدهم بين الناس أحياء وأمواتا:

مَا الفخرُ إلاَّ لأهلِ العلمِ إنّهمُ ... عَلى الْهُدى لمنْ استهْدَى أدلاّءُ

وقدْرُ كلّ امرئٍ ما كان يُحسنهُ ... والْجاهلونَ لأهلِ العلمِ أعداءُ

فَفُزْ بِعِلْمٍ تَعِشْ حَيًّا بِهِ أَبَدًا ... النَّاسُ مَوتَى وأهلُ العلمِ أَحيَاءُ[1]

وإذا كان التراث الإنساني ينقسم إلى قسمين، تراث مادي يبقى شاهدا على الأسلاف بقدر بقائه وصموده، فإن القسم الثاني ونقصد به التراث الشفهي أي ما يتواتر الناس مشافهة بعيدا عن التدوين، فصموده مرتبط بعمر رَاويه، وإن نُقل من جيل إلى جيل فالأكيد سينتابه شيء من التحوير وشيء من الضياع، فيتناقص شيئا فشيئا ولن يحمل الحقيقة كاملة كالجيل الذي عاصرها.

ومن هذا المنطلق وبعد أكثر من ربع قرن على وفاة الشيخ الحسين حمادي بقي تاريخه حبيس الصدور والأدراج،

---

[1] الإمام علي كرم الله وجهه.

تتناقله الرواية أحيانا بالعاطفة، وأحيانا بالذاتية، وأحيانا بشيء من الخطأ، ولعل هذا العمل أتى ليصحح ما أمكن تصحيحه وتسجيل ما أمكن تسجيله، وقد ولد - أي هذا العمل - بعدة دوافع واعتبارات منها:

الواجب والحق

المنطق الإنساني يقول: من أدّى واجبه كاملا يجب أن ينال حقه، وحق هذا الرجل أن تشهد له الأجيال على أدائه لهذا الواجب، وأن ينال حقه من التعريف كشخصية قدمت لله وللوطن والمجتمع والإنسانية.

الاعتراف بالفضل لأهل الفضل

من الأخلاق الحسنة أن نرد الجميل إلى أهله، ونعترف بفضل كل صاحب فضل، ونقدم الشكر لمن يستحقه، "التحدث بنعمة الله شكر و تركها كفر و من لا يشكر القليل لا يشكر الكثير و من لا يشكر النّاس لا يشكر الله.."[1]، وأهل العلم أهل فضل، والمجتمع الذي يعترف بالفضل لأهل الفضل هو مجتمع فاضل.

حق الأجيال

من حق الأجيال أن تطلع على ما قام به الأسلاف للإقتداء أولا وللدراسة والاستفادة من إنجازاتهم ثانيا، وكما يقال التاريخ ليس ملكا لأحد، والمسؤولية مسؤولية الجميع عندما يتعلق الأمر بالاستمرارية والتواصل بين الأجيال، ولنتصور بعد 50 سنة ماذا سيعرف التلميذ الذي يدرس بـ "متوسطة الشيخ الحسين بالنخلة" عن الشيخ الحسين؟ إن لم نضمن له ملفا تاريخيا شافيا وافيا حول العَلَم الذي سميت به مؤسسته.

---

[1] حديث حسن، تحقيق الألباني، يلاحظ صحيح الجامع حديث رقم: 3014.

والتلميذ لا يلام فهو كالصفحة البيضاء نكتب عليها ما نشاء، وأنه شغوف بالإطلاع خاصة إذا تعلق الأمر بمحيطه الذي يلامسه، فهل أقيمت لهذا التلميذ أيام إعلامية أو ندوات فكرية أو معلقات تعريفية أو حفلات تكريمية أو مسابقات ثقافية حول شخصية الشيخ الحسين ولم يُقبل عليها؟.

ولذلك فجمع وتسجيل وتوثيق كل ما يتعلق بالشيخ الحسين حمادي وأمثاله أصبح حتمية تاريخية، تربوية، إنسانية، دينية، واجتماعية.

ولكي نضع القارئ في الصورة هناك عدة مبادرات في هذا الشأن تستحق الإشادة والتنويه سنذكرها في الصفحات الأخيرة من هذا الكتاب.

تثمين جهود الغير

إن تثمين جهود الغير هو تحفيز للآخرين على تقديم الأفضل، وضمان للاستمرارية التاريخية لجهودهم وأعمالهم، وتطوير لإبداعاتهم وتنمية لطموحاتهم والزيادة في مساهماتهم لعلمهم المسبق أن كل ما يقومون به سيلقى الاهتمام والرعاية والتثمين حاضرا ومستقبلا.

مجهودات الأعلام إضافة للتراث الوطني والإنساني

إن أولى مقومات التراث عموما هو مد رقعة العلم والمعرفة بمختلف جوانبها وأدواتها ووسائلها ومناهجها ووفق خصوصية كل أمة، ولا يتأتى ذلك إلا بجهود وسواعد أعلام تلك الأمة، وما جدوى الجانب الثقافي في أي حضارة إنسانية إن لم يحفظ ويوثق إنجازات ومآثر العلماء العاملين الذين قدموا لوطنهم وللإنسانية جمعاء، ويزداد الأمر أهمية في الحضارة الإسلامية إذا تعلق الأمر بعَلمٍ خدم القرآن الكريم وعاش حياة لله

وللوطن مثل الشيخ الحسين حمادي، ولذلك لا يحق لنا أن نترك مثل هؤلاء الأعلام في طي النسيان، فمجهوداتهم إضافة للتراث الوطني والإنساني.

الشيخ الحسين حمادي شخصية موهوبة في زمن صعب

من الضروري جدا أن نتعرف على الحقبة التاريخية التي عاش بها الشيخ الحسين حمادي، والأحداث التي واكبها في شتى نواحي الحياة، والتي حتما قد انعكست على تكوينه وتحصيله وتركيب شخصيته.

الناحية السياسية

ولد الشيخ الحسين حمادي سنة 1900م، أي بعد سبعون سنة من دخول المستعمر إلى الجزائر، وبعد 18 سنة من احتلاله لمنطقة وادي سوف، وهي الفترة التي أحكمت فرنسا فيها قبضتها على الجزائر، وكان فيها الجنوب الجزائري يخضع إلى الحكم العسكري المباشر، وقوانين التجنيد الإجباري (1912م) سارية المفعول، ليشهد بعد ذلك وهو في عز شبابه عدة أحداث سياسية نذكر منها:

- اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914 - 1918م.
- على المستوى المحلي وقعت الانتفاضة الشعبية بوادي سوف "هدّة عميش الأولى" بتاريخ 15 نوفمبر 1918م، والتي قادها الشيخ "الهاشمي الشريف"[1] لمواجهة تسلط المستعمر و"القيّاد" ورفض الضرائب التي أرهقت السكان.

---

[1] الشيخ الهاشمي الشريف: ولد الشيخ الهاشمي بنفطة بالجريد التونسي خلال سنة 1853م من أم سوفية من عميش، وأبوه هو إبراهيم بن محمد بن عطية الشريف مؤسس الزاوية القادرية بنفطة، حفظ القرآن الكريم وتعلم أصول الفقه بتونس، قدم إلى وادي سوف في حدود سنة 1886م بأمر من والده واستقر بقرية البياضة حيث يقيم أخواله القرافين وانشأ بها الزاوية المعروفة إلى اليوم، توفي الشيخ الهاشمي يوم 23 سبتمبر 1923م.

- شهد ميلاد وبدايات الحركة الوطنية الجزائرية وتأسيس بعض الأحزاب كنجم شمال إفريقيا 1926، وحزب الشعب في 11 مارس 1937، والذي نصبت له أول خلية بالوادي سنة 1942[1] برئاسة المناضل "أحمد ميلودي"[2].
- التحاق الشيخ الحسين بجامع الزيتونة سنة 1350هـ الموافق لسنة 1931م، حيث كان النشاط التوعوي والسياسي كثيفا من طرف اتحادات الطلبة والجمعيات الطلابية، وتنظيمات طلبة المهجر، وبروز شبه حركات وطنية تحررية.
- تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 05 ماي 1931، ونصبت أول خلية لها بوادي سوف في مارس 1937 برئاسة "لخضر شبرو"[3] وبدعم من الشيخ "عبد العزيز الشريف" الذي تبنى كل أفكار الجمعية وتبرع لها بمبالغ مالية.
- اندلاع الانتفاضة الشعبية الثانية بسوف "هدّة عميش الثانية" من 13 إلى 18 أفريل 1938، بقيادة الشيخ "عبد

---

[1] المجاهد علي عون عضو الأمانة الولائية للمجاهدين مكلف بالإعلام والتاريخ، محاضرة: مساهمة وادي سوف في تفجير الثورة، ألقيت في إطار أشغال الندوة الفكرية الخامسة محمد الأمين العمودي أيام: 29 و 30 أفريل و1 و 2 ماي 1992، بدار الثقافة بالوادي.

[2] أحمد ميلودي: مناضل سياسي انخرط مبكرا في الحركة الوطنية، وهو أول من أسس خلية لحزب الشعب بالوادي، كما كان من المؤسسين لفوج الرمال الكشفي بالوادي سنة 1947، ومن الذين جلبوا السلاح تحضيرا للثورة حيث أحضر محمد بلوزداد الأموال اللازمة لذلك وسلمها لمحمد عصامي مسؤول الحزب في بسكرة وكلف هذا الأخير أحمد ميلودي ومحمد بلحاج بالذهاب إلى ليبيا لشراء السلاح في رحلة على الجمال دامت 20 يوما وتمكنا من النجاح وعادا إلى الوادي وخزنا السلاح لدى المناضل عدوكة بلقاسم.

[3] لخضر شبرو: ولد سنة 1887 بحي الأعشاش بالوادي، حفظ القرآن الكريم، حصل على الشهادة الابتدائية سنة 1909 بالوادي، ثم التحق بالمدرسة الفرنسية الإسلامية بقسنطينة التي تشرف على تكوين القضاة ورجال المحاكم الشرعية، عين قاضيا بورقلة، عين صالح، المنيعة، وقمار، توفي في جانفي 1962.

العزيز الشريف"[1] وكانت أهم مطالبه تحسين الظروف الاجتماعية، ورفع التضييق على التعليم بالمدارس والزوايا.

- اندلاع الحرب العالمية الثانية 1939 - 1945م.
- شهد أحداث 08 ماي 1945م وما نتج عنها من قتل وتشريد ودمار وفضح لحقيقة نوايا فرنسا تجاه الجزائريين، وقد كانت بداية التحول من المقاومة السياسية إلى المقاومة المسلحة وتبلور فكرة التحضير الجدي للثورة.
- 15 و16 فيفري سنة 1947 مؤتمر حزب الشعب الجزائري "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية" يعقد مؤتمره ويقرر إنشاء المنظمة العسكرية السرية "المنظمة الخاصة" التي كانت نواة جيش التحرير الوطني، والمناضل "أحمد ميلودي" يؤسس خلية للحزب بالوادي رفقة "البشير ميهي" المدعو "محمد بلحاج"[2].
- المناضل "البشير ميهي" المدعو "محمد بلحاج" يزور الشيخ الحسين بالنخلة، ابتداء من سنة 1948.

---

[1] عبد العزيز الشريف: ولد سنة 1898 م بالبياضة حفظ القرآن الكريم ثم التحق بجامع الزيتونة سنة 1913 وبعد تحصله على شهادة التطويع عاد إلى البياضة سنة 1923 وتولى مشيخة الزاوية بجميع ملحقاتها، لكنه سرعان ما طلب الإعفاء من المشيخة ليتحول إلى الإصلاح ، حيث قدم في المؤتمر السنوي العام لجمعية العلماء سنة1937 على أنه عضو من أعضاء الجمعية، واستغل الزاوية في الإصلاح و ندد بأعمال الاستعمار علنا في عدة مواقف خاصة أحداث أفريل 1938 (هذة عميش الثانية) والتي نفي على إثرها إلى تونس، وبقي هناك إلى أن توفي سنة1965.

[2] محمد بلحاج هو اسمه الحربي، أما اسمه الحقيقي فهو البشير ميهي، ولد خلال سنة 1919 بالوادي، انضم إلى الحركة الوطنية منذ سنة 1942 في بدايتها الأولى بالوادي فكان ضمن الاجتماع الذي تأسست من خلاله أول خلية تنظيمية لحزب الشعب بالمنطقة وفي سنة 1947 قام مع ميلودي أحمد ومجموعة من المناضلين بتأسيس حركة أنصار الحريات الديمقراطية بالمنطقة ونظرا لنشاطه السياسي تم اعتقاله سنة 1948 رفقة مجموعة من المناضلين إثر انتصار الحركة الوطنية في الانتخابات والتي تم إلغاء نتائجها، وكان أول من اشترى الأسلحة للثورة أواخر سنة 1947 وكان يرسلها إلى مدينة بسكرة.

- في الفاتح من نوفمبر 1954 اندلاع الثورة التحريرية المسلحة التي كانت التحول الجذري في مسار القضية الجزائرية مع المستعمر، ولسان حالها لا بديل عن الاستقلال كما ورد في بيانها الأول.
- الشيخ الحسين حمادي يساند الثورة ويعمل لإنجاحها من خلال قيادة خلية التنظيم المدني لجبهة التحرير الوطني منذ اندلاعها إلى صيف 1957.
- 19 جوان 1957 السلطات الفرنسية تنفي الشيخ الحسين حمادي إلى تونس، وتُبقيه في منفاه إلى غاية استقلال الجزائر في 05 جويلية 1962.

والأكيد أن الشيخ الحسين لم يكن بمعزل عن هذه الأحداث السياسية، والتي من دون شك قد كان لها الأثر البالغ في تركيب شخصيته خاصة أحداث ما بعد سنة 1940 عندما استقر بـ "النخلة" وعايشها عن قرب، وحتى قبل هذا التاريخ، أي عندما كان طالبا بزوايا الجنوب التونسي ثم بالزيتونة كان على إطلاع تام بما يحدث من خلال نشاط الطلبة الجزائريين بتونس والنشريات الدورية التي تصل الهيئات الطلابية، والأخبار اليومية العادية.

الناحية الاقتصادية والاجتماعية

منذ وطئت أقدام المستعمر أرض الجزائر عمل على تدمير كل مقومات الحياة الكريمة "سياسة التفقير والتجهيل" وبعدة أساليب يطول الحديث فيها.

أما على المستوى المحلي فكانت وادي سوف تعتمد على الرعي بالبادية والحل والترحال، وفلاحة تقليدية تقوم على غراسة النخيل وبعض الخضروات التي لا تفي بحاجة زارعيها.

وإضافة إلى تضييق المستعمر على المواطنين وغلق طرق وأساليب الكسب وفرض الضرائب المرهقة، فقد ألمت بالمنطقة عدة كوارث ومجاعات، ولعل أهمها ما لحق العالم من مآسي جراء الحرب العالمية الأولى، ثم الأزمة الاقتصادية سنة 1926، والتي عرفت عند شيوخنا بـ "عام الخزناجي" حيث عمت المجاعة ولم يجد الناس لا الأكل ولا المال فاقترضوا من الخزينة مقابل غلة النخيل، التي تمثل المورد الغذائي والمالي الوحيد، ثم جاءت أزمة الحرب العالمية الثانية وما تبعها من ويلات، فسمي عام 1945 "عام الحلبة، وعام المرض" فلا غذاء غير الحلبة، ولا شفاء مع الأمراض المنتشرة انتشارا رهيبا، حتى أن من العائلات من أبيدت عن آخرها، ثم "عام الريح وعام الزمّة" سنة 1947، و"عام مطر الملح" سنة 1951، ثم "عام الشهيلية" وهو نفسه "عام لعقفاية"[1] سنة 1952، ثم "عام الصيش"[2] سنة 1957، وكل هذه الأزمات والمستوى المعاشي البائس أدى بالكثير من شباب ورجال المنطقة إلى الهجرة إلى الشمال طلبا للشغل وإلى الجنوب التونسي للعمل بمناجم الفحم والفوسفات.

هذا فضلا على أن الشيخ الحسين حمادي ولد وعاش في أحضان أسرة ليس لها من الموارد المالية ما يسد حاجتها، حيث كان والده "علي بن حمادي" معلم قرآن وإمام متطوع بمسجد حي النخلة الشرقية.

---

[1] لعقفاية: نبتة رعوية صحراوية.

[2] الصيش: وهو التمر الرديء الذي ينتج عن فساد عملية تلقيح طلع النخيل.

فهل هذه الظروف تسمح بفرص مريحة للتعليم والتعلم؟، وهل ألم الجوع يسمح لنور العقل أن يضيء دروب الحياة؟، بل إن سبيل العلم آنذاك ضرب من الخيال، والسعي وراءه جهاد عظيم، وتحصيله صبر ومقاتلة!

الناحية الدينية

عندما دخلت فرنسا إلى الجزائر ورغم تصريحاتها المطمئنة تجاه الدين الإسلامي وممارسة الشعائر، إلا أن الأفعال تكذب الأقوال، فها هو سكرتير الحاكم الفرنسي في الجزائر يصرح سنة 1832: "إن آخر أيام الإسلام قد دنت وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح، ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا، فلا يمكننا أن نشك على أي حال بأنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد"[1].

أما الكاردينال "لافيجيري"[2] فيذهب إلى أبعد من ذلك حين يقول: "علينا أن نخلص هذا الشعب ـ الجزائري ـ ونحرره من قرآنه، وعلينا أن نعنى على الأقل بالأطفال لتنشئتهم على مبادئ غير التي شبّ عليها أجدادهم، فإن واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل أو طردهم إلى أقاصي الصحراء بعيدين عن العالم المتحضر"[3].

وقد تجسدت هذه الأقوال في محاربة الدين الإسلامي وتحويل بعض المساجد إلى كنائس، وجعل اللغة العربية والإسلام تحت المراقبة، والتضييق على التعليم الديني وممارسة

---

[1] د. تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1975 ص: 107.

[2] هو شارل أنطوان مارسيل لافيجيري ، ولد في 31 أكتوبر 1825، في عام 1876 عين مطرانا على أسقفية الجزائر، كان يحلم أن يرى الجزائر المسيحية، توفي في 26 نوفمبر 1892 بالجزائر.

[3] الشيخ عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص: 252،ج 4، ديوان المطبوعات الجامعية، سنة 1994.

الشعائر واعتبار ذلك سياسة وخروج عن القوانين وتمرد على النظام، ويؤكد ذلك الشيخ "البشير الإبراهيمي": "وتُسمي - أي السلطات الاستعمارية - كل ما نقول ونعمل سياسة، حتى قراءة القرآن وتأدية الصلاة والصوم والحج.."[1].

أما على المستوى المحلي كانت "وادي سوف" تئن تحت وطأة الحكم العسكري، وفرض خناق محكم على التعليم العربي والديني، ولربما جاءت زيارة الشيخ "عبد الحميد بن باديس" إلى "وادي سوف" سنة 1937م رفقة وفد من العلماء وهم "محمد خير الدين"[2]، "العربي التبسي"[3]، "مبارك الميلي"[4]، و"حمزة بوكوشة"[5]، للإطلاع عن قرب على وضع التعليم ورفع معنويات المدرسين ودعم المدارس القرآنية، وبالفعل كان لهذه الزيارة أثر بالغ في المنطقة من الناحية السياسية والدينية.

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1971، ص: 274.

[2] محمد خير الدين: ولد في شهر ديسمبر 1902 بفرفار ولاية بسكرة، أسندت له مهام أمين المال بجمعية العلماء المسلمين، كما كان له نشاط ديني مكثف، ونشاط ثوري وسياسي تمثل في تمثيله لجبهة التحرير الوطني بالمغرب، وفي سنة 1958 عين عضوا في أول مجلس للثورة الجزائرية.

[3] العربي التبسي: ولد بقرية السطح سنة 1891 بتبسة، تلقى تعليمه الأول بزاوية نفطة بتونس، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة و منه إلى مصر لمواصلة دراسته حيث نال شهادة العالمية من الأزهر، وبعد عودته اشتغل بالتدريس في الغرب الجزائري بمدينة سيق، ثم عاد إلى تبسة و أنشأ مدرسة حرة، ترأس الشيخ التبسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد سفر البشير الإبراهيمي إلى المشرق العربي، مما جعله عرضة لمضايقات السلطة الاستعمارية التي عملت كلَ ما في وسعها لإسكات صوته و لما فشلت قامت باختطافه بداية سنة 1957 واغتياله بعد ذلك في ظروف غامضة ولا يزال قبره مجهولا لحدَ الآن.

[4] مبارك الميلي: اسمه مبارك محمد بن مبارك المعروف بالميلي ولد بتاريخ 26 ماي 1898م .تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه ثم انتقل إلى تونس لمواصلة دراسته بجامع الزيتونة ومنه تحصّل على شهادة التطويع، بعد عودته إلى الجزائر سنة 1922 اشتغل بالتدريس وكتابة المقالات الصحفية، وتقديم دروس الوعظ والإرشاد، كان عضوا بمكتب جمعية العلماء، ترك كتابا قيما بعنوان: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ورسالة الشرك ومظاهره، توفي يوم 09 فيفري 1945.

[5] حمزة بوكوشة: واسمه الحقيقي حمزة شنوف ولد سنة 1909 بالوادي، درس بالزيتونة ونال شهادة التطويع سنة 1930، عمل بالتدريس وإدارة مجموعة من مدارس جمعية العلماء، كتب في العديد من الصحف قبل الاستقلال وبعده، توفي يوم 16 نوفمبر 1994.

لكن لم يمنع ذلك من الانفجار الشعبي "الانتفاضة الشعبية بسوف" وتسمى أيضا "هدّة عميش الثانية" التي قادها الشيخ "عبد العزيز الشريف" وكان من أبرز مطالبها رفع التضييق على التعليم بالمدارس الحرة والزوايا، وقد دامت هذه الانتفاضة لمدة ستة أيام، وانتهت يوم 18 أفريل 1938 باعتقال الشيخ "عبد العزيز الشريف" رفقة الشيخ "عبد القادر الياجوري"[1] و"علي بن سعد القماري"[2] و"عبد الكامل النجعي"[3]، وسجنهم بسجن الكدية بقسنطينة[4].

وقد سبقت هذه الأحداث رفض السلطات الفرنسية السماح للشيخ "الفضيل الورتلاني"[5] بزيارة الوادي، باعتباره شخصية دينية تشكل خطرا على فرنسا وتوسع من مساحة التذمر الشعبي الناتج عن الممارسات الاستعمارية تجاه الدين واللغة والتعليم،

---

[1] الشيخ عبد القادر الياجوري: ولد سنة 1912 بمدينة قمار، درس بالزيتونة وتخرج منها سنة 1934، تولى التدريس بمدارس جمعية العلماء، وأستاذا بمعهد الشيخ عبد الحميد بن باديس، أعتقل عدة مرات من طرف السلطات الاستعمارية ، عمل أستاذا بالثانوية بعد الاستقلال إلى غاية تقاعده سنة 1977، نال وسام المقاوم من طرف وزارة المجاهدين، وشهادة تقدير من طرف رئيس الدولة، توفي رحمه الله يوم 12 أوت 1991.

[2] علي بن سعد: ولد سنة 1908 بقمار، التحق بالزيتونة وتخرج منها سنة 1932، عمل مدرسا بمدارس جمعية العلماء المسلمين، أصدر جريدة الليالي الإصلاحية بالجزائر العاصمة سنة 1936، اعتقلته السلطات الفرنسية، امتهن بعد الاستقلال التدريس بالثانوية إلى غاية وفاته رحمه الله سنة 1974.

[3] عبد الكامل النجعي: عبد الكامل بن عبد الله النجعي ولد في الربع الأخير من القرن التاسع عشر للميلاد دخل مدرسة الأهالي بالوادي، وفي العقد الثاني من القرن العشرين للميلاد التحق بمناجم الونزة قصد العمل، ليعود في العشرينات من نفس القرن إلى الوادي ويشتغل بالتجارة، كان دكانه بمثابة مقر لمكتب جمعية العلماء المسلمين بالوادي.

[4] جريدة البصائر وبقلم الشيخ عبد الحميد بن باديس تكتب مقالا مهما حول انتفاضة سوف الشعبية (هدة عميش الثانية) السنة 03، العدد 121 بتاريخ 1938/07/08، كما كتبت البصائر في عددها 178 بتاريخ 1939/08/11 مقالا آخر تحت عنوان: سجناء الوادي، وتقصد السجناء الأربعة: الشيخ عبد العزيز الشريف، عبد القادر الياجوري، علي بن سعد القماري، وعبد الكامل النجعي.

[5] الفضيل الورتلاني: هو إبراهيم بن مصطفى الجزائري المسمى الفضيل الورتلاني ولد سنة 1906م في بلدة بني ورتلان بولاية سطيف، درس على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس، كانت له رحلات علمية ودعوية مكثفة، شارك في تأسيس العديد من الجمعيات بالجزائر والوطن العربي، توفي سنة 1959 بأنقرة، وقد سبق وأن أوصى أن يدفن في الجزائر.

وتدعم الحركات الاحتجاجية المتوالية بالمنطقة في هذا الشأن، لكن الشيخ "الفضيل الورتلاني" لم يأبه بالأوامر الفرنسية وزار المنطقة في شهر جانفي 1938[1].

وعندما اندلعت الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954، اعتبرت السلطات الاستعمارية كل تعليم قرآني ووعظ ديني هو دعم للثورة وتمرد عن السلطة، وخير دليل على ذلك ما قيل لـ "كرنبوا"[2]: "لا يمكن أن تنهي الدعم الشعبي للثورة إلا إذا قضيت على الزيتونيين"[3]، وفعلها "كرنبوا" حيث عزم على إعدام الشيخ الحسين حمادي لولا تدخل بعض مستشاريه، وتحويل الإعدام إلى نفي للأراضي التونسية، وكان ذلك لتفادي الانفجار الشعبي وامتصاص حالة الغضب المتولدة عن اعتقال الشيخ الحسين، فحق لنا أن نقول أن الثورة ثورتان، ثورة الجبال وثورة شيوخ العلم، وأن الجهاد جهادان، جهاد البندقية وجهاد القلم، وتعي السلطات الاستعمارية أن القلم أشدّ وطأ وتأثيرا من السيف، والأكيد أنهم يستندون إلى ما قاله "نابليون بونابرت": "عماد القوة في الدنيا اثنان: السيف والقلم، أما السيف فإلى حين، وأما القلم فإلى كل حين، والسيف مع الأيام مكروه ومغلوب والقلم مع الأيام غالب ومحبوب".

الناحية التعليمية و الثقافية

إن أول عمل قام به المحتل الفرنسي هو شن الحرب على العلم والتعلم، حتى لا يتسنى للأجيال أخذ نصيبها من التعليم،

---

[1] مفكرة نهاية القرن العشرين، المطبعة العصرية، 2000/1999، صفحة 31 جانفي.

[2] كرنبوا: وينطق لدى العامة كرنبا، وهو Pierre Corne Bois رئيس وقائد مركز لاصاص بالرباح، أي المصالح الإدارية المختصة (SAS) أي:
LES SECTIONS ADMINISTRATIVES SPECIALISEES

[3] لقاء مع الأمين حمادي نجل الشيخ الحسين حمادي بتاريخ: 31 مارس 2006.

ولضمان وجود جيل يتفشى فيه الجهل والأمية، جيل ضعيف الشخصية لا تشده الروابط المتينة بالقيم والوطن، والدليل أنه بعد أكثر من مائة سنة على احتلال الجزائر أي سنة 1944 عدد الأطفال الجزائريين الذين كانوا في سن الدراسة 1250000، ولم تتح فرصة التعليم الابتدائي إلا لـ 11000، أما سنة 1954 فكان عدد الأطفال الجزائريين ما بين 04 و 14 سنة هو 2070000، تحصل منهم 307100 طفل على فرصة بالتعليم الابتدائي[1].

على المستوى المحلي فتحت "مدرسة الأهالي بالوادي" أبوابها لاستقبال أول فوج من التلاميذ في الموسم الدراسي 1886- 1887، بثمانية تلاميذ جلهم يشتغل أولياؤهم في الإدارة الفرنسية، ووصل عددهم بعد أربع سنين في الموسم الدراسي 1889- 1890 إلى اثني عشر تلميذا فقط[2]، مع العلم أن التعليم الفرنسي لم يتجاوز المرحلة الابتدائية، لأن أول قسم للتعليم المتوسط كان سنة 1953، وتخرجت أول دفعة في هذا النمط من التعليم سنة 1956، أما التعليم الثانوي فإلى غاية الاستقلال لم تبن السلطات الفرنسية ثانوية واحدة بـ"وادي سوف" إن لم نقل في كامل الجنوب الجزائري.

في بلدة "النخلة" مسقط رأس الشيخ الحسين بنيت أول مدرسة نظامية بحجرتين فقط في إطار مشاريع الجنرال ديغول سنة 1959، واستقبلت التلاميذ في الموسم الدراسي 1961/1960 تحت اسم:

---

[1] زغيدي محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 1989، ص: 32.

[2] الأستاذ علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر (هـ)، التاسع عشر (م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر 2001/2000، ص: 155

Ecole Primaire de Garçons - Nakhla

أي المدرسة الابتدائية للفتيان - النخلة، وقد التحق بها آنذاك خمسون تلميذا من جميع أحياء بلدية النخلة الحالية إضافة إلى تلاميذ بلدتي العقلة والعقيلة، وتكونت هيئة التدريس فيها من معلمين فرنسيين هما: **Vert Jean** وزوجته **Vert Suzanne**[1].

ولم يتحمس الجزائريون كثيرا للتعليم بالمدارس الفرنسية في المدن الكبرى، ناهيك عن القرى مثل قرية "النخلة" ويعتبرون ذلك تعاملا مع المحتل وتزكية له، ويذهب البعض إلى أبعد من ذلك حين يطلقون عليها "قراية الكفار" أو "قراية الرّومي".

والخلاصة أن السلطات الاستعمارية تأخرت كثيرا في فتح المدارس بالمنطقة، وعندما فتحتها لم توفر القدر الكافي من الحجرات، ولم تنته عند هذا الحد من التقصير بل كما سبق ذكره حاربت التعليم العربي الحر والتعليم القرآني وضيقت من مساحته، كما أن الشعب الجزائري لم يثق فيما يقدمه المستعمر من برامج تعليمية قوامها اللغة الفرنسية، والسؤال الكبير: كيف وأين يتعلم الناس إبان الاستعمار الفرنسي وقبله؟، وللإجابة على هذا السؤال نستعرض النشاط التعليمي بـ"وادي سوف"

النشاط التعليمي بوادي سوف

رجال نذروا أنفسهم للعلم

كانت "وادي سوف" حاضرة علمية قبل دخول المحتل إليها فكل مساجدها كانت مدارس لتحفيظ القرآن الكريم، ومبادئ اللغة والفقه وبقيت على هذا الحال بعد احتلالها، وقد عبرت الكاتبة الفرنسية "سيللي ميللي" عن ذلك بقولها: "وليس غريبا

---

[1] Registre Matricule des élèves admis a l' Ecole / Année Scolaire: 1960/1961

أن تجد واحدا من عشرة يحفظ القرآن كله، بينما في باقي أفريقيا الشمالية فإن هذه المعرفة خاصة بالطلبة وبعض الخواص بنسبة 1000/1"[1].

ويعود ذلك إلى الجهود الكبيرة التي بذلها الشيوخ والعلماء بالمدارس القرآنية والمدارس الأهلية التي تؤسس هنا وهناك بمنطقة "وادي سوف"، وعلى يد العلماء الذين تطوعوا لتحضير الطلبة في مختلف العلوم لإرسالهم في بعثات طلابية إلى مدارس ومعاهد جمعية العلماء عندما وُجِدت أو زوايا العلم بالجنوب التونسي مثل "زاوية سيدي إبراهيم" بنفطة، وزاوية "مصطفى بن عزوز" في نفطة أيضا، وزاوية "سيدي المولدي" بتوزر، وجامع الزيتونة وغيرها.

ولم يقتصر دور هذه المدارس على التعليم القرآني، بل تعدته إلى تعليم القراءة والكتابة ومحو الأمية، وتعليم كبار السن، وتقديم دروس الوعظ والإرشاد، وتقويم الأخلاق، وبث الوعي ومناهضة الاستعمار، ثم أصبحت عند انطلاق الثورة مراكز للتعبئة والتجنيد، أما المشرفون عليها فقد تعددت مهامهم فهم قضاة، ومصلحون، ومراجع للفتوى، وأئمة للمساجد، ومعلمون...

ومن أهم المدارس الأهلية والقرآنية التي تأسست بالمساجد وخارجها نذكر:

- مدرسة محمد القروي بن علي بحي الأعشاش بمدينة الوادي سنة 1890.
- مدرسة الشيخ الإمام الشريف بالرباح سنة 1896.

---

[1] الأستاذ علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر (هـ)، التاسع عشر (م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر 2001/2000، ص: 149

- مدرسة الشيخ الهاشمي الشريف بالوادي سنة 1896.
- مدرسة الشيخ الهاشمي الشريف بالبياضة سنة 1907.
- مدرسة النجاح بقمار سنة 1925.
- مدرسة التربية لجمعية العلماء "مدرسة دودي" بحي المصاعبة بالوادي سنة 1940.
- مدرسة الشيخ الحسين حمادي القرآنية بالنخلة سنة 1940[1].
- مدرسة إبراهيم كلكامي بالزقم حوالي سنة 1943.
- مدرسة مصباح حويذق بالطريفاوي حوالي سنة 1943.
- مدرسة جامع القرافين بالبياضة حوالي سنة 1944.
- مدرسة الشيخ الصادق بالي بالفطاحزة سنة 1944.
- مدرسة عون الله بلقاسم بسيدي عون حوالي سنة 1945.
- مدرسة الشيخ الهاشمي حساني بحي أولاد أحمد بالوادي سنة 1946[2].

ومن خلال هذا العدد المذكور من المدارس يظهر جليا أن أهل "سوف" وغيرهم من الجزائريين لم ينتظروا السلطات الاستعمارية لتهديهم العلم على طبق من ذهب، أو لتتركهم ينيرون دروب الناس وتثني على مجهوداتهم وتقيم لهم حفلات التكريم.

وعندما نعود ونتحدث عن الشيخ الحسين حمادي باعتباره من الشخصيات العلمية والدينية المؤثرة، فإنه من الضروري أن نشير إلى أنه سبق له العمل بالتدريس قبل سنة 1940 وهي السنة التي أسس فيها المدرسة القرآنية ببلدة

---

[1] وهي امتداد لجهود والده الطالب علي بن حمادي.

[2] محاضرات الندوة الفكرية 11 محمد الأمين العمودي، المنعقدة بالوادي أيام: 15 إلى 17 أفريل 1998، وبعض الوثائق التي تحصلنا عليها في إطار التحضير لتكريم الشيخ الحسين حمادي من طرف ولاية الوادي بتاريخ 16 أفريل 2000.

"النخلة"، والأصح أن المدرسة كانت موجودة قبل هذا التاريخ وكان يسيرها والده الشيخ الطالب "علي بن حمادي"، والشيخ الحسين واصل بها النشاط بطرق أحدث بعدما رجع من تونس حيث كان يُدرِّس هناك بـ "المكناسي" منذ سنة 1918 كما سنفصل لذلك لاحقا.

الفصل الأول

- من هو الشيخ الحسين حمادي؟
- مولده.
- الحسين حمادي الطفل.
- تعليمه ورحلاته.
- الشيخ الحسين حمادي في نفطة.
- الشيخ الحسين حمادي في المكناسي.
- الشيخ الحسين حمادي بين عائلة العمامي.
- الشيخ الحسين حمادي في الزيتونة.
- حلم لم يتحقق.
- الشيخ الحسين حمادي المتعلم العصامي.

من هو الشيخ الحسين حمادي؟

هو الشيخ الحسين بن علي بن علي بن حمادي بن علي بن سالم بن نصيب بن علي بن بلقاسم بن عجال بن بلقاسم بن العزال[1].

أما العزّال فهو جد "العزازلة" ويرتقي نسبه إلى الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء كالآتي:

هو العزال بن عون بن عمر بن عيسى بن يوسف بن أحمد بن عبد الجبار بن عبد الرزاق بن علي بن إبراهيم بن علي بن تميم بن دوس بن بوزيد بن عبد العزيز بن عمر بن إبراهيم بن فارس بن عبد الكامل بن عبد القادر بن مشيش بن عبد الحق بن زكرياء بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن حسن المثنى بن حسن السبط بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

مولده

ولد الشيخ الحسين حمادي بن علي بن حمادي بن علي سنة 1900م[3] بقرية النخلة "بلدية النخلة حاليا"[4] بولاية الوادي

---

[1] هذا الجزء من النسب أثبته الأستاذ خليفة حمادي، لقاء بتاريخ: 22 جوان 2008.

[2] وثيقة صادرة عن نقابة الأشراف بتونس تحتوي على نسب العزازلة وشجرة العزال التي تصل إلى حسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهي محررة من طرف محمود محسن نقيب السادة الأشراف بحاضرة تونس بتاريخ: يوم الخميس 06 صفر 1373هـ الموافق لـ: 15 من أكتوبر 1953، ومصادق عليها من طرف وزارة العدل التونسية، سلم لنا هذه الوثيقة السيد غنادرة الطاهر بن مبروك المدعو الطاهر العزالي بتاريخ: 28 جوان 2008، وهي متطابقة تماما مع النسخة التي سلمها لنا السيد فقيري الصادق بن عبد الحميد بتاريخ 01 جويلية 2008

[3] يلاحظ السجلات المدنية (رقم: 5911).

[4] بلدية النخلة هي بلدية من بلديات ولاية الوادي، سميت بهذا الاسم نسبة إلى شجرة النخلة، يقال أن شخصا غرس نخلة ولم يستطع المزيد نظرا لصعوبة المنطقة، فأصبحت تلك النخلة معلما للمكان ومحطة لراحة المسافرين إلى أن تكاثر حولها السكان فعرفت بهذا الاسم، صنفت النخلة كبلدية سنة 1958، وبعد استقلال الجزائر قلص عدد البلديات وضمت بلدية النخلة إلى بلدية الرباح في 01 جويلية 1963، وبعد التقسيم الإداري لسنة 1984 صنفت النخلة كبلدية من جديد. تقع بلدية النخلة في الجنوب الشرقي لولاية الوادي، وعلى بعد حوالي 15 كلم منها، يحدها من الشمال بلدية البياضة

وهو سادس إخوته من أسرة فقيرة الحال لا تملك ما يسد حاجتها من كفاف العيش، ولم يكن ذلك حال أسرة الطالب "علي بن حمادي" لوحدها، بل حال معظم سكان "النخلة"، حيث كانت الحياة بسيطة وطرق العيش والكسب شبه مغلقة، وقبضة المستعمر من حديد على كل منطقة "وادي سوف" باعتبارها خاضعة للحكم العسكري المباشر، ولم يتوفر للسكان غير الرعي بالبادية وغراسة النخيل بالحاضرة، وكلا المهنتين من المهن الشاقة التي ترهق الفقير والميسور.

لكن تميزت عائلة الطالب "علي بن حمادي" عن غيرها بالعلم والقرآن، حيث كان والده معلما للقرآن الكريم، وإماما بالمسجد العتيق بالنخلة، ومن وجهاء وأعيان البلدة لما رأى فيه الناس من خلق قويم وتوجه نحو العلم وخدمة الغير وبدون مقابل.

الحسين حمادي الطفل

عاش الشيخ الحسين طفولته الأولى بمسقط رأسه "النخلة"، ورغم بساطة وتواضع الحياة آنذاك، إضافة إلى طبيعة القرية خاصة "النخلة" التي كانت أشبه بمقر موسمي تدب بها الحياة في فصل الخريف أكثر من بقية الفصول، فمعظم السكان يقضون ربيعهم وصيفهم وشتاءهم يجوبون البادية بحثا على الكلأ والماء، ومن استقر منهم لا تتوفر له أدنى متطلبات الحياة،

وجنوبا بلدية العقلة وشرقا بلدية دوار الماء وغربا بلدية الرباح. تبلغ مساحتها 700 كلم مربع معظمها مغطاة بالكثبان الرملية. تتكون بلدية النخلة من النخلة مقر البلدية (105 هكتار) وحي الخبنة (53.5 هكتار) وحي النخلة الغربية (19.2 هكتار) وحي النصر والبدر وحي لبايتة وحي السعادين. يبلغ عدد سكان بلدية النخلة حوالي 13000 نسمة، تشتهر بلدية النخلة بالإنتاج الفلاحي كالتمور والبطاطا والخضروات وبالإنتاج الحيواني ممثلا في الأغنام والإبل والبقر، كذلك التجارة والصناعة التقليدية، تتوفر بلدية النخلة اليوم على كل المرافق الضرورية كمؤسسات التعليم بجميع أصنافه، المساجد الراقية، مركز التكوين المهني، المركز الصحي، دور الشباب، وبيت الشباب ونحو ذلك.

كالمستوى المعاشي الأدنى والمسكن اللائق والرعاية الصحية والتعليم بمفهومنا الحديث، والطريق الموصل لمدينة الوادي، والحرية التي سلبها المستعمر والتي من شأنها أن تساعد على تحقيق آمال وطموح الطفولة المشروعة.

لكن لم يمنع كل ذلك من بروز طموحات وفطانة وميولات الطفل الحسين حمادي الذي أبدى رغبة كبيرة في التعلم واستعدادا للرحيل إلى الجنوب التونسي مبكرا عندما سمع بالمستوى الذي وصلت له المدارس والزوايا من رقي علمي.

ولا عجب في ذلك عندما يتعلق الأمر بطفل نشأ في أحضان أسرة أحبت القرآن والعلم وقدمت التضحيات الجسام من أجلهما.

تعليمه ورحلاته

لقد بدأ الشيخ الحسين حمادي حفظ القرآن الكريم على يد والده الطالب "علي بن حمادي"، لكنه لم يمكث طويلا فعندما أتم حفظ الحزب الخامس قام بمحاولات للالتحاق بزوايا الجنوب التونسي[1].

الشيخ الحسين حمادي في نفطة

أمام إصرار وطموح الشيخ الحسين لطلب العلم، أضطر والده إلى توصيله إلى زاوية "سيدي إبراهيم"[2] بنفطة وأوصى عليه الشيخ "لِحْبَيِّبْ" أحد أعيان نفطة وأحد المتقنين للقرآن حفظًا ورسمًا، وكان ذلك في أوائل شهر شوال سنة 1329هـ الموافق لأواخر شهر سبتمبر 1911م على أرجح الروايات.

---

[1] لقاء مع الأمين نجل الشيخ الحسين حمادي بتاريخ: 31 مارس 2006

[2] زاوية سيدي إبراهيم بنفطة وتوجد بنفطة بمحاذاة وادي سوف على الحدود الشرقية، كان نظام التدريس فيها داخلي يقصدها الطلبة من كل الجهات لتلقي كتاب الله وبعض العلوم الأخرى كالمتون الفقهية ونحوها.

والمعروف عن نفطة آنذاك أنها حاضرة علمية تعج بالزوايا والمدارس الدينية والطرق الصوفية، ومجالس العلوم الشرعية المختلفة، كما عرفت بعلمائها وفقهائها عبر التاريخ حتى سميت بـ "الكوفة الصغرى" أو "كوفة الغرب"[1].

أكمل الشيخ الحسين حمادي حفظ القرآن في زاوية "سيدي إبراهيم" كما تعلم بعض العلوم الأخرى مثل الفقه والتوحيد والنحو والصرف والميراث على يد بعض المشايخ منهم الشيخ "بن حمد" والشيخ "التابعي" والشيخ "إبراهيم صمادح"[2]، وكان عمره آنذاك حوالي 18 سنة، وقد أظهر تميزا دراسيا لفت انتباه شيوخه، ونال به احترام زملائه، وتبوأ به مكانة مرموقة عند الجميع.

الشيخ الحسين حمادي في المكناسي

في حوالي سنة 1336هـ / 1918م، استلم الشيخ الحسين رسالة من والده وهو بزاوية "سيدي إبراهيم" في نفطة، عبّر له فيها عن حاجته الماسة لشيء من المال، مقسمًا له أن المبلغ المرفق بالرسالة ومقداره 50 فرنكا قديمًا قد استعاره بعد كتابة هذه الرسالة[3]، وقد أتمّ آنذاك حفظ القرآن الكريم، وتمكن من الفنون الأخرى كاللغة والنحو والصرف والحساب والفقه...

---

[1] الكوفة الصغرى تسمية عرفت بها نفطة، وقد أوردها الشاعر الليبي علي نور الدين الفكيني في أحد قصائده سنة 1930 قائلا:

فإذا نزلت بنفطة فاقصد بها	أهل الوفاء والجود والإحسان
قوم كرام قد علت أحسابهم	بنزاهة وتقى وصدق لسان
هم ألفوا بينهم بمجالس	مزدانة بفصاحة وبيان
في كوفة الغرب التي قد فاخرت	بأبي علي صاحب البرهان

[2] مع الأسف لم نجد أي تراجم أو معلومات حول هؤلاء الشيوخ الثلاثة.

[3] لقاء مع الأمين نجل الشيخ الحسين حمادي بتاريخ: 31 مارس 2006.

فكان لابد للشاب الشيخ الحسين أن يلبي نداء الوالد ويتحرك لمساعدته ولو باليسير، فقرر أن يزاوج بين طلب العلم والعمل.

وفي مسعاه لإيجاد عمل يتلاءم وقدراته وطبيعته قدّر الله أن يلتقي في محطة القطار بـ "توزر" بأحد أعيان بلدة "المكناسي"[1] من عائلة "العمامي"، وبعد التعارف وتبادل الأسئلة، اكتشف الرجل أن الشيخ الحسين من حفظة القرآن الكريم وطلاب العلم والمعرفة، فاقترح عليه مرافقته إلى ضاحية من ضواحي المكناسي وهي ضاحية "المالوسي"[2] وبالضبط بلدة "الخروبة"[3] للتدريس هناك.

---

[1] المكناسي: هي حاليا معتمدية من معتمديات ولاية سيدي بوزيد، تقع بالطريق الرابط بين مدينتي قفصة وصفاقس وعلى بعد 90 كلم تقريبا عن قفصة، وتقع المكناسي جنوب ولاية سيدي بوزيد و تحدها من الجنوب و الجنوب الشرقي معتمدية المزونة ومن الشمال معتمديتي الرقاب وسوق الجديد ومن الجنوب الغربي معتمدية منزل بوزيان، تبعد عن مركز الولاية حوالي 56 كلم وتضم 9 عمادات هي: المكناسي الشرقية، المكناسي الغربية، المكناسي الشمالية، المبروكة، الزوارع، الغريس الغربية، النصر، الجباس، والمش، ويبلغ عدد سكانها 22617 نسمة حسب إحصاء سنة 2004، كانت المكناسي قديما تتبع إداريا لقفصة، وعند استحداث ولاية سيدي بوزيد سنة 1973 أصبحت تابعة لها.

[2] المالوسي: وتنسب المنطقة إلى جبل المالوسي الذي يقع في الشمال الغربي من المكناسي ويبعد عنها حوالي 20 كلم، وقعت فيه معركتين من معارك التحرير التونسية، سبتمبر 1954، و 24 أكتوبر 1954.

[3] الخروبة: تقع جنوب جبل المالوسي وهي أحد مضارب آل العمامي، حاليا هي عمادة من عمادات معتمدية منزل بوزيان بعد التقسيم الإداري لسنة 1973.

الشيخ الحسين حمادي بين عائلة العمامي

عائلة العمامي وتنسب إلى مؤسسها في النصف الأول من القرن التاسع عشر وهو "أحمد بن علي العمامي"[1] بن حَمَد بن عمر بن فاضل بن بوعزيز بن أحمد الردّاد بن عزيز بن همّام[2]، وهمّام هو مؤسس قبيلة "الهمّامة" التي تنتشر بولايات سيدي بوزيد وقفصة وتوزر.

وتتمركز عائلة العمامي جنوب "جبل المالوسي" أي حوالي 18 كلم شمال غرب مدينة "المكناسي" ومن بلداتهم الشهيرة "الخروبة".

عرف عن "أحمد بن علي العمامي" علاقته الوطيدة بباي تونس، وتشجيعه لأبنائه على التعليم، فهو من أسس تقليدا يتمثل في جلب المؤدبين[3] ليدرّسوا أبناءه، الذين واصلوا بدورهم هذا التقليد بعد وفاة والدهم بمكة أثناء موسم الحج[4].

وقد رزقه الله أملاكا كثيرة وأراض شاسعة في أماكن متعددة منها منطقة "الجريد" حيث مازالت العائلة تمتلك غابة نخيل يتقاسم الأحفاد غلتها إلى اليوم، كما رزقه الله بعشرة أولاد

---

[1] ولعله ينتسب إلى سيدي علي العمامي صاحب الزاوية الشهيرة بقرية لرطس غرب معتمدية القطار بمدينة قفصة. والأرجح أن العمايمية هم فخذ من عشيرة الردادية أو الردايدية التي تنتمي إلى فرع أولاد عزيز من قبيلة الهمامة، لأن قبيلة الهمامة مكونة من ثلاث فروع هي: أولاد عزيز، أولاد معمر، أولاد رضوان، والهمامة: من بني سليم ومواطنهم في سيدي بوزيد والرقاب والمكناسي والسند، ومنهم: أولاد بالهادي، أولاد محمد، البدور، الردايدية، أولاد عبد الكريم، أولاد مبارك، أولاد سيدي على بن عون، أولاد الحاج، الخدمة، الظواهر، الدوالي، أولاد المبروك، أولاد سيدي بوزيد، الحرشان، أولاد وهيبة، أولاد معمّر، أولاد عليم، أولاد بوعلاق، أولاد أحمد، أولاد يوسف، أولاد بية، الزعافرية، العكارمة، أولاد سيدي خليفة، أولاد سيدي تليل، المليكات، أولاد عزيز، أولاد بويحيى.

[2] رسالة الدكتور محمد نجيب العمامي بتاريخ: 07 أفريل 2012.

[3] المؤدبين: مفردها مؤدب وهو معلم القرآن ومربي الصبيان على العموم.

[4] الدكتور محمد نجيب العمامي، المرجع السابق.

هم: بلقاسم، الكامل، الحاج الصادق، التليلي، السعيدي، بوبكر، محمد الأخضر، عمر، محمد الأسود، وعلي العمامي[1].

وجاء في رواية منقولة عن عمّتي "اليامنة بنت السعيدي" رحمها الله و هي من مواليد آخر القرن التاسع عشر و عرفت الشيخ الحسين السوفي، أنه - أي الشيخ الحسين - استقدمه أحمد بن على العمامي بواسطة "سيدي أحمد بن الناصر" و بقي بعد وفاة أحمد بن على العمامي سنة 1898 يدرّس أبناء العمايمية القرآن[2].

ورغم ما في رواية عمتي "اليامنة بنت السعيدي" من معلومات ومعطيات حول طريقة وصول الشيخ الحسين حمادي إلى عائلة العمامي إلا أنه عندما توفي "أحمد بن علي العمامي" سنة 1898، ما زال الشيخ الحسين لم يولد أصلا - ولد سنة 1900 - والصواب كما روى الشيخ الحسين بنفسه أن "الحاج الصادق"[3] (الابن) هو من التقى الشيخ الحسين حوالي سنة 1336هـ / 1918م بمحطة القطار بتوزر[4] واتفق معه على التدريس ببلدة "الخروبة"، وبعد تشاور الرجل مع إخوته التسعة رحبوا بفكرة إنشاء مدرسة قرآنية بالقرب من مسجد "سيدي أحمد بن الناصر" حاليا[5] - مدرّسها ومسيّرها ضيفهم الجديد الشيخ الحسين حمادي، وتشاء الأقدار أن يبقى الشيخ الحسين في خدمة القرآن والعلم.

---

[1] الدكتور محمد نجيب العمامي، المرجع السابق.

[2] الدكتور محمد نجيب العمامي، المرجع السابق.

[3] هو الحاج الصادق بن أحمد بن علي العمامي، كان يعمل "عدل إشهاد"، توفي رحمه الله سنة 1932 متأثرا بتعفن جرح سببه مذراة. (وهو جد والد الدكتور محمد نجيب العمامي الذي أمدنا بهذه المعلومات، مراسلة منه بتاريخ: 07 أفريل 2012).

[4] لقاء مع الأمين نجل الشيخ الحسين حمادي بتاريخ: 31 مارس 2006.

[5] سيدي أحمد بن الناصر ولي صالح من "الظواهر" بتخوم مدينة قفصة.

وهكذا استقر الشيخ الحسين في بلدة "الخروبة" بين أولاد العمامي، وقد سكن في البداية عند "بلقاسم بن أحمد بن علي العمامي"[1]، ثم منحه دارا[2] تقع بجوار جامع سيدي "أحمد بن الناصر"، وكان بلقاسم رجلا بشوشا صاحب نكتة وكريما متواضعا معتبرا الشيخ الحسين كأحد أولاده، وكانوا يسمّونه "سي الحسين السوفي".

"سي الحسين السوفي كما يسمّيه أهلي الذين عاشروه ومنهم أبي رحمه الله ترك أثرا طيبا وأقوالا كان الوالد[3] يرددها على مسامعنا، وكان يقول الشعر الملحون"[4].

"لم يدرسني سي الحسين لكن ما سمعته عنه أنّه كان واحدا من أولاد العمامي له ما لنا وعليه ما علينا"[5].

ولم يحض الشيخ الحسين بالاحترام فقط بين عائلة العمامي بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك حين أرادوا تزويجه وتمليكه منزلا وقطعة أرض فلاحية[6]، لكنه رفض متحججا بمواصلة الدراسة، وهو بالفعل السبب الذي أخّر زواجه في بلدته "النخلة" إلى سنة 1934م.

وقد واصل الشيخ الحسين نشاطه التعليمي وإقامته بين عائلة العمامي إلى بدايات الحرب العالمية الثانية[7]، وبالضبط إلى غاية سنة 1940م حين استقر نهائيا ببلدة "النخلة"، لكن العلاقة

---

[1] الأرجح أن بلقاسم هو أكبر إخوته العشرة.

[2] أكد لنا الدكتور محمد نجيب العمامي أن هذه الدار لا تزال موجودة إلى اليوم.

[3] الوالد هو والد الدكتور محمد نجيب العمامي، وهو محمد بن أحمد بن الحاج الصادق بن أحمد بن علي العمامي.

[4] الدكتور محمد نجيب العمامي، المرجع السابق.

[5] الأستاذ علي بن الزاكي بن الحاج الصادق بن أحمد بن علي العمامي، اتصال هاتفي بتاريخ: 14 أفريل 2012.

[6] لقاء مع الأمين نجل الشيخ الحسين حمادي بتاريخ: 31 مارس 2006.

[7] الأستاذ علي بن الزاكي بن الحاج الصادق بن أحمد بن علي العمامي، اتصال هاتفي بتاريخ: 14 أفريل 2012.

بينه وبين هذه العائلة تواصلت بشتى الطرق خاصة عند نفيه سنة 1957م إلى تونس وإقامته في مدينة "الرديف" حيث زارته زوجة "بلقاسم بن أحمد بن علي العمامي"[1] التي تعتبره كأحد أبنائها ومكثت معه عدة أيام تطمئن على صحته وتؤازره وتواسيه على ما لحق به من عذابات النفي والرحلة الإجبارية[2]، كما زاره تلميذه الأستاذ "عثمان بن مختار بن بلقاسم العمامي"[3] بـ "الرديف" أواخر سنة 1957، وكانت الزيارة عربون محبة ولمسة وفاء لشيخ نال احترام وتقدير كل "العمايمية"[4].

وقد بادلهم الشيخ الحسين الزيارة في خريف سنة 1958م، حين تنقل إلى "الخروبة" فاستقبلوه استقبالا يليق بمقام رجل أحبّوه وأحبهم، أحسنوا إليه وأحسن إليهم، فتسابقوا على إكرامه وتنافسوا على ضيافته وتشرفوا بوجوده بينهم، وهي الزيارة التي تعرّف فيها الكثير من أحفاد ذرية "أحمد بن علي العمامي" الذين لم يدرّسهم لكن سمعوا عنه من طرف آبائهم، يقول أحدهم:

"لم أدرس عند سي الحسين لكن سمعت عنه، وقد رأيته حين زارنا سنة 1958م واستضافه والدي الزاكي بن الحاج الصادق"[5].

---

[1] زوجة بلقاسم بن أحمد بن علي العمامي وتدعى "سمَونة" وهي الزوجة الثالثة لبلقاسم وقد أنجبت له الشهيد عمر، مختار، علي، الهاشمي، وعبد القادر.

[2] لقاء مع الأمين نجل الشيخ الحسين حمادي بتاريخ: 31 مارس 2006.

[3] وهو مدير مدرسة ابتدائية متقاعد حاليا.

[4] رسالة الدكتور محمد نجيب العمامي بتاريخ: 03 جويلية 2012.

[5] الأستاذ علي بن الزاكي بن الحاج الصادق بن أحمد بن علي العمامي، اتصال هاتفي بتاريخ: 14 أفريل 2012.

الشيخ الحسين حمادي في الزيتونة

في جمادى الأولى 1347هـ / أكتوبر 1928م[1] تقدم لامتحان نيل شهادة إثبات المستوى "الإدّعاء" للحصول على "الأهلية"[2] للدخول لجامع الزيتونة ونجح فيه بكل جدارة، ولا غرابة في ذلك مع رجل أحبّ العلم وأصرّ على النجاح وتفانى من أجله، يتحدث أحد تلامذته: "سمعت من الشيخ الحسين رحمه الله أنه وفي إطار التحضير لهذا الامتحان - أي الإدعاء - سهرت الليل لمدة ثلاثة أشهر أصلي صلاة الصبح بوضوء العشاء .. وعندما تقدمت أمام هيئة الامتحان لاحظت على وجوههم علامات القبول والرضا، وقررت أن لا أعود للزيتونة إن لم أنجح بهذا المجهود وهذا التحضير الكبير"[3].

ثم رجع إلى المكناسي - الخروبة - لترتيب أموره فهو يدير المدرسة القرآنية هناك، وله ارتباطات وعلاقات قوية بأعيانها، ومن غير المعقول أن ينقطع عليهم فجأة دون سابق علم، كذا توفير ما يلزم للدراسة من مال، ولربما هذا ما أخّر التحاقه بالدراسة إلى شهر جمادى الأولى 1350هـ الموافق لشهر سبتمبر 1931م، بالسنة الأولى من المرتبة المتوسطة، وقد سُجّل باسم: "الحسين بن علي السوفي"[4]، وكان من أهم شيوخه في هذه المرحلة الشيخ إبراهيم النيفر[5]، الشيخ محمد عبد

---

[1] أثبت هذا التاريخ الأستاذ خليفة حمادي بناء على ما سمع من عمه الشيخ الحسين، لقاء معه بتاريخ: 22 جوان 2008.

[2] الأهلية: هي الشهادة التي تخول للطالب الدخول لمرحلة التعليم الثانوي في الزيتونة - أي شبيهة بشهادة التعليم المتوسط عندنا اليوم - وتدوم ثلاث سنوات وتنتهي بالإحراز على شهادة التحصيل أي شبيهة بشهادة الباكالوريا عندنا اليوم - التي تعطي الأحقية في مرحلة التعليم العالي التخصصي للحصول على الشهادة العالمية، والعالمية شبيهة بشهادة الليسانس عندنا اليوم.

[3] لقاء مع تلميذ الشيخ الحسين الإمام الطاهر حميداتو يوم الثلاثاء 15 جويلية 2008.

[4] يلاحظ دفتر المتابعة الشهرية وكشف التقييم لسنة 1350هـ / 1931م.

[5] إبراهيم النيفر: شيخ علم ومدرس بالزيتونة ورئيس جمعية العلماء التي ظهرت في مارس 1933 للدفاع عن المصالح الأدبية والمادية لأساتذة جامع الزيتونة.

العزيز جعيط[1]، الشيخ محمد الحطاب بوشناق[2]، الشيخ أحمد بن عثمان[3]، الشيخ محمد الزغواني[4]، الشيخ محمد التارزي[5]، والشيخ محمد البشير النيفر[6].

لكن الشيخ الحسين انقطع عن الدراسة بالزيتونة في شهر ذي القعدة سنة 1351هـ الموافق لـ: شهر مارس 1933[7] ولم يواصل للحصول على شهادة "التطويع"، أو "العالمية"[8]، وبالرغم من عدم وضوح وتحديد الأسباب الحقيقية وبصفة قطعية لهذا الانقطاع فالأرجح أنها تنحصر بين ظروفه الخاصة والظروف العامة لجامعة الزيتونة آنذاك:

أ- الظروف الخاصة

1) ضعف الإمكانيات المادية التي لم تسمح بتوفير الظروف الدراسية الملائمة، إن كان على المستوى الشخصي للشيخ الحسين أو على مستوى أسرته، ويثبت الشيخ

---

[1] الشيخ عبد العزيز جعيط: شيخ علم ومدرس بالزيتونة والمفتي المالكي وأكبر الشخصيات الدينية في البلاد التونسية.

[2] محمد الحطاب بوشناق: شيخ علم ومدرس بالزيتونة ومن فقهاء الحنفية المتأخرين (1984) له بعض الفتاوى والدراسات المنشورة بالمجلة الزيتونية.

[3] الشيخ أحمد بن عثمان: مدرس النحو واللغة العربية بالزيتونة تخصص في تدريس شرح الأشموني على ألفية ابن مالك.

[4] الشيخ محمد الزغواني: شيخ علم ومدرس بالزيتونة تولى الإمامة بجامع الحجامين بتونس العاصمة.

[5] الشيخ محمد التارزي: شيخ علم ومدرس بالزيتونة، كان يدرّس الشيخ الحسين منظومة الرحبية كما هو مبين في دفتر التقييم والمتابعة.

[6] الشيخ محمد البشير النيفر: هو فقيه ومفتي مالكي له بعض الكتب المطبوعة، وكانت تربطه علاقات طيبة مع الشيخ ابن باديس، مدرس بالزيتونة قسم التخصص والمدرسة الصادقية وحاكم بالمجلس المختلط.

[7] يلاحظ دفتر المتابعة الشهرية وكشف التقييم لسنة 1350هـ / 1931م، صفحة سنة 1351هـ /1933م

[8] التطويع: هي أعلى شهادة علمية كانت تمنحها الزيتونة، واستمر العمل بها إلى سنة 1933 حيث أحدث نظام جديد للتعليم وللشهادات الزيتونية، وأصبحت أعلى شهادات التعليم الزيتوني تسمى منذئذ العالمية.

الحسين في أحدى رواياته أن نفقات الدراسة كانت على عاتقه إذ يقول: "في مدرسة جامع الهواء، وكنت أسكن مع حبيب لي "همّامِي" اسمه "التهامي بن محمد الأزهر" متحصل على شهادتي التطويع والعالمية، كنا نسكن مع بعض في بيت واحد..."[1]

وفي ذلك الوقت لم تكن "جمعية إعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الأعظم وفروعه" موجودة، لأن تأسيسها كان في 18 شوال 1355هـ / 31 ديسمبر 1936م[2]، وكان هدفها الرئيس كما ورد في قانونها مد يد الإعانة للضعفاء من تلامذة الجامع الأعظم وفروعه من حيث المأكل والملبس والسكنى والحالة الصحية، ومن كل ما يمكن أن يطرأ مما يحتاج للإعانة وتجد الجمعية استعداد للقيام به.

2) كان طلبة وادي سوف الذين يذهبون في دفعات إلى جامعة الزيتونة لا تهمهم الشهادة كثيرا بقدر ما يهمهم التحصيل العلمي وما يحتاجون إليه من علوم في ظل انعدام جامعات بالمنطقة ترقى إلى مستوى الزيتونة، وهذه شهادة أحد الزيتونيين في الموضوع: ".. لكنهم كانوا غير مقيدين برزنامة التدريس التي تستغرق في جامع الزيتونة سبع سنوات، فكانوا ينهلون منه ما يفيدهم من فقه ونحو، وبعض مبادئ العلوم مختصرين مدة الدراسة في سنة أو سنتين، أو ثلاث سنوات، وهذا نتيجة

---

[1] لقاء مع الشيخ الحسين يوم الأحد 15 ماي 1977، أجراه معه الأستاذ عبد الرزاق داده.
[2] المجلة الزيتونية عدد محرم 1356هـ / مارس 1937م، المجلد الأول، الجزء السابع ص: 353

الفقر الذي كان يعاني منه هؤلاء الطلبة، وهذا بحسب قدرة كل طالب وإمكانياته المادية"[1].

3) لم يكن هدف الشيخ الحسين الشهادات والرتب التصنيفية، بقدر حاجته للتحكم في شتى العلوم والفنون المتعلقة بالقرآن الكريم والعلوم الشرعية والعلوم الوضعية عموما.

4) لعل ارتباطه بطلبته وعلاقته الوطيدة بعائلة العمامي بـ "المكناسي" كان لها دور بإيقاف الدراسة بالزيتونة، والدليل رجوعه إلى "المكناسي" ـ الخروبة ـ بعد الانقطاع ومواصلة التدريس بها.

5) ومن الظروف أيضا لعلها حالة عدم الاستقرار التي عاشها الشيخ الحسين حمادي حيث قضّى حوالي ثلاثين سنة بين الدراسة والتدريس في تونس بعيدا عن الأهل والوطن.

6) ولعل أهم هذه الظروف الفكرة التي راودته للدراسة بمصر وعزمه على الالتحاق بجامعة الأزهر[2].

---

[1] رسالة الشيخ حمزة بوكوشة للأستاذ علي غنابزية، يلاحظ مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر (هـ)، التاسع عشر (م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر 2001/2000، ص: 155

[2] جامعة الأزهر مؤسسة تعليمية وضع أساسها بالقاهرة جوهر الصّقليّ (إلياس الصقلي) القائد الفاطمي في الرابع عشر من رمضان عام 359هـ، 970م. واستغرق بناء جامعها الأساس نحو العامين، وأقيمت فيه الصلاة لأول مرة في السابع من رمضان عام 360هـ، الثاني والعشرين من يونيو عام 971م، وهو ما عُرف بالجامع الأزهر الشريف، نسبة إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وهي إلى اليوم صرح علمي كبير يتخرج منها الشيوخ والعلماء في العلوم الشرعية وغيرها من العلوم المعاصرة.

ب ـ الظروف العامة لجامعة الزيتونة

شهدت الزيتونة بداية القرن العشرين عدة تجاذبات بين أطراف اختلفت من حيث المنهج والفكر وحتى السياسة، وهو أمر طبيعي في ظل ظهور الحركة الوطنية التونسية بمفهومها الحديث، وما رافقها من حركية اجتماعية وسياسية هدفها النهوض بالحياة في شتى مناحيها، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية، كان من نتائجها المناداة بالتجديد والإصلاح.

ومن أمثلة ذلك اختلاف الرؤى بين الشيخ "عبد العزيز الثعالبي"[1] والزعيم التونسي "الحبيب بورقيبة"[2] ورفاقه "مجموعة جريدة العمل"[3]، حيث أسس الأول ـ الشيخ عبد العزيز الثعالبي ـ "الحزب الحر الدستوري التونسي" سنة 1920م على أسس فكرية دينية وإصلاحية، لأن الثعالبي من الإصلاحيين الزيتونيين المتشبعين بأفكار "جمال الدين الأفغاني" و"عبد الرحمان الكواكبي" و"محمد عبده" وغيرهم.

في سنة 1933م عقد الحزب الحر الدستوري التونسي مؤتمره في غياب الشيخ "عبد العزيز الثعالبي" الذي غادر

---

[1] عبد العزيز الثعالبي: ولد يوم 15 شعبان 1293هـ/ 5 سبتمبر 1876م زعيم تونسي سياسي وديني. من القليلين الذين زاوجوا بين السياسي والديني، وبين المحلي والإقليمي والعالمي في عملهم، للتخلص من الاستعمار، توفي رحمه الله في أول أكتوبر 1944م.

[2] الحبيب بورقيبة: ولد في الثالث من أوت عام 1903م، تحصل على شهادة البكالوريا سنة 1924 من معهد كارنو الفرنسي، ثم سافر إلى باريس حيث أكمل تعليمه العالي بكلية الحقوق ومعهد الدراسات السياسية، حصل على إجازة في الحقوق عام 1927م، عقب عودته إلى تونس عمل بورقيبة بالمحاماة إضافة إلى ذلك قام بالمشاركة في الكتابة في عدد من الصحف الوطنية، وناضل من أجل استقلال تونس ليعتلي كرسي رئاسة الجمهورية بداية من سنة 1956 إلى نوفمبر سنة 1987، توفي يوم 06 أفريل 2000.

[3] مجموعة جريدة العمل: ومنهم المحامي الحبيب بورقيبة، الدكتور محمود الماطري، المحامي الطاهر صفر، المحامي البحري قيقة، والمحامي محمد بورقيبة الذين أسسوا جريدة العمل وكان مديرها وصاحب امتيازها الحبيب بورقيبة، فكانت منبرا إعلاميا لهم بدلا عن جريدة العمل التونسي التي تأسست سنة 1929 الناطقة باسم الحزب الحر الدستوري التونسي.

تـونس سـنة 1923 تحـت وطـأة ضـغوط الـسلطات الفرنـسية، فسارع عدد من الشباب لتقلد مراكز القيادة في الحزب أمثال: الدكتور "محمود الماطري"، المحامي "الطاهر صفر"، المحامي "البحري قيقة"، والمحامي "محمد بورقيبة" وشقيقه الأصغر منه المحامي "الحبيب بورقيبة"[1].

وكانت النتيجة الطبيعية ظهور تيار جديد في الحزب، يمثل الحداثة والتجديد، معتبرا شيوخ الزيتونة عقبة أمام تنفيذ برامج التحديث، فانشقوا عن الحزب الأم ـ الحزب الحر الدستوري التونسي ـ وأسسوا حزبا جديدا في 03 مارس سنة 1934م تحت اسم: "الحزب الحر الدستوري الجديد"[2]، وقد استقطب نخبة من الشباب المثقف الطامح للتجديد والتحديث.

ولم يقف الاختلاف السياسي عند السياسيين، ليصل إلى طلبة الزيتونة، ويتطور شيئا فشيئا، وما حدث في شهر مارس 1938 ينبئ عن مدى الاختلاف الذي دبّ بين صفوف الطلبة والاحتقان الذي سبق بلوغ السيل الزبى، وتخبرنا المجلة الزيتونية بما وقع آنذاك: ".. ثم تبع ذلك تشويش عظيم وقع بين تلامذة جامع الزيتونة أفضى إلى وقوع منازعات شديدة آلت إلى تضارب التلامذة فيما بينهم وتداخل رجال السلطة، وكان السبب الأصلي في ذلك كله اختلاف النزعة السياسية بين الطلبة، حيث أن منهم فريقا ينتمي لحزب الدستور القديم ـ اللجنة التنفيذية ـ وفريقا ينتمي لحزب الدستور الجديد ـ الديوان السياسي ـ فطغى عليهم جانب الإحساس، وبالغوا في التعبير عن عواطفهم

---

[1] الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830- 1956، دار المعارف للطباعة والنشر تونس، الطبعة الثانية 1990، ص: 59.

[2] الطاهر بن عبد الله، المرجع نفسه، ص:61.

بصورة أفضت إلى استياء عموم السكان، وتذمرهم من وصول الشقاق إلى هذه الدرجة المزعجة"[1].

وإن كانت دعوات الإصلاح في الزيتونة قد سبقت هذه الحركية السياسية، بداية بإضراب الطلبة الزيتونيين سنة 1910م واستمرت إضراباتهم إلى غاية 1912م[2]، مطالبين بالإصلاح الشامل لمناهج التدريس وإدخال العلوم الجديدة.

وها هو "الطاهر الحداد"[3] خريج الزيتونة سنة 1920، والعارف بنظم التعليم فيها ينادي بالإصلاح قائلا: "غير أنه مهما كانت تلك الأساليب التي تدرس بها مثمرة ثمرا طيبا في ذلك العصر، فإنها اليوم بحكم الزمن وتطور الأحوال أصبحت قاصرة أن تبلغ بالإنسان درجة فهم الحياة المعاصرة أو أن تبلغه من وسائل العمل ما يكفيه للعيش"[4].

وتواصلت دعوات الإصلاح إلى ما بعد سنة 1937م، "كانوا يطالبون بإصلاح التعليم وإدخال العلوم العصرية وقاموا بتجمّع أمام السفارة الفرنسية سنة 1920 ومظاهرة وإضراب سنة 1925 وكذلك سنة 1932 وسنة 1935 جدّدوا مطالبهم بضرورة إصلاح التعليم وأقاموا "المؤتمر الزيتوني" سنة 1937 ثم إضراب ومظاهرة أخرى سنة 1942 قبل ظهور حركة صوت الطالب الزيتوني سنة 1950"[5].

---

[1] المجلة الزيتونية عدد محرم 1357هـ / مارس 1938م، المجلد الثاني، الجزء السادس ، ص: 286، وفي هذا العدد وجهت هيئة مدرسّي جامع الزيتونة نداء للطلبة دعتهم فيه للهدوء والتعقل ونبذ الخلافات.

[2] حسونة المصباحي، جريدة العرب عدد الخميس 03 جمادى الثانية 1430هـ الموافق لـ 28 ماي 2009م / السنة 31 العدد 8216، ص: 09.

[3] الطاهر الحداد: (1899- 1935) مفكر وكاتب تونسي له من الكتب: العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية عام 1927 ، وامرأتنا في الشريعة والمجتمع عام 1930.

[4] الطاهر الحداد، التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة، تقديم وتحقيق محمد أنور بوسنينة الدار التونسية للنشر، 1981، ص: 29.

[5] الأستاذ محمد الحبيب الباهي، صحيفة الشروق التونسية بتاريخ: 03 فيفري 2009.

وهكذا كانت الإضرابات البارزة للزيتونيين، في الفترة من سنة 1930 إلى سنة 1937[1]، ولعل من نتائجها صدور قانون التعليم بالزيتونة في 04 من ذي الحجة 1351هـ / 30 مارس 1933م[2]، "وبصدور هذا القانون سار التعليم بالجامع أشواطا إلى الأمام، وذلك لأنه قد وضع وضعا محكما دقيقا روعي فيه النهوض بالتعليم في الجامع ورفعة شأن متخرجيه، وأدخلت به على الجامع عدة أنظمة وتراتيب وفنون لم تكن موجودة من قبل، ويمكن لنا أن نقول أنه قد نسخ غالب ما في القوانين السابقة، وأتى بما هو خير منها"[3].

ومن ثمرات هذا القانون الجديد تنصيب مجلس لإصلاح التعليم بالزيتونة[4]، والبحث في كيفية تطوير المناهج والطرق التعليمية وإدخال العلوم الجديدة، وتحسين الظروف العامة للزيتونة.

وقد ساهم الشيخ عبد الحميد بن باديس باعتباره من خريجي الزيتونة وعلى اتصال مستمر بشيوخها وعلمائها بمحاولة لإصلاح مناهج التعليم بها، حيث اقترح منهجا متكاملا للتعليم في جامع الزيتونة، يشمل سائر مراحل التعليم فيه، ثم أرسله إلى لجنة إصلاح التعليم، كما نشر هذا المقترح مفصلا بجريدة الشهاب[5].

---

[1] وهي الفترة التي درس فيها الشيخ الحسين بالزيتونة.

[2] المجلة الزيتونية عدد صفر 1357هـ / أفريل 1938م، المجلد الثاني، الجزء السابع ، ص: 331

[3] محمد المختار بن محمود رئيس تحرير المجلة الزيتونية عدد شوال 1356هـ / ديسمبر 1937م، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص: 128

[4] هناك محاولات لإصلاح التعليم بالزيتونة سبقت ما جاء به قانون 1933، منها قانون 1912.

[5] يلاحظ: د. عمار طالبي، آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية، ط 3 سنة 1997، ج1، مجلد 2 ص: 180- 183، ويلاحظ أيضا: د. تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر ، م و ك ، الطبعة الرابعة سنة 1984، ص: 332-337.

ولذلك أعتبرت الفترة المحصورة بين 1933 و 1939، الفترة الأكثر تفاعلا، والمنادية بالإصلاحات الضرورية لتطور الحركة الزيتونية التي أصبحت عنصرا أساسيا من عناصر الحركة الوطنية[1].

وعموما فقد كان جامع الزيتونة سنة 1931 - وهي السنة التي التحق فيها الشيخ الحسين به - يشهد حركية أخذت طابع الصراع الخفي أحيانا والمعلن أحيانا أخرى بين دعاة الإصلاح والمتخوفون منه، ويظهر ذلك جليا فيما لاقاه الشيخ "محمد الطاهر بن عاشور"[2] من معارضات تصدت لخططه في إصلاح التعليم، وهو رجل يُشهد له بما قدم للزيتونة، وبالحرص الشديد على تطوير أساليب التعليم فيه، قال عنه الشيخ "محمد البشير الإبراهيمي": " لم ير جامع الزيتونة في عهوده الأخيرة عهدا أزهر من هذا العهد، ولم ير في الرجال المسيرين له رجلا أقدر على الإصلاح، وأمدّ باعا من شيخه الحالي، وإذا كان الإصلاح يسير ببطء فما الذنب ذنبه، وإنما الذنب لطبيعة الزمان والمكان، وضعف المقتضيات، وقوّة الموانع، وحسبه أنه حرّك الخامد،

---

[1] حمادي الساحلي، فصول في التاريخ والحضارة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992، ص 412.

[2] الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الشهير بالطاهر بن عاشور، ولد بتونس في (1296هـ = 1879م) في أسرة علمية عريقة. تعلم في الكتّاب حتى أتقن حفظ القرآن الكريم، ثم تعلم ما تيسر من اللغة الفرنسية، التحق بالزيتونة سنة 1313هـ/ 1896م، قام برحلات إلى المشرق العربي لأداء فريضة الحج، وإلى أوروبا وإستانبول. نال الجائزة التقديرية للرئيس الحبيب بورقيبة سنة 1968م، توفي رحمه الله يوم 13 رجب 1393 هـ / 12 أغسطس 1973م بعد حياة حافلة بالعلم والإصلاح والتجديد على مستوى تونس والعالم الإسلامي، ودفن بمقبرة الزلاج، من مؤلفاته: التحرير والتنوير في تفسير القرآن الكريم (30 مجلدا)، وأصول الإنشاء والخطابة، ومقاصد الشريعة الإسلامية، وقصة المولد النبوي الشريف. (يلاحظ محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج3، دار الغرب الإسلامي لبنان ط1 سنة 1981، ص: 304 وما بعدها).

وزعزع الجامد، وأجال اليد المُصلحة في الإدارة وفي كتب الدراسة وفي أشياء أخر"[1].

ثم يشير الشيخ "محمد البشير الإبراهيمي" إلى ما اعترض الشيخ "محمد الطاهر بن عاشور" من عقبات: "والخروج عن المألوفات العادية يراه المجددون وضعا للإصر، وانطلاقا من الأسر، ويراه الجامدون فسادا في الأرض وشرطا من أشراط الساعة"[2].

ولهذا لم يبق الشيخ "محمد الطاهر بن عاشور" طويلا في مشيخة الزيتونة، حيث عيّن يوم السبت 23 جمادى الأولى 1351هـ الموافق 24 سبتمبر 1932م، ليستقيل منها يوم 09 جمادى الثانية 1952هـ الموافق 29 سبتمبر 1933م[3].

ومثل هذا الوضع سينعكس حتما على نفسيات الطلبة، ويؤثر على تحصيلهم الدراسي، وعلى نشاطهم المكمل للدراسة.

وإذا ما بحثنا في الفترة التي درس فيها الشيخ الحسين في الزيتونة من سنة 1931 إلى 1933، وعلاوة على الظروف المحيطة بالزيتونة السالفة الذكر، فإن هناك عوامل ومؤثرات أخرى منها:

- الأزمة الاقتصادية العالمية سنة 1929 والتي وصلت حدتها إلى الشمال الأفريقي سنة 1931، وظهرت نتائج ذلك على الحياة العامة.
- ظهور الإصلاحات الهامة لطرق ومناهج التعليم بالزيتونة بعد سنة 1933 - أي بعد خروج الشيخ الحسين منها -

---

[1] د. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3 عيون البصائر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1997، ص: 550.

[2] د. أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع السابق، ص: 549.

[3] المجلة الزيتونية، عدد: شوال 1356 هـ / ديسمبر 1937م، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص: 129.

- تأخر ظهور الاتحادات والجمعيات والمنظمات الطلابية التي ترعى شؤون طلبة الزيتونة عموما والجزائريين على الخصوص، حيث ظهرت:
  - جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين سنة 1934.
  - جمعية إعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الأعظم وفروعه في 18 شوال 1355هـ / 31 ديسمبر 1936م[1].
  - جمعية الشباب السوفي الزيتوني في 12 ماي 1937، والمجمع العام لجميع الطلبة يوم: 15 نوفمبر 1936، وشبيبة شمال إفريقيا الموحدة في فيفري 1938[2].
- ظهور سياسة ممنهجة للقضاء على التعليم الزيتوني تحت عدّة شعارات كان من بينها توحيد التعليم وكذلك نعت الزيتونيين بالمتخلفين وأصحاب العمائم[3]، وإن كانت عزائم بعض الطلبة لا تثنيها مثل هذه الدعوات، غير أنها تولد شيئا من الإحباط لدى البعض منهم.

ومن خلال هذا العرض حول الزيتونة حين كان الشيخ الحسين طالبا بها، نكتشف أن وضعها العام آنذاك قد لا يكون مريحا لطالب مثل الشيخ الحسين جعل طريقه للعلم لا لسواه، ورسم خطة للحصول على القدر الكافي من الفنون تؤهله لمهنة التدريس، والتحكم في العلوم لفهم وإتقان القرآن الكريم والتفسير والعلوم الفقهية واللغة والأدب ونحوها.

ولذلك فالأرجح أن انقطاع الشيخ الحسين عن الدراسة يمكن أن لا يخرج عن السببين التاليين:

---

[1] المجلة الزيتونية عدد محرم 1356هـ / مارس 1937م، المجلد الأول، الجزء السابع ص: 353.

[2] الأستاذ: محمد السعيد عقيب، محاضرة بعنوان جمعية الشباب السوفي الزيتوني. الندوة الفكرية الخامسة عبد القادر الياجوري بقمار أيام: 24 و 25 و 26 ماي 2006.

[3] الأستاذ محمد الحبيب الباهي، صحيفة الشروق التونسية بتاريخ: 03 فيفري 2009.

1) **الوضـع السـائد فـي الزيتونـة:** "انقطـع الـشيخ الحـسين عـن الدراسـة فـي الزيتونـة سـنة 1933 حـين دخـل الطلبـة فـي إضـراب، فلـم يعـد لهـا بعـد حـل الإضـراب"، وهـو الـرأي الأصح على حد قول تلميذه وابن أخيه[1].

2) **الوضع المادي:** "إنه الفقر، ولا شيء غير الفقر، يحول بين الشيخ الحسين وإكمال دراسته، أعرف الرجل وأعرف حبه الشديد للعلم والعلماء"[2]، وهو رأي يرجحه كثير من تلاميذ وأصدقاء الشيخ الحسين.

حلم لم يتحقق

فـي صـيف سـنة 1933 تقريبـا قـرر الـشيخ الحـسين الالتحاق بجامع الأزهر، وراح يعد العدة لتحقيق الحلم الذي ظـل يـراوده، وأول مـا فـي العدة المـال الـلازم لهذه الرحلـة، ومن أجل ذلك راح يواصل نشاطه التعليمي بـ "المكناسي" - الخروبة - ويجمع ما تيسر من نقود علـى قلتهـا، لكـن الأيـام تمـر والـشيخ الحـسين حينهـا قـد تجـاوز الثلاثـين مـن العمـر، فكـان لزامـا عليـه أن يـستجيب للـسنن الكونيـة، وطلـب الوالـد والوالدة المتضمن إكمال نصف دينه، فتزوج في: 17 رجب 1353هـ الموافـق لــ 25 أكتـوبر 1934م[3]، ولـم يكـن هـذا

---

[1] تلميذه وابن أخيه هو الأستاذ خليفة حمادي لقاء معه يوم: 22 جوان 2008.

[2] لقاء مع عبد القادر مرزوقي يوم: 23 ماي 2010، للعلم فإن عبد القادر مرزوقي من طلبة الشيخ الحسين الذين التحقوا بالزيتونة سنة 1948، وتخرج منها ليعمل بعد الاستقلال في قطاع التربية والتعليم إلى أن تقاعد سنة 1990.

[3] هذا التاريخ أجمع عليه مجموعة من الشيوخ الذين عاصروا الشيخ الحسين، وأكد أحدهم أن زواج الشيخ الحسين كان يوم الخميس من الأسبوع الأخير من أكتوبر، ورجح بعضهم يوم الأحد 28 أكتوبر 1934م.

الرباط المقدس عائقا لتحقيق ما يصبو إليه من الناحية العملية والعلمية، حيث عاد إلى مدرسته القرآنية ونشاطه العام.

وفي سنة 1936 رُزق الشيخ الحسين بمولوده الأول "الأمين"، فتعددت عليه المسؤوليات، وعصفت من حوله رياح التغيّرات، وحالت بينه وبين أهله المسافات، لكن لم تتهاوى عزائمه، ولم تتحول مقاصده، ولم تخمد جذوة العلم في صدره، وما زال يعمل ليتحول ذاك الحلم إلى واقع.

لكن وكما يقول الشاعر:

ليس كل ما يتمناه المرء يدركه   تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

ففي يوم الأربعاء 22 رمضان سنة 1359هـ/ 23 أكتوبر سنة 1940م[1]، توفي والده الطالب "علي بن حمادي"[2] وأوصاه بخلافته في الإمامة والتعليم القرآني، هذه الوصية جعلت الشيخ الحسين يستقر نهائيا ببلدة "النخلة" ويستسلم طاعة لله ثم لوالده، لكنه لم يخف حسرته وتعلقه بمواصلة الدراسة في الأزهر الشريف، ويعبّر على ذلك:

---

[1] وقع اختلاف في تاريخ وفاة الطالب علي بن حمادي بين سنتي 1940 وسنة 1941، وبعد البحث والتحري توصلنا إلى هذا التاريخ المضبوط من خلال السيد مومن بكوش خليفة الذي توفي جده مسعود قبل وفاة الطالب علي بن حمادي بسنة، مثبتا أن جده مسعود توفي في أواسط نوفمبر سنة 1939م ووافق ذلك بدايات شوال سنة 1358هـ ، وهذه القرينة تثبت قطعيا أن الطالب علي بن حمادي توفي سنة 1940، أما بالنسبة لليوم والشهر ففي لقاء مع عبد الباقي لطرش بن محمد نقلا عن والده الحاج مُحمد أن الطالب علي بن حمادي توفي في شهر رمضان وفي بداية العشر الأواخر منه، للإشارة فإن الحاج مُحمد هو ابن عم الطالب علي بن حمادي وجاره القريب جدا منه وملازمه في المسجد، وهو نفس التاريخ الذي أثبته الأمين حفيده بناءً على ما سمع من والده الشيخ الحسين ومن معظم الشيوخ الذين عاصروا الطالب علي بن حمادي.

[2] هو علي بن حمادي بن علي بن سالم بن علي بن نصيب بن علي بن بلقاسم بن عجال بن بلقاسم بن العزال، ولد حوالي سنة 1859 بالنخلة، وهو أول إمام ومعلم قرآن بالمسجد العتيق بحي النخلة الشرقية الذي تأسس حوالي 1916، توفي يوم الأربعاء 22 رمضان سنة 1359هـ/ 23 أكتوبر سنة 1940م، ودفن بمقبرة النخلة.

"كنت أنوي أن أذهب إلى مصر - جامع الأزهر - لتلقي العلم، وأن أجعل لكل فن سنتين على الأقل"[1].

وكما يظهر جليا من خلال هذه الأبيات الشعرية التي قالها آنذاك:

فَلَوْ كَانتْ الدُّنيَا تَـدُوم رأيْـتَـنِي ... سكنتُ بِمصْرَ فهْي أحسنُ مَوطِـنِي

ولكِّنـهَا لَيستْ تَـدُوم لِـحَادثٍ ... لِهذا رضِيتُ منـهَا بالوطنِ الدَنِـي[2]

الشيخ الحسين حمادي المتعلم العصامي

إن دخول الشيخ الحسين للزيتونة لم يكن بهدف إحراز الشهادات العليا، بقدر ما كان للتعلم والتحكم في فنون يحتاجها في مساره العلمي ومشواره التعليمي وإعداده للحياة بصفة أشمل، ولذلك لم يكن انقطاعه عن مواصلة الدراسة بالزيتونة هو انقطاع عن طلب العلم، بل واصل تعلمه باجتهاده وإمكانياته الذاتية.

ولما توفر الصدق والإخلاص في طلب العلم جعلا الشيخ الحسين يستفيد مما تعلمه، ويكوّن لنفسه قاعدة علمية متينة استند عليها، سواء في تعليمه الأولي على يد والده، أو في زاوية "سيدي إبراهيم" بنفطة، أو أثناء تحضيره للدخول للزيتونة، ثم ما تلقاه فيها من العلوم المختلفة، منها الشرعية:

كالقراءات رواية ودراية، الرسم التوقيفي، التفسير، التوحيد، الحديث الشريف، المصطلح، أصول الفقه، الفقه

---

[1] الكلام للشيخ الحسين حمادي سنة 1966، مخاطبا الطالب عبد الرزاق داده، لقاء مع الأستاذ عبد الرزاق داده يوم: 13 نوفمبر 2009.

[2] يقصد بالوطن الدني: أي القرى النائية التي لا يزدهر فيها العلم والمعرفة، ويقال: العلم والتجارة يموتان في القرية، ولعل ذلك كان في زمن سابق، أما اليوم وقد أتيحت فرص التعلم للجميع، فإن أرباب العلم هم من القرى وهم من المدينة أيضا.

عبادات ومعاملات، مقاصد الشريعة، تاريخ التشريع الإسلامي، الفرائض علما وعملا، الأقضية والشهادات، الإجراءات، علم الأخلاق، والسيرة النبوية.

ومنها الأدبية:

كالنحو، الصرف، البلاغة، العروض، اللغة، نقد الشعر، الإنشاء، الخطابة، الرسم القياسي، والخط.

ومنها العلوم الرياضية:

كالحساب والجبر، الهندسة والمساحة، الهيئة والميقات، الجغرافيا التاريخ، المنطق، آداب البحث، مبادئ الكيمياء والطبيعة، مبادئ حفظ الصحة، وفن التعليم، وهي العلوم المقررة ببرامج جامع الزيتونة آنذاك[1].

وكذلك أمهات الكتب المبرمج دراستها تحت إشراف الشيوخ والعلماء كتفسير الجلالين، والموطأ، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، والشفاء للقاضي عياض، و المواهب اللدنية للقسطلاني، ومختصر بن الحاجب، ومختصر خليل بن إسحاق، وإحياء علوم الدين للغزالي، والمزهر للسيوطي، وفقه اللغة للثعالبي والسيرة النبوية للكلاعي، وكتاب العِبَر لابن خلدون، ومقالات إقليدس، وكتب المرتبة الوسطى مثل الأربعون النووية، والشمائل للترمذي، والشاطبية، وألفية العراقي، وألفية ابن مالك، ومقامات الحريري والعمدة لابن رشيق، وقصيدة كعب، وبردة البوصيري، وكتب المرتبة الثالثة مثل رسالة ابن أبي زيد القيرواني، والعشماوية، والأجرومية، وقطر الندى[2].

---

[1] يلاحظ المجلة الزيتونية عدد صفر 1357هـ/ أفريل 1938م، المجلد الثاني، الجزء السابع، ص: 335 و 336، ويلاحظ أيضا الموسوعة العربية العالمية، باب الزاي.

[2] يلاحظ دفتر التقييم والمتابعة لجامع الزيتونة.

وليس من اليسير أن يُطلب العلم في ذاك الزمن الذي عاشه الشيخ الحسين، حيث الفقر المانع والاستعمار المنادي بالجهل، وسيادة مستوى فكري وثقافي يجعل العلم في آخر المطالب، ونمط مجتمع لا يعرف الاستقرار ولا يحبذ المدينة، وندرة الهياكل التعليمية، ونقص الطبع والكتب، فتُشدُّ الرحال للحصول على معلومة أو كتاب، ومن تعلم فهو مقاتل عنيد، وصبور جلد، وصاحب عزيمة من حديد.

وفي زمن المصارعة من أجل تأمين لقمة عيشٍ لإسكات صوت الجوع وإشباع حاجة البطن، يرحل الشيخ الحسين رحلته الطويلة لانتزاع معلومة يلبي بها طلب العقل والروح، ويضيء بها ظلمة دهاليز الآخرين، ويرسم معالم طريق القادمين، ليكون بذلك القدوة والمثل.

فها هو يصادق أهل المعرفة وطلبة العلم ويشدّ على أيديهم، ويسعى وراء كتاب سمع عنه، أو كتاب جلبه فلان في رحلة دراسية أو رحلة حج، فيتمنى أن يكون من أوائل قرّائه والمالكين له، معتبرا أن الكتاب رزق من الأرزاق، وإرث من المواريث، ومحبوب من الأحبة.

وهذه القصة تكفي عن الحجّة والدليل، وتُغني عن البرهنة والتعليل، ففي سنة 1969م قدم أحد طلبة[1] "النخلة" من دولة الكويت في عطلة مدرسية، وقد جلب معه الكتب الآتية:

- مختصر صحيح مسلم للألباني.
- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك.
- السيرة النبوية لابن هشام.

---

[1] الطالب هو: عبد الرزاق داده، كان من أوائل الطلبة الذين درسوا تعليمهم العالي في دولة الكويت، وكان من الذين يشجعهم الشيخ الحسين على مواصلة طلب العلم.

فجاء الشيخ الحسين لزيارته في بيته، وبعد السلام والتحية وإتمام مستوجبات الضيافة، رأى الشيخ الحسين الكتب فطلب استعارتها، وطلب معها ورقة وقلم ثمّ كتب:

أَلا يَا مُسْتَعِيرَ الكُتُبِ دَعْنِي   فَإِنَّ إِعَـــارَتِي لِلْكُتُبِ عَارُ
فَمَحْبُوبِي مِنَ الدُّنْيَا كِتَابِي   فَهَلْ أَبْصَرْتَ مَحْبُوبًا يُعَارُ[1]

وبعد ثلاثة أيام رجع لصاحب الكتب مرفوقا بورقة كتب عليها: "أنا الممضي أسفله حمادي الحسين بن علي استعرت من الطالب الأنجب ثلاثة كتب وهي: - عناوينها - ...".

فقال الطالب متعجبا!: ولما الورقة يا شيخ؟ فأنت محل الثقة التامة!

فرد الشيخ الحسين: الكتب ميراثك ورزقك أيها الغافل، فلك الحق أن تطالب بها في حالة الموت[2].

فعندما أحب الشيخ الحسين الكتاب إلى هذه الدرجة، وجعل منه المحبوب الأول في الدنيا، كان له الشيخ الأمين، والمعلم المعين، وحق لنا أن نصفه بالمتعلم الصابر، والعصامي المثابر، فغدا العلم ذخره، والمعرفة زاده، وصدق الشاعر حين قال:

---

[1] الأرجح أن هذه الأبيات لطاشكبري زاده، فقد وجدت على ظهر مخطوطه "مختصر في طبقات الحنفية"، مكتبة خدا بخش /الهند/بتنا/رقم:2435، وطاشكبري زاده هو العلامة أحمد بن مصطفى بن خليل، أبو الخير، عصام الدين، تركي الأصل ولد سنة (901 - 968 هـ = 1495 - 1561 م) في بروسة، ونشأ في أنقرة، وتأدب وتفقه، وتنقل في البلاد التركية مدرّسا للفقه والحديث وعلوم العربية. وولي القضاء بالقسطنطينية سنة 958هـ فرمد وكف بصره سنة 961هـ، وهو من مشاهير الموسوعيين العثمانيين وكتاب السير، من مؤلفاته: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. (يلاحظ الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشرة، سنة 2002، الجزء الأول، ص: 257).

[2] لقاء مع الأستاذ عبد الرزاق داده يوم: 13 نوفمبر 2009.

يَا جَامعَ العلمِ نعمَ الذّخرِ تَجْمعُهُ   لا تـعْدلَـنَّ بهِ دُرًّا ولا ذهَـبَا[1]

وقد استفاد الشيخ الحسين من كل لحظة عاشها مع شيخ علم، أو رحلة من رحلاته وتنقلاته، فتكاملت شخصيته في شتى جوانبها، وملك من العلوم زاده الوفير الذي بوأه المنزلة المحترمة بين أهل العلم وعموم الناس، وبرع خاصة في القرآن وعلومه ومنهجية تدريسه واللغة العربية والمواريث والفقه المالكي عموما، "وكان يطالع كثيرا المسائل الفقهية، والنحو واللغة، وفي آخر حياته ولع كثيرا بعلم التجويد"[2].

[1] البيت للشاعر صالح بن عبد القدوس، هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس الأزدي الجذامي، أبو الفضل، وهو من شعراء الدولة العباسية كان مولي لبني أسد، كان حكيما متكلما يعظ الناس في البصرة، اتهم عند المهدي العباسي بالزندقة، فقتله في بغداد سنة 777م (يلاحظ معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002، لكامل سلمان الجبوري، منشورات دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 2002، الجزء الثالث ص: 184).

[2] لقاء مع الأمين نجل الشيخ الحسين حمادي بتاريخ: 31 مارس 2006



الفصل الثاني

الشيخ الحسين حمادي المعلم والمربي

1. مرحلة المكناسي 1918 ـ 1940.
2. المرحلة الأولى بالنخلة 1940 ـ 1957.
3. مرحلة النفي (الرديف) 1957 ـ 1962.
4. المرحلة الثانية بالنخلة (مرحلة الاستقلال) 1962 ـ 1982.

- أسلوبه ومنهجه
- أخلاقه ومناقبه
- نماذج من ورعه وكرمه وإيثاره وزهده وحسن توكله.



الشيخ الحسين حمادي المعلم والمربي

عندما نتحدث عن الشيخ الحسين ومساره التعليمي، فإننا نتحدث عن فترة من العطاء اللامتناهي خدمة لكتاب الله، تمثلت في أربع مراحل هي:

1) **مرحلة المكناسي**: من ربيع 1336هـ / ربيع 1918م إلى 22 رمضان 1359هـ / 23 أكتوبر 1940م.
2) **المرحلة الأولى بالنخلة**: من 22 رمضان 1359هـ / 23 أكتوبر 1940م إلى 22 ذي القعدة 1376هـ / 19 جوان1957م.
3) **مرحلة النفي (الرديف)**: من 22 ذي القعدة 1376هـ / 19 جوان 1957م إلى 03 صفر 1382هـ / 05 جويلية 1962م.
4) **المرحلة الثانية بالنخلة (مرحلة الاستقلال)**: من 03 صفر 1382هـ / 05 جويلية 1962م إلى 29 جمادى الأولى 1402هـ / 24 مارس 1982م.

1) ـ مرحلة المكناسي

من ربيع 1336هـ / ربيع 1918م إلى 22 رمضان 1359هـ / 23 أكتوبر 1940م.

وتمثل هذه المرحلة تجربة الشيخ الحسين الأولى مع التعليم القرآني، والتعليم عموما وتحمّل العبء الثقيل مبكرا وهو في أوج شبابه، وما كان متعجلا لخوض مثل هذه التجربة، بل كان عازما على مواصلة طلب العلم فيها، لكن الحالة الاجتماعية والاقتصادية للأسرة والحاجة الماسة لما يسدّ الرمق من المال وكفاف العيش اليومي، المحرك الرئيس، والدافع الأكبر

لمغادرته زاوية "سيدي إبراهيم" بنفطة وكان عمره آنذاك 18 سنة - أي سنة 1918 - ، كما كانت الفيصل بين تعلقه الشديد بمواصلة الدراسة والتوجه للحياة العملية.

وقدّر الله أن يلتقي الشيخ الحسين بـ "الحاج الصادق بن أحمد بن علي العمامي"[1] الذي طلب منه أن يرافقه إلى منطقة "المكناسي" وبالضبط إلى بلدة "الخرّوبة" الواقعة جنوب "جبل المالوسي" حيث تتمركز "عائلة العمامي" ليدرّس أبناء العائلة هناك، وبعدما استشار "الحاج الصادق" إخوته التسعة وتمت الموافقة، نزل الشيخ الحسين بدار "بلقاسم بن أحمد بن علي العمامي" المحاذية لجامع سيدي "أحمد بن الناصر" حاليا وفتح المدرسة القرآنية أواخر ربيع سنة 1918م، "سي الحسين كان يدرّس في قاعة ملاصقة للقاعة التي فيها ضريح سيدي أحمد بالناصر"[2]، وانطلق الشيخ الحسين حمادي يخوض تجربته الأولى مع التعليم القرآني بنجاح، وما ساعده على ذلك هو الجو العام والظروف الحسنة التي وفرتها له "عائلة العمامي"، فهي عائلة مقتدرة ماديا بما ملكت من أغنام وأراضي فلاحية وعقارات، ومن وجهاء منطقة المكناسي ـــ الخرّوبة ـــ والمتجذرين النافذين بها، فاعتبروه أحد أفراد الأسرة وله من الحقوق والواجبات ما على أفرادها.

حظي الشيخ الحسين في "المكناسي" - الخرّوبة - بعظم الاحترام، ووافر التقدير، والمكانة العلية، وشريف الاسم فنادوه "سيدي الحسين"، وسمّوه "سي الحسين السوفي" ولا أحد يعرف غير هذا الاسم، صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم، شريفهم وحقيرهم، مأمورهم وأميرهم.

---

[1] سبق التعريف به في الفصل الأول (الشيخ الحسين حمادي بين عائلة العمامي).

[2] رسالة الدكتور محمد نجيب العمامي بتاريخ: 03 جويلية 2012.

وقد كانت أعمال الرجل أعلى صوتا من أقواله، والصدق والإخلاص لسان حاله، فغدا لطلبته القدوة والمثال، فتأثروا به شديد التأثر، وتحوّل عندهم الصعب إلى ميسّر، يقول أحد طلبته: "كان سي الحسين يدرّسنا القرآن الكريم وبعض الفنون الأخرى كاللغة والنحو والصرف والفقه ونحوها، كما كان نموذج المربّي المثالي، له أخلاق رفيعة وحياء، كما اتصف بالذكاء والفطنة وسعة الصدر، وباختصار لا أستطيع أن أجد الوصف الذي يفيه حقه"[1].

فكانت النتيجة عدد ممن حفظ القرآن على يديه وأعدّهم للالتحاق بمؤسسات العلم كالمدارس الرسمية والزيتونة، وعدد وفير ممن فك أمّيته، لا نستطيع تحديد أسمائهم بدقة غير أنهم أصبحوا من إطارات تونس وخدّامها قبل الاستقلال وبعده، ويرجع الفضل لله أولا ثم لجدهم مؤسس العائلة "أحمد بن علي العمامي" الذي كان حريصا على تعليم أبنائه بجلب المؤدبين لهم، فأصبح عمله هذا تقليد وسنة واصلها أحفاده من بعده، ثم للشيخ الحسين الذي بذل أقصى جهوده لنشر العلم وتكوين الإنسان، وأخلص في ذلك، فلم يقدّم غيره ما قدّمه - الشيخ الحسين - لهذه العائلة من الناحية العلمية والتربوية، ولم يحض الشيخ الحسين بالتكريم والاعتراف بالجميل والحسنى والمحبة والرعاية مثلما حضي بها وهو بين أحضان عائلة العمامي، فهو المعلم والمربي والمؤدب والإمام والابن والأخ والصديق، ولذلك كان أثره طيبا، ومردوده وافرا، وتلامذته كُثر، وكانت هذه النهضة التعليمية

---

[1] الأستاذ عمر بن الكامل بن أحمد بن علي العمامي، اتصال هاتفي بتاريخ: 11 أفريل 2012.

التي اتسمت بها العائلة لها أثرها الإيجابي على تونس في البناء والهيكلة والتأطير.

"تعتبر عائلة العمامي أكبر عائلة في منطقة المكناسي أمدت البلاد بالإطارات قبل الاستقلال وبعده بسنوات، معلمين وأساتذة ومحامين وقضاة ومهندسين وأطبّاء وغيرهم"[1].

وفي "المكناسي" - الخرّوبة - لم ينقطع الشيخ الحسين عن الدراسة والتحصيل، والرقي بمستواه العلمي والثقافي عموما، وبقيت نفسه تحدثه بمواصلة الدراسة وطموحه يحفزّه للمزيد، وقد توفرت له بعض الشروط، منها الإحساس بالراحة والطمأنينة، ومنها حصوله على غرفة خاصة بجانب المسجد انقطع فيها للعلم وملاقاة أهله، والتحضيرات المكثفة للدخول إلى جامع الزيتونة.

2) - المرحلة الأولى بالنخلة

من 22 رمضان 1359هـ / 23 أكتوبر 1940م.

إلى 22 ذي القعدة 1376هـ / 19 جوان1957م.

في صيف سنة 1940م قدم الشيخ الحسين إلى "النخلة" في زيارة عائلية بمناسبة حلول شهر رمضان المعظم، ويشاء الله أن تكون هذه الزيارة الفيصل في حياته، حيث توفي والده الطالب "علي بن حمادي" يوم الأربعاء 22 رمضان سنة 1359هـ/ 23 أكتوبر سنة 1940م وأوصاه خيرا بالمسجد والمدرسة القرآنية والجماعة ببلدة "النخلة"، وكان نص الوصية: "صلى جدّي العشاء منفردا في البيت وقبل أن يضع رأسه على

[1] رسالة الدكتور محمد نجيب العمامي بتاريخ: 07 أفريل 2012.

الوسادة قال لجدتي: قولي للحسين يهنّيني على الجماعة في الصباح إن حدث ما يُقدّر الله به"[1].

وبالفعل قدّر الله ما هو قاض، وتوفي الوالد "الطالب علي" في تلك الليلة، وصلى الشيخ الحسين التراويح والصبح بالجماعة في ذلك اليوم تنفيذا للوصية، هذه الوصية التي جعلت الشيخ الحسين يستقر نهائيا بالنخلة ويستسلم طاعة لله ثم لوالده.

واصل الشيخ الحسين نشاط والده بالمدرسة القرآنية التي أسس نواتها حوالي سنة 1916 بالمسجد العتيق بالنخلة[2]، ليسدّ الفراغ التعليمي الرهيب الذي تشهده المنطقة آنذاك، فلا مؤسسات تعليم رسمية، وإن وجدت فالناس لا يحبذون التعلم فيها معتبرين المدارس الفرنسية هدفها التمسيح والتبشير والقضاء على مقومات الشخصية العربية الإسلامية، ولا مؤسسات للتعليم الحر ولا غير ذلك من الهياكل التعليمية، فكان الدور والمهمة للمدارس القرآنية وشيوخ العلم، ومن أمثلتها في منطقة "عميش"[3]:

- مدرسة الشيخ الإمام الشريف بالرباح سنة 1896، (تابعة لزاويته بالرباح)

---

[1] لقاء مع الأمين حمادي نجل الشيخ الحسين يوم: 07 أفريل 2006.

[2] المسجد العتيق بالنخلة ونعني به مسجد حي النخلة الشرقية والذي يسميه البعض "مسجد الشيخ الحسين"، ففي النخلة قديما كان يوجد مسجد واحد يقع غرب الصيدلية القديمة أي غرب قسمة جبهة التحرير الوطني حاليا، بني حوالي سنة 1910، وعندما ازداد السكان ولحقت به أتربة الغيطان تم الاتفاق بين الحيين - حي النخلة الشرقية والنخلة الشمالية - على هدم هذا المسجد وتوزيع أحجاره وكان ذلك حوالي سنة 1914، ليبني كل حي مسجدا خاصا به، فتم بناء مسجد حي النخلة الشمالية أوائل سنة 1915، في حين تم بناء مسجد النخلة الشرقية أواخر سنة 1915، وكان إمامه الأول الطالب علي بن حمادي من سنة تأسيسه إلى سنة 1940، ثم تلاه نجله الشيخ الحسين حمادي من سنة 1940 إلى سنة نفيه إلى تونس 1957، ثم عاد الشيخ الحسين إلى إمامته من سنة 1962 إلى سنة وفاته 1982، .

[3] عميش: هي الجهة الجنوبية من الوادي وتمثل حاليا: البياضة، الرباح، النخلة، والعقلة.

- مدرسة الشيخ الهاشمي الشريف بالبياضة سنة 1907، (تابعة للزاوية القادرية بالبياضة)
- مدرسة جامع القرافين بالبياضة حوالي سنة 1944.
- مدرسة الشيخ الصادق بالي بالفطاحزة سنة 1944، (بين الرباح والبياضة، وكانت تسير وفق منهج جمعية العلماء المسلمين).

ولنا أن نتصور عظم المسؤولية التي تحملها الشيخ الحسين وأمثاله للنهوض بالتعليم في تلك الفترة التي غشاها الظلام من كل جانب، وأحاط بها الفقر من كل صوب، وسادت فيها أفكار لا تجعل التعلم من أولويات الحياة، رغم الاحترام الشديد للعالم ومعلم القرآن تحول أحيانا إلى شيء من القداسة، فأطلقوا عليه "الطالب" أو "نعم سيدي"، أما الشيخ الحسين فقد عرف بـ: "نعم سيدي الشيخ".

تولى الشيخ الحسين مهمة التعليم دون أجر، ولا مقابل ينتظره، غير الثواب من الرّازق الوهّاب، أو ما ألفته العادة من تقديم بعض العطايا البسيطة من طرف أولياء المتعلمين كـ "الفتوح"[1]، "الختمة"[2]، "الحَضُور"[3]، و"الأربعية"[4]، وما تكرّم به أهل الإحسان في المناسبات والأعياد مثل عيد رجب، شعبان،

---

[1] الفتوح: وجاءت من الفتح، أي بداية الصبي في الدراسة، وربما جاءت من الفتح أي دعاء الفتح، عندما يقال لطالب العلم "الله يفتح عليك" والفتوح هو شيء من التمر أو نحوه، يحمل إلى المعلم في أول دخول الصبي.

[2] الختمة: وجاءت من الختم أي ختم القرآن أو جزء منه، وهي ما يقدم من طعام أثناء حفظ شيء من القرآن، كالربع أو النصف أو القرآن كاملا، توزع على الصبيان وإن بقي منها شيء فللمعلم نصيب أيضا.

[3] الحضور: ما يثبت به الصبي حضوره، وهو ما يحمله الصبيان من الحطب للمعلم ولتجفيف الألواح والتدفئة، وعادة ما يكون يوم الثلاثاء.

[4] الأربعية: وجاءت من يوم الأربعاء لأنها عادة ما تقدم يوم الأربعاء، وهو ما يقدمه أولياء الصبيان للمعلم من المال تطوعا وحسب المقدرة.

رمضان، القدري "ليلة القدر"، عاشوراء، المولد النبوي، عيد الفطر، عيد الأضحى، وموسم جني التمور...

وكان للشيخ الحسين مهام متعددة فهو معلم للقرآن، وإمام للصلاة الجامعة، وخطيب وواعظ على المنبر، ومعلم لمختلف العلوم والفنون التي تؤهل للدخول إلى زوايا العلم وجامع الزيتونة، يقول أحد تلاميذه: "درسنا عند الشيخ الحسين الصرف والنحو والأجرومية، والفقه والسيرة النبوية"[1].

كما كان معلما لمحو أمية الكبار وتعليمهم شؤون دينهم وفقه عباداتهم ومعاملاتهم، ومفتيا يعود إليه الناس لطرح قضاياهم الفقهية، وقاضيا شرعيا - غير معتمد رسميا - لحل القضايا الأسرية والاجتماعية، والنزاعات الفلاحية، وإصلاح ذات البين عموما.

لكن تميزه في التعليم القرآني كان ملفتا للانتباه، ونجاحه كان باهرا، وطريقته كانت سلسة، جذبت نحوه الطلبة فقصدوه من النخلة الغربية والشرقية والشمالية، نزلة الفراحيت[2]، نزلة لمّامنة[3]، نزلة الغنابزية[4]، نزلة العطاالله[5]، نزلة لبّايتة[6]، العقيلة[7]، والعقلة[8]، فتعددت مستوياتهم، واختلفت قدراتهم، وتنوعت مشاربهم، وتفاوتت أعمارهم، وفيهم السليم المعافى،

---

[1] لقاء مع عبد القادر مرزوقي يوم: 23 ماي 2010، للعلم فإن عبد القادر مرزوقي من طلبة الشيخ الحسين الذين التحقوا بالزيتونة سنة 1948، وتخرج منها ليعمل بعد الاستقلال في قطاع التربية والتعليم إلى أن تقاعد سنة 1990.

[2] نزلة الفراحيت: مجمع عائلي صغير يقع بين النخلة وجنوب الرباح، بمحاذاة الطريق الجديد الرابط بين حي النخلة الغربية وحي البغازلية بالرباح.

[3] نزلة لمامنة: تقع غرب حي النصر حاليا.

[4] نزلة الغنابزية: حي النصر ببلدية النخلة حاليا.

[5] نزلة العطاالله: حي البدر ببلدية النخلة حاليا.

[6] نزلة لبّايتة: مجمع عائلي يقع شرق حي البدر حاليا، على الطريق الرابط بين الحي المذكور والعقيلة.

[7] العقيلة: حي من أحياء بلدية العقلة حاليا، وتبعد عن النخلة حوالي 2 كلم.

[8] العقلة: بلدية العقلة حاليا، جاء بها التقسيم الإداري لسنة 1984، وتبعد عن النخلة حوالي 4 كلم.

وفيهم ذوي الحاجات الخاصة، خاصة فاقدي البصر، "ويصل عدد الطلبة عند الشيخ الحسين إلى التسعين وحتى المائة أحيانا، أما عدد السبعين طالبا فهو عدد ثابت على الدوام"[1]، فكان لابد للشيخ الحسين أن يبذل جهودا إضافية للتعامل مع تلاميذه، وأن يوظف عبقريته ليفيد طلاب العلم، وقد أعطاه الله من النباهة والفراسة ما يجعله قادرا على تصنيف طلبته، ودراسة قدراتهم العقلية وملكاتهم الكامنة، "فيعرف من سيحفظ القرآن كاملا، ومن سيحفظ النصف، ومن سيحفظ الربع، ومن سيتعلم الكتابة والقراءة وهكذا"[2].

لقد اكتسب الشيخ الحسين خبرة وافية في التعليم القرآني، تعدّت العشرين سنة في "المكناسي" بتونس، جعلته مؤهلا للسير الحسن في طريق النجاح، مالكا لمفاتيح سر هذه المهنة، ماهرا في توصيل رسالته السامية، رغم الصعوبات الجمّة التي شهدتها تلك الفترة التاريخية، والتي أثرت بالغ التأثير على الحياة العامة، ومست الناس جسديا وصحيا وأمنيا، ومنها:

1) الحرب العالمية الثانية (1939- 1945)، وما نتج عنها من دمار ومصائب فانتشر أثرها السلبي على العالم بأسره، فكانت سنة 1945 في "وادي سوف" تعرف بـ "عام الشر"، و"عام الحلبة"، و"عام المرض" حيث الجوع القاتل ولا طعام غير القليل من الحلبة، وفوق كل هذا انتشار الأمراض القاتلة والمعدية التي أبادت الناس، ففر معظمهم إلى البوادي لعلها تكون المانعة، "أما نعم سيدي - الشيخ الحسين - فقد

---

[1] الشيخ محمد الكبير خالدي حصة أسماء في الذاكرة الجزء 02، إنتاج إذاعة الوادي الجهوية، ماي 2007.

[2] لقاء مع الشيخ محمد الكبير خالدي يوم: 04 جوان 2009.

مرت عليه سنوات صعبة جدا من 1944 إلى 1950 لا يملك في بيته سواء ماء البئر أحيانا"[1]

2) أمّا سنة 1947 فهي سنة الرّيح وسنة "الزمّة" أي القحط الشديد والجفاف الذي حطّم كل شيء، فغدت البوادي قفارا وفرّ النّاس منها بحثا عمّا يؤمن القوت اليومي، فزادت صعوبة وتعقيدا لِمَا ترتب من آثار سنة 1945، وتواصلت هذه الوضعية الصعبة حتى سنة 1951 أي سنة "مطر الملح" حيث نزلت المطر ولم تكن غيثا نافعا، فكان نبتها قليلا ومردودها ضئيلا.

3) اندلاع الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر سنة 1954 فكان الشيخ الحسين من المؤمنين بها والداعمين لها، فتضاعفت مسؤولياته وكثرت التزاماته، فضلا عن المضايقات والرقابة الشديدة التي فرضها عليه المستعمر للحد من نشاطه، انتهت بتحقيقات متعددة أدت إلى نفيه إلى تونس سنة 1957.

4) انشغال الناس بتأمين لقمة العيش وصراعهم مع الطبيعة القاسية، فالحياة آنذاك كانت تتمثل في الرحلة والرعي في البادية، أو غراسة النخيل ومقارعة الرمال في الحاضرة، هذا لمن كان مالكا وقادرا على ذلك وهم أقلية، أما البقية وهم الأغلبية يرزحون تحت خط الفقر، وفي مثل هذه الحال ليس من السهل أن يصبح التعلم على رأس قائمة الأولويات.

ورغم كل هذه الظروف العصيبة إلا أن جهود الشيخ الحسين أتت بثمارها، فأصبح كل بيت في "النخلة" فيه من يكتب أو يقرأ الرسالة على الأقل، كما تخرج على يديه في هذه الفترة

---

[1] لقاء مع الشيخ محمد الكبير خالدي يوم: 04 جوان 2009.

(1940- 1957) ثلة من الشباب تحفظ القرآن وتحمل من مبادئ العلوم الأخرى ما يمكنها من دخول زوايا العلم وجامع الزيتونة ولتصبح بعد الاستقلال من بناة الوطن وإطارات الأمة ومنهم:

الاسم	اللقب	المهنة	ملاحظات
محمد الكبير	خالدي	مسؤول سياسي (درس بفرع الزيتونة بتوزر)	متقاعد حاليا
عبد القادر	مرزوقي	معلم (خريج الزيتونة)	متقاعد حاليا
عمر	شويرفات	معلم قرآن (متطوع)	متقاعد حاليا
الأمين	حمادي	مجاهد	متقاعد حاليا
الساسي	حمادي	ممرض	متوفي
خليفه	حمادي	مفتش للتربية والتعليم	متقاعد حاليا
علي	حمادي	مدير مدرسة	متقاعد حاليا
أحمد	سواكر	إمام ومعلم قرآن	متوفي
محمد	سواكر	تاجر	=
عثمان	سواكر	مغترب	متوفي
محمد المكي	بن علي	طالب بفرع الزيتونة	شهيد
الحفناوي	بن علي	ضرير	متوفي
مبروك	بن علي	إمام متطوع وداعية	متوفي
عبد الرحمان	بن علي	مدير مدرسة	متقاعد حاليا
مسعود	بن علي	مجاهد ومحامي	نائب بالبرلمان حاليا
الضيف	بن علي	إمام خطيب	متقاعد حاليا
الطاهر	حميداتو	إمام خطيب	متقاعد حاليا
عمار	حميداتو	معلم قرآن	متقاعد حاليا
لزهاري	حميداتو	معلم (ختم القرآن لاحقا)	متقاعد حاليا
مبروك	حميداتو	معلم قرآن	متقاعد حاليا
الطاهر	بقاص	معلم قرآن (متطوع)	متوفي
بشير	بقاص	إطار في التربية	متقاعد حاليا

عثمان	بقاص	طبيب	ممارس حاليا
الطيب	داده	مجاهد	متوفي
عبد القادر	داده	=	شهيد
علي	دوش	إمام خطيب	متقاعد حاليا
علي	دوش	عامل بشركة وطنية (التحق بالثورة قبل ختم القرآن)	متقاعد حاليا
لخضر	دوش	عامل بشركة وطنية (التحق بالثورة قبل ختم القرآن)	متقاعد حاليا
عبد الله	دوش	ختم القرآن لاحقا	متقاعد حاليا

3) ـ مرحلة النفي (الرديف)

من 22 ذي القعدة 1376هـ / 19 جوان 1957م إلى 03 صفر 1382هـ / 05 جويلية 1962م.

وتبدأ هذه المرحلة فعليا حوالي منتصف جويلية سنة 1957 عندما استقر الشيخ الحسين في بلدة "الرديف"[1] بالجمهورية التونسية، بعدما نفته السلطات الاستعمارية من "النخلة" بتاريخ: 22 ذي القعدة 1376هـ / 19 جوان 1957م، حينها طلب منه بعض اللاجئين من أهل سوف تأسيس مدرسة قرآنية هناك، وبعد تفكير عميق في الموضوع اعتذر على ذلك، وحجته أنه يدرّس القرآن دون مقابل، وهذا يضع المدارس الموجودة آنذاك في "الرديف" والتي تأخذ مقابلا رمزيا شهريا من طلبتها في حرج شديد، لكن ذلك لا يعني أن الشيخ الحسين أوقف مسيرته التعليمية في "الرديف"، وهو الذي يعتبر تعليم

---

[1] الرديف: أحدى معتمديات ولاية قفصة حاليا، تقع بغربها أي في الجنوب الغربي التونسي، بمحاذاة الحدود الجزائرية، بلغ سكان الرديف حوالي 27940 نسمة حسب إحصاء سنة 2004، اشتهرت بمناجم الفسفاط، كان بها عدد هائل من العمال والمهاجرين واللاجئين الجزائريين.

القرآن أمانة عظمى كما قال لابنه الأمين: "منحنا الله القرآن وسيحاسبنا عليه، ولذلك أقترح عليك أن نتوزع للتدريس بالمدارس القرآنية مجانا"[1].

فكان اختيار الشيخ الحسين التدريس بمدرسة "محمد بقاص"[2] وكان يتولى شؤونها آنذاك ابنه "عبد الرزاق"[3] بعدما أصيب الوالد بوعكة صحية ألزمته الفراش، أمّا ابنه "الأمين" فقد اختار مدرسة "عماره الدبيلي" الملقب "بن الميعادي"[4] كمساعد في التعليم مع احترافه مهنة الخياطة لإعالة العائلة، وكان يتولى شؤون هذه المدرسة آنذاك الشيخ "محمد الكبير خالدي"[5]، لأن "عماره الدبيلي" "بن الميعادي" أستدعي إلى "المتلوي"[6] للعمل بالإمامة والتعليم القرآني بأحد مساجدها.

ورغم الظروف النفسية والاجتماعية الصعبة التي ألمّت بالشيخ الحسين جرّاء النفي والرحلة الإجبارية التي لم يستعد لها ولم تكن مبرمجة في تراتيب حياته، إلا أنه أدّى واجبه على أكمل وجه بـ "الرديف" وإلى آخر لحظة كان يتمناها كل

---

[1] لقاء مع الأمين يوم: 07 أفريل 2006.

[2] محمد بقاص: هو الطالب محمد بقاص من مواليد 1879 بالنخلة، من حفظة كتاب الله ومن المشتغلين بتدريسه، أسس مدرسة قرآنية بالرديف، أصيب بالمرض بعد عامين من فتح المدرسة فتولى ابنه عبد الرزاق شؤونها، توفي سنة 1965 بالنخلة ودفن بمقبرتها.

[3] عبد الرزاق بقاص: ابن محمد بقاص ولد سنة 1929 بالنخلة، اشتغل بالتعليم القرآني قبل الاستقلال، ثم بالتربية والتعليم بعد الاستقلال، توفي يوم: 29 فيفري 1992.

[4] عماره الدبيلي: هو عماره الدبيلي بن الميعادي بن عمر ولد سنة 1916 بالنخلة، حفظ القرآن الكريم على يد الطالب علي بن حمادي سنة 1928، رحل إلى المتلوي ثم إلى الرديف وأسس مدرسة قرآنية بها، بعد الاستقلال اشتغل بالتربية والتعليم حتى سنة 1978 حين ألمّ به المرض، توفي رحمه الله بتاريخ: 06 جانفي سنة 1985.

[5] محمد الكبير خالدي: معلم قرآن ومجاهد ولد سنة 1937 بالعقلة، حفظ القرآن الكريم سنة 1949 على يد الشيخ الحسين حمادي، ثم درس بزاوية سيدي إبراهيم في نفطة وجامع فركوس عندما كان فرعا للزيتونة.

[6] المتلوي هي معتمدية من معتمديات ولاية قفصة، تقع بين قفصة وتوزر، أي في الجنوب الغربي لتونس، ومحاذاة الحدود الجزائرية التونسية، وهي أكبر مركز للفسفاط، ولذلك قصدها الجزائريون للعمل والهجرة أثناء الثورة، ويبلغ عدد سكانها 90000 نسمة حسب إحصاء سنة 2004.

جزائري، وهي لحظة الاستقلال والحرية حين عاد إلى موطنه الأصلي الجزائر وبلدته الصغيرة التي أحبّها "النخلة".

4) ـ المرحلة الثانية بالنخلة (مرحلة الاستقلال) من 03 صفر 1382هـ / 05 جويلية 1962م إلى 29 جمادى الأولى 1402هـ / 24 مارس 1982م.

وكان مطلع هذه المرحلة مع مطلع فجر الحرية والاستقلال للبلاد والعباد يوم: الخميس 03 صفر 1382هـ / 05 جويلية 1962م، حين عاد الشيخ الحسين من منفاه بتونس إلى بلدة "النخلة"، التي رحل عنها مرغما، والحنين يشده إليها طيلة خمس سنوات وما يزيد، وصدق الشاعر حين قال:

وَحَبَّبَ أَوْطَانَ الرِّجَالِ إِلَيْهِمْ ... مَآرِبُ قَضَاهَا الشَّبَابُ هُنَالِكَا

إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَّرَتْهُمْ ... عُهُودُ الصِّبَا فِيهَا فَحَنُّوا لِذَلِكَا[1]

وفور العودة باشر الشيخ الحسين مهامه السابقة وهي التعليم القرآني والإمامة والإفتاء، في ظروف اختلفت كثيرا عن المراحل السابقة ومن هذه الظروف:

1) نعمة الحرية والاستقلال وانتهاء كل المضايقات التي لاحقت التعليم القرآني والديني عموما في الجزائر إبّان حقبة الاستعمار.
2) تشجيع الدولة الجزائرية لكل المبادرات التعليمية الرامية إلى تكوين الإطارات التي ستساهم في بناء الوطن وتسيير شؤونه في شتى مجالات الحياة.

---

[1] الأبيات لابن الرومي (221 - 283هـ / 836 - 896 م) وهو علي بن العباس بن جريج أو جورجيس، الرومي.

3) دعم وتشجيع الدولة الجزائرية للتعليم القرآني، ويتجلى ذلك بهيكلة المدارس القرآنية ودعمها، وتوظيف معلمي القرآن وتثبيتهم بعد أشهر قليلة من الاستقلال.

4) على المستوى المحلي ظهور مدارس التعليم الرسمية، ونعني المدرسة الابتدائية في بلدة "النخلة" مسقط رأس الشيخ الحسين وقد بنيت بحجرتين فقط في إطار مشاريع الجنرال ديغول سنة 1959، واستقبلت التلاميذ في الموسم الدراسي 1961/1960، تحت اسم:

Ecole Primaire de Garçons - Nakhla

أي المدرسة الابتدائية للفتيان - النخلة، وقد التحق بها آنذاك خمسون تلميذا من جميع أحياء بلدية النخلة الحالية إضافة إلى تلاميذ بلدتي "العقلة" و"العقيلة"، وتكونت هيئة التدريس فيها من معلمين فرنسيين هما: Vert Jean وزوجته Vert Suzanne [1]، ثم تطورت هذه المدرسة بعد الاستقلال واستقطبت المزيد من الطلبة، ويرجع ذلك لتغير نظرة الناس للتعليم الرسمي بعدما أصبح جزائريا وبإطارات جزائرية، لكن الناس لم يتركوا التعليم القرآني، فأغلب الداخلين للتعليم الرسمي يمرّون على الشيخ الحسين أولا، ويواصلون بالمدرسة القرآنية خارج أوقات الدوام.

5) بعث وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية سنة 1971 بموجب أحكام المرسوم رقم: 71 – 299 المؤرخ في 31 ديسمبر 1971[2]، وإنشائها لمعاهد التعليم الأصلي الديني في مختلف ربوع الوطن، وكان نصيب منطقة "وادي سوف"

---

[1] Registre Matricule des élèves admis a l' Ecole / Année Scolaire: 1960/1961

[2] يلاحظ الموقع الرسمي لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية: http://www.marwakf-dz.org

"معهد التعليم الأصلي بالوادي"[1] - ثانوية بوشوشة حاليا - إلى غاية إلحاق التعليم الأصلي بوزارة التربية بموجب مرسوم رقم 77- 139 مؤرخ في 24 شوال 1397 الموافق 08 أكتوبر 1977 المتضمن إلحاق التعليم الأصلي بوزارة التربية[2].

وكان الدخول للمعهد الإسلامي يشترط فيه حفظ ستة أحزاب من القرآن على الأقل، إضافة إلى شهادة نهاية التعليم الابتدائي أو ما يعادلها، أو القرآن كاملا، وكان أغلب الملتحقين بهذا المعهد من "النخلة" هم من طلبة الشيخ الحسين.

6) الاستقرار السكاني الذي عرفته بلدة "النخلة" بداية من سنة 1958 حين صنفت كبلدية، وازداد هذا الاستقرار بعد الاستقلال، ورافقته نهضة فكرية ورقي بالمستوى المعاشي والثقافي جعل طلب العلم من الأولويات.

أما الشيخ الحسين فلم تتغير ظروفه ولم تتحول أهدافه، حيث واصل مسيرته بنفس العزم والثبات في مرحلة جديدة تميزت بـ:

أ- الاستقرار النفسي والاجتماعي وزوال كل المضايقات والضغوط التي عرفها قبل الاستقلال.

ب- استقرار الشيخ الحسين التام ببلدة "النخلة" ولم يعد هناك ضرورة للرحلة والسفر الطويل الذي يعوق مسيرة التعليم القرآني، غير رحلتي الحج الأولى في شهر ذي الحجة

---

[1] معهد التعليم الأصلي بالوادي: بني من طرف سكان الوادي، استقبل الطلبة في هذا المبنى سنة 1969، بدأ بمرحلة التعليم المتوسط ثم الثانوي حوالي سنة 1973، بعد إلحاق التعليم الأصلي بوزارة التربية تحول معهد الوادي إلى ثانوية بوشوشة بتاريخ: 01 جانفي 1978. (لقاء مع العربي عبيد أحد إطارات المعهد بتاريخ: 25 جوان 2010)

[2] المرجع نفسه: http://www.marwakf-dz.org

1388هـ / فيفري 1969م، والثانية في شهر ذي الحجة 1394هـ / نوفمبر 1974م.

- توظيف الشيخ الحسين سنة 1963، وكان لا يرغب في الوظيفة، "فعندما حضر المكلف بالتوظيف ويقال له البيضاوي، طلب منه الشيخ الحسين أن يوظف المسجد بدل ان يوظفه"[1]، ويقصد بتوظيف المسجد أن تخصص مبالغ مالية لخدمة ورعاية شؤون المسجد العامة.
- تقدم الشيخ الحسين في السن ـ كان عمره عند الاستقلال 62 سنة ـ وسوف يكون للسن أثره الواضح في حياته العملية والعلمية.
- العلاقة التكاملية بين مجهود الشيخ الحسين بالمدرسة القرآنية ومؤسسات التعليم الرسمي، ولم يعترض الشيخ الحسين على المزاوجة بين التعليمين، بل كان يشجع طلبته الذين لم يدرسوا مرحلة التعليم الابتدائي على الالتحاق بمعهد التعليم الأصلي بالوادي حتى يدمجوا ضمن التعليم الرسمي، وكان نجله "بوبكر" واحدا منهم[2].
- العدد الهائل من الطلبة الملتحقين بالتعليم القرآني خاصة في الفترة الصيفية بنية حفظ القرآن كاملا أو جزءًا منه.
- التطور والانتشار الذي شهده التعليم القرآني عبر أحياء بلدة "النخلة"، بل وصل إلى فتح مدارس موسمية صيفية ومدارس للبنات والنساء في بعض الأحياء خاصة في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات، حتى سمّاها البعض "بلدة القرآن".

[1] لقاء مع الطالب الطاهر بقاص الجمعة: 23 مارس 2007، توفي الطالب الطاهر بقاص رحمه الله في شهر أوت 2007.
[2] لقاء مع نجله بوبكر بتاريخ: 21 مارس 2009.

وإذا كانت المدارس القرآنية في هذه الفترة وقبلها موجودة في كل مسجد، إلا أن طريقة الشيخ الحسين المميزة وأسلوبه الشيّق وموهبته التربوية، وتدريسه لبعض العلوم الأخرى ضمن برنامج متكامل يمنح الطالب ثقافة متنوعة تعده لحياته العامة أو تساعده على مواصلة تعليمه الذي يختاره، لفتت انتباه طلاب العلم له، ولذلك فمعظم حفظة القرآن على يده في هذه الفترة أهّلهم للدخول إلى معهد التعليم الأصلي بالوادي بمرحلتيه المتوسطة والثانوية.

ومن طلبته الذين ختموا القرآن في هذه الفترة وأصبحوا من الإطارات في مختلف الأسلاك نذكر منهم:

الاسم	اللقب	المهنة	ملاحظات
عبد الله	حميداتو	معلم قرآن	=
صالح	حميداتو	معلم	متقاعد حاليا
العربي	حميداتو	معلم	متقاعد حاليا
بوبكر	حمادي	أستاذ	متقاعد حاليا
المولدي	شويرفات	معلم	متقاعد حاليا
عبد الرزاق	دبار	معلم قرآن	=
أحمد	قدوري	إمام	=
عمار	بيكي	إمام	=
مسعود	مسعي عون	معلم قرآن (أكمل حفظ القرآن لاحقا)	متقاعد حاليا
التهامي	مسعي عون	=	متوفي

أسلوبه ومنهجه

عندما كان همّ الناس رعي الغنم وتكسّبها، وغرس النخيل وإكثارها، كان همّ الشيخ الحسين غرس كتاب الله في صدور الناشئة، وعندما كانوا يكدحون من أجل تأمين لقمة العيش في زمن عصيب، كان الشيخ الحسين يكدح لتنوير صدور أراد المستعمر أن يديم الغشاوة عليها، وعندما كانوا يتفننون ويبدعون طرقا ذكية للتغلب على الطبيعة الصحراوية وحركة الرمال وإبداع غيطان جديدة، كان الشيخ الحسين يتفنن في إبداع الأساليب السلسة والمرنة الذكية لترغيب الناس لحفظ القرآن الكريم وحب العلم، وقد حباه الله بخصال منها:

- إيمان عميق بما يفعل وصبر جميل على ما يفعل.
- صدق وإخلاص لله وتفان في خدمة كتابه.
- الحرص على أداء الأمانة، وأداء الأمانة التبليغ، وهو القائل: "منحنا الله القرآن وسيحاسبنا عليه"[1].
- عقل راجح وحكمة نافذة لفهم محيطه وتقدير حاجاته.
- التمكن في التعليم والتحكم في فنونه.
- فيض من الحب للطالب النجيب، وفيض من الحب وسعة صدر للطالب المتعثر.
- العدل والمساواة بين الطلبة في الاهتمام والرعاية التربوية.
- موهبة خارقة وحنكة بارعة وملكة خلاقة وبصيرة يصنف بها قدرات طلبته العقلية والنفسية، لمعرفة احتياجاتهم.

---

[1] قال هذا الكلام لنجله الأمين عندما وصلوا إلى الرديف بعد النفي صيف سنة 1957، لقاء مع الأمين يوم: 07 أفريل 2006.

- لين وسلاسة ومعاملة حسنة شدّ بها العازفين ورغّب بها النافرين.
- التفرغ التام للتعليم، ولا هدف بين عينيه إلا خدمة القرآن الكريم والعلم عموما.
- الفرح الشديد والإحساس بالنصر والغبطة والسعادة عندما يحفظ أحد طلبته القرآن، ويعبر على ذلك: "عندما يحفظ طالب القرآن خير لي من ستين جبّاراً"[1].
- الرحمة الفيّاضة على طلبته الفقراء والمحتاجين ومعاملتهم معاملة خاصة.
- روح الطرفة والدعابة حين يسيطر الفتور والملل، والبشاشة لكسر الروتين وتجديد العزم والهمّة.
- تركه للعقوبة بكل أنواعها، وكان شعاره: "القرآن منحة من الله، ومنحة الله لا تقترن بالعقوبة"[2].

لا نغالي لو قلنا أن الشيخ الحسين سبق عصره، كما سبق كل النظريات التربوية الحديثة التي أوصت وألحّت على ترك العقوبة جسدية كانت أم لفظية، ولا نبالغ لو قلنا أن هذا الرجل قد حمل من الإيمان العميق واليقين الراسخ بأنه مجرد وسيلة سخرها الله لتوصيل كتابه العزيز إلى صدور الأجيال، وأنه مطالب بالحرص والاجتهاد وغير مسؤول على النتائج، وكان هذا الفهم العميق أساس أسلوبه السلس، وحجر الزاوية لطريقته المثلى، وسر نجاح منهجه القويم في تدريس كتاب الله.

---

[1] لقاء مع الشيخ محمد الكبير خالدي يوم: 04 جوان 2009، كذلك حصة أسماء في الذاكرة الحلقة الثانية بتاريخ: 03 ماي 2007، وهي حصة في أربع حلقات خاصة بالشيخ الحسين حمادي، إنتاج إذاعة الوادي الجهوية، والجبار هو نخلة الغرس من أجود أنواع النخيل، يتفاخر به الفلاح وأعز ما يملك في الماضي.

[2] لقاء مع الشيخ محمد الكبير خالدي يوم: 04 جوان 2009، وهذا الشعار صغناه من مضمون كلام الشيخ محمد الكبير خالدي أثناء حديثه حول أسلوب الشيخ الحسين وتركه لعقوبة طلبته.

يقول أحد تلاميذه: "كان أستاذي الشيخ الحسين حكيما حليما وفكاهيا ومرحا، فلا نحسَ معه بالملل، وكان يتألم كثيرا عندما يرى أحد المساعدين له يضربنا أو يوبخنا"[1].

ويقول آخر: "كان الشيخ الحسين رحمه الله لا يضرب ولا يحبّذ الضرب ومعاملته حسنة، ولم أر عقوبة الضرب في المسجد إلا عند بعض معاونيه.. إن شيخي الفاضل عملة نادرة وظاهرة لا تتكرر"[2].

ويقول آخر: "درست عند الشيخ الحسين عشر سنوات لم أشاهده يعاقب بالضرب، وإن استعمل الضرب أحيانا ففي قضايا أخلاقية"[3].

ويقول آخر: "الشيخ الحسين حمادي رحمه الله إنسان حكيم له موهبة من الله سبحانه وتعالى، كانت نصائحه لنا كأننا أبناء له، ولا يعرف نهر التلميذ ولا شتمه ولا ضربه، كان الابتسامة الدائمة لتلاميذه كلما نظرت في وجهه ترى الابتسامة مرسومة على وجهه، ولو أخطأنا لا يغضب ولا يقلق بل يرجعنا إلى طريق الصواب بالتي هي أحسن"[4].

ويقول آخر: "كل من التقيت بهم من معلمي القرآن في ربوع هاته الولاية - ولاية الوادي - قديمهم وحديثهم، ما وجدت شخصا يشبهه حتى الشبه فضلا بأن يكون مثله، والسر في هذا والله أعلم توفر شرطين، أما الشرط الأول: الكفاءة وحفظه لكتاب الله، ثانيا: فهمه لأسرار هذا الكتاب والعربية التي يتمتع بها والفقه، وكان رحمه الله متوغل في الفقه المالكي.. والشيء

[1] لقاء مع الأستاذ بن علي مسعود بتاريخ: 05 أفريل 2009 بمدينة عنابة.

[2] لقاء مع الأستاذ البشير بقاص تلميذ الشيخ الحسين يوم: 28 ماي 2010، للعلم البشير بقاص درس بالزيتونة ثم اشتغل بالتربية والتعليم كمربي ومفتش للتربية إلى أن تقاعد.

[3] لقاء مع عبد القادر مرزوقي يوم: 23 ماي 2010.

[4] الشيخ الطاهر بقاص، حصة أسماء في الذاكرة، الحلقة الثالثة، المرجع السابق.

الذي سمح له في إنقاذ هاته القرية "النخلة" وما جاورها هو كثـرة زاده والإخلاص، لأن المعلومة هذه لا تتصل إلا بالإخلاص"[1].

ولهذا كله نال الشيخ الحسين المكانة الرفيعة والموقع المرموق في قلوب تلاميذه، فانعكس على مستوى تحصيلهم وإنماء الرغبة في المثابرة والاجتهاد مع الخلق القويم المكتسب بالتأثر والاقتداء، فأصبح الشيخ الحسين مطاع الأمر مهاب الجانب مسموع الكلمة من غير شدة ولا غلظة.

أمّا تمكنه العلمي فقد منحه ثقة طلبته واحترامهم وتقديرهم الخالص له، فتسابقوا إلى حلقة درسه، ومحراب علمه، وطلب رأيه، والعمل بنصيحته، والاقتناع التام بما يقول ويفعل.

وقد انعكس زاده اللغوي، وتضلعه في العربية وتجاربه السابقة، ومكتسباته القبلية وما استلهم من طرق تدريسية في زوايا العلم وجامع الزيتونة ممزوجة بتجاربه الشخصية ومبادراته الفردية واجتهاداته الذاتية على تحصيل طلبته فأتت أكلها وثمارها وكانت نتائجها طيبة، وما زاد من نجاحها دقة ملاحظته وتتبعه لكل صغيرة وكبيرة، مركزا على مرحلة التكوين الأولى لبناء قاعدة متينة تتمحور حول سلامة النطق ومخارج الحروف من أجل لغة متينة، فهو لا يريد حفظ القرآن فقط بل يريد حفظ وإتقان لغة القرآن أيضا، فكان حرص الشيخ الحسين يصب في تخريج الطالب النموذج والقارئ المتميز عملا وخلقا.

حوالي سنة 1949 التحق أحد طلبة الشيخ الحسين بزاوية "سيدي إبراهيم" بنفطة تحضيرا للدخول إلى فرع الزيتونة، ذات

---

[1] الشيخ لزهاري حميداتو حصة أسماء في الذاكرة، الحلقة الثالثة المرجع السابق.

يوم طلب هذا الطالب من أستاذه "محمد بوشريط" أن يصلي التراويح بالجماعة، فلم يوافق الشيخ على الطلب وكانت حجته أن الطلبة "السوافة" لا يفرقون بين القاف والغين، لكن إلحاح الطالب جعل الشيخ "محمد بوشريط" يراجع قراره ويرد بالموافقة، وبعد إقامة صلاة التراويح قال الشيخ للطالب: لقد تتبعت قراءتك كلمة كلمة وحرفا حرفا فلم أجد ما ألاحظ لك!، ففي أي زاوية درست؟، فرد الطالب: لم أدرس في زاوية، بل درست عند الشيخ الحسين حمادي بالنخلة، فقال الشيخ: عجبا! ما تعودت على هذه التلاوة عند الطلبة "السوافة"[1].

أخلاقه ومناقبه

نشأ الشيخ الحسين حمادي في بيئة طيبة نقية توفرت فيها كل مقومات الاستقامة والخلق القويم، فطفولته كانت في أحضان والده الطالب "علي بن حمادي" الإمام ومعلم القرآن، فكانت جرعة التحصين الأولى تحفيظه القرآن الكريم، أما المحضن الثاني فهو زوايا العلم وجامع الزيتونة، ثم المحضن الثالث فهو المسجد وعمل الإمامة وتعليم كتاب الله، فحاز وافر العلم وكمال الأدب، وصدق الحكيم القائل: "الأدب عنوان الكمال، يرفع الوضيع إلى درجة الرفيع، ويعلو بالعامة إلى مرتبة الخاصة، وبالخدم إلى مصاف الأمراء".

وما أروع أن يجمع الإنسان بين العلم والأخلاق فيكون قد جمع الفضائل كلها والمكارم جلها، كما لخصها الشاعر:

---

[1] الطالب صاحب القصة هو الشيخ محمد الكبير خالدي لقاء معه يوم: 04 جوان 2009.

إن المكــــارم أخــــلاق مطهـــرة	فَالــدِّيْنُ أَوَّلُهـا والعَقْــلُ ثَانِيهـا
وَالعِلْــمُ ثالِثُهـا وَالحِلْــمُ رابِعُهـا	والجود خامِسُها والفـضل سـاديها
والـبرُّ سابـعها والصـبر ثامنـها	والشُّـكرُ تاسِعُـها واللِّين باقِـيها[1]

وعندما نتحدث عن أخلاق الشيخ الحسين حمادي، فإننا نتحدث عن جملة من الصفات أولها مخافة الله، وثانيها طيب المعدن ونقاء السريرة وصلاح البيئة وحسن التربية وطبيعة التكوين، وثالثها زاد علمي كان دليله لطريق الخير ونهج الصلاح، فتكاملت في شخصيته مكارم الأخلاق كالحلم، الصدق، الأمانة، التواضع، الصبر، العدل، العفو، المروءة، القناعة، العفة، الزهد، حسن التوكل، الإيثار، والكرم...

كما تميز بالهدوء والرزانة والثبات فلا تهزّه رياح الغضب، ولا يقلقه الهمّ والكرب، ولا تؤثر فيه نوائب الدهر، لا يلين أمام الشدائد ولا يستكين حين العزائم، غير متأسف على ماضٍ فات ولا مستقبل آت، لا تستهويه الملذات ولا تستميله الشهوات، لا يركن للباطل ولا يسكت على الحق، ليّن في موضع اللين صارم في مواقف الصرامة.

يصفه أحد تلاميذه: "أستاذنا رحمه الله إنسان عابد، من الزاهدين الدنيا، ومعتصم بالله، وليس من أصحاب الخرافات، بل هو نقي نظيف ملتزم"[2].

وللإلمام بهذه الخصال نورد بعضها على شكل مواقف وشهادات وقصص.

---

[1] الأبيات للإمام علي كرم الله وجهه. (يلاحظ أدب الدنيا والدين للماوردي دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1987، صفحة: 14)

[2] الطالب الطاهر بقاص، حصة أسماء في الذاكرة، الحلقة الثالثة، بتاريخ:11 ماي 2007، وهي حصة في أربع حلقات خاصة بالشيخ الحسين حمادي، إنتاج إذاعة الوادي، وتقديم الحافظ بن خليفة.

نماذج من ورعه وكرمه وإيثاره وزهده وحسن توكله

عندما يكون الإنسان كريما وهو يملك ما يتكرّم به فذاك أمر طبيعي عند أهل الكرم، لكن أن يكون الإنسان كريما وهو لا يملك ما يسد به الرمق فذاك قمة الكرم ومنتهى الجود.

- "وقت الشدة الشيخ الحسين رحمه الله تأكل عنده الأكل الغير موجود في ذلك الوقت، لأننا عشنا وقت الشر ووقت الشدة بل وقت عسير جدا، لكن تذهب إلى الشيخ الحسين فيتكرم عليك حتى أنك تتساءل من أين أتاه كل هذا الخير"[1].

- "في سنة 1954 جاءه شخص وقال له: يا "نعم سيدي الشيخ" إن زوجتي قد ولدت اليوم ولا أملك شيئا لأقدمه لها من طعام، فقال له الشيخ الحسين: عُد إليَّ بعد صلاة العصر، وكان هو بنفسه لا يملك شيئا، وفي الفترة ما بين الصباح إلى صلاة العصر جيء له بـ "ابن لبون"[2] مُهدى له، فلمّا جاءه هذا الفقير الذي لا يجد ما يقدم لأهله يوم نفاسها، قال له: ها هو ابن لبون خذه وبِعْهُ يوم الجمعة، فإن كنت تحتاج ثمنه كله فخُذْه، وإن بقي لك شيء فقدّم ما بقي منه"[3]، وصدق الإمام الشافعي حين قال:

أجود بموجودٍ ولو بت طاوياً ... على الجوع كشحاً والحشا يتألمُ
وأظهر أسباب الغنى بين رفقتي ... لمخافهم حالي وإني لمعدمُ
وبيني وبين الله أشكو فاقتي ... حقيقاً فإن الله بالحال أعلمُ[4]

---

[1] الشيخ الطاهر بقاص، حصة أسماء في الذاكرة، الحلقة الثالثة، بتاريخ:11 ماي 2007.
[2] ابن لبون: ولد الناقة يدخل السنة الثالثة، سمي بذلك لأن أمه ولدت غيره فصار لها لبنا.
[3] الشيخ لزهاري حميداتو، حصة أسماء في الذاكرة، الحلقة الثالثة، المرجع السابق.
[4] يلاحظ ديوان الإمام الشافعي، جمع وتحقيق وشرح د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة 1992، صفحة: 133.

- "في يوم من أيام سنة 1952 جاءنا أصدقاء لزيارة والدي وطلب العلم والفتوى، ونحن لا نملك في البيت تمر ولا قمح ولا شاي ولا غير ذلك، وقلقت شديد القلق فليس لنا ما نكرم به الضيف، لكن والدي – الشيخ الحسين - كان في طمأنينة تامة، والمفاجأة أنه أمرني أن أذهب للبيت وأن أحضر النار وعدة الشاي، وبالفعل ذهبت إلى البيت وأشعلت النار ووضعت الإبريق على النار يغلي بماء البئر وهو ما نملك بالبيت، وما هي إلا لحظات حتى طرق الباب، خرجت للطارق فإذا به أحد الطلبة يحمل لنا قفة فيها "ختمة"[1] بها ما نحتاج لذلك الضيف، فقال لي والدي رحمه الله: إن هذا الطالب منذ دخل المدرسة القرآنية لم يقدم لي شيئا قبل هذه المرة أو بعدها، فقلت في نفسي إن الله لا يخيّب من يتوكل عليه حسن التوكل"[2].

ولربَّ نازلةٍ يضيق لها الفتى ... ذرعًا وعند الله منها المخرجُ

ضاقت فلمّا استحكمت حلقاتُها ... فُرجتْ وكنتُ أظنُّها لا تُفرجُ[3]

- "في نهاية الأربعينات وكان العام قاسيا ليس لنا فيه ما نعول أو نذخر، جاء فقير سائل إلى المسجد، وبعد الانتهاء من صلاة العصر، تكلم الإمام وهو والدي - الشيخ الحسين - مخاطبا

[1] ختمة: وجاءت من الختم أي ختم القرآن أو جزء منه، وهي ما يقدم من طعام أثناء حفظ شيء من القرآن، كالربع أو النصف أو القرآن كاملا.

[2] راوي القصة الأمين حمادي نجل الشيخ الحسين يوم: 07 أفريل 2006.

[3] الأبيات للإمام الشافعي، يلاحظ معجم أجمل ما كتب شعراء العربية، حامد كمال عبد الله حسين العربي، دار المعالي ودار الدولية، الطبعة الأولى سنة 2002، صفحة: 75.

الجماعة: إن فلان ـ السائل ـ يرجو منكم التكرم عليه بما جادت أنفسكم، فلم يكن نصيبه غير كلمات طيبة ودعاء المصلين، لأن الناس لا يملكون شيئا لأنفسهم حتى يتصدقوا على هذا الفقير، فأخذه والدي ـ الشيخ الحسين ـ إلى البيت، وأعطاه ما نملك من طعام وهو حقة من القمح ـ حوالي 800 غ ـ كانت أمي تحضّر "الرحى" لتطحنها، ثم رجع إلى المسجد مرتاح البال وكأننا نملك عشاء ذلك اليوم، صلى والدي المغرب والعشاء ثم رجع إلى البيت فوجد عندنا كمية من الخبز، وصفيحة من الزيت، فلم يسأل من أين أتى هذا الخير؟، بل أمرنا بتوزيع الخبز والزيت على الجيران، ثم قال: قدمنا العشاء نيئا فجاءنا محضرا مطهيا"[1].

- "حوالي سنة 1949 تفطن أحد أصدقاء الشيخ الحسين إلى وضعه المزري وخصاصته الشديدة، وليس من السهل التفطن لحاله فهو الصابر المتعفف (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ)[2] فاتصل بي ليبلغني بالأمر وقد اختارني من بين الطلبة لأن عمّي "مرزوقي مرزوقي"[3] من ميسوري الحال بما يملك من النخيل، وبعد صلاة العشاء منحني عمّي كمية معتبرة من التمر لتوصيلها إلى الشيخ الحسين خفية، وأوصاني أن لا يتفطن أحد بالأمر، وبالفعل أوصلت الأمانة دون أن يعلم أحد،

[1] لقاء مع الأمين حمادي نجل الشيخ الحسين يوم: 07 أفريل 2006.
[2] سورة البقرة آية رقم: 273.
[3] هو الشهيد مرزوقي مرزوقي بن عبد القادر ولد بالنخلة خلال 1912، انخرط بالمنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني مكلف بالدعم والإسناد، أستشهد في خريف سنة 1957، ضمن الملاحقين فيما يعرف بمجزرة رمضان سنة 1957 بوادي سوف.

لكن في الصباح عندما رحت إلى المسجد جاءني صديق الشيخ الحسين هذا وقال لي: يا عبد القادر لقد أوصلت التمر البارحة إلى الشيخ الحسين!، فقلت له: وكيف عرفت ذلك ولا أحد يعلم بما قمت به؟، فقال لي: وجدت الشيخ الحسين صباح اليوم يوزع التمر على الفقراء والجيران[1].

- في سنة 1963 وهي السنة التي وُظف فيها الشيخ الحسين، منحته الوزارة تعويض مالي كراتب لعدة أشهر حُسبت له ضمن عمله، وعند استلام المبلغ ذهب معه الحاج "المولدي داده"[2] رحمه الله، وكان الحاج المولدي متيقن بأن الشيخ الحسين سوف يوزع هذا المبلغ على الفقراء وعمّال المسجد، ولذلك طلب من الشيخ أن يعيره مبلغ 500 دج بنية تخبئتها وذخرها للشيخ الحسين ليجدها عند الحاجة، وبعد أيام توجه الحاج المولدي إلى الشيخ وطلب منه أن يعيره المزيد من المال لأن مبلغ 500 دج لم تفِ بحاجياته، فرد الشيخ الحسين: بأنه أنفق كل المبلغ ولم يبق منه شيئا، حينها أخرج الحاج المولدي مبلغ 500 دج وأرجعها إلى الشيخ الحسين قائلا: لم أكن في حاجة لهذا المبلغ حين اقترضته منك إنما كنت متيقن بأنك سوف تنفق المال ولم تبق لنفسك شيئا فذخرته لك[3].

---

[1] راوي القصة عبد القادر مرزوقي لقاء معه يوم: 23 ماي 2010

[2] الحاج المولدي داده: ولد سنة 1934، وهو أحد المقربين من الشيخ الحسين، توفي ونحن نجري معه عدة لقاءات حول الشيخ الحسين كان آخرها يوم 19 أكتوبر 2009، توفي رحمه الله يوم 13 من ذي الحجة 1430هـ الموافق لـ 30 نوفمبر 2009م.

[3] المبلغ الذي قبضه الشيخ الحسين حمادي كتعويض عن ستة أشهر بعد توظيفه هو 5320 دج، وهو مثبت في رسالة بعثها لابنه الأمين بتاريخ: 22 ربيع الثاني 1383 هـ الموافق لـ 11 سبتمبر 1963، كما تم إثبات ذلك في لقاء مع الأمين حمادي نجل الشيخ الحسين يوم: 31 مارس 2006.

- كان الشيخ الحسين رحمه الله يملك خمس نخلات فقط أوائل الستينات بغوط "سندروس"[1] وكانت إحداهن قصيرة تتدلى غلتها على التراب تقريبا، وكان لجاره ناقة طليقة بمحاذاة الغوط، هذه الناقة أكلت غلة نخلة الشيخ الحسين مرتين متتاليتين، وفي المرة الثالثة غضب "عبد القادر" أخوه غضبا شديدا ممّا تقوم به الناقة، وطلب من أخيه الشيخ الحسين أن يطلب من صاحب الناقة تعويض الغلة، فرد عليه الشيخ ببرودة تامة: لا تغضب يا عبد القادر فإما النخلة تعلو وتكبر ولا تتمكن منها الناقة، أو الناقة تسمن ويبيعها صاحبها، أو تموت الناقة وتُحلّ المشكلة نهائيا.

- ومن مظاهر كرمه أيضا أنه يوم 12 ربيع الأول 1401هـ الموافق لـ 16 فيفري 1981م، جمع الشيخ الحسين رحمه الله أفراد عائلته وإخوته وجميع أصوله بمناسبة المولد النبوي الشريف وأولم لهم بثلاث كباش و"علوشة" - أي أنثى الضأن الصغيرة - وخوفا منه أنّ اللحم لا يكفي لهذه المكرمة الكبيرة بعث إلى "بوغرور"[2] لشراء كمية إضافية من اللحم كاحتياط للضرورة[3].

- كان الشيخ الحسين رحمه الله شديد الحرص على تحصين أبنائه بالتقوى والورع ومخافة الله ومراقبته في الحركة

---

[1] سندروس: منطقة تقع جنوب بلديتي النخلة والعقلة، بها آثار رومانية مدفونة تحت الرمال، ويقال أنها سميت بهذا الاسم نسبة للقديسة الرومانية "سانت روس"، هي الآن منطقة عامرة بغيطان النخيل.

[2] بوغرور: هو الحاج لخضر شلبي كان جزارا ببلدة النخلة حتى أواخر الثمانينات، وقد تميز بالنظافة والصدق فكان الشيخ الحسين يفضله عن غيره من الجزارين ويتخذه صديقا.

[3] رسالة كتبها الشيخ الحسين لنجله بوبكر مؤرخة بتاريخ: يوم السبت 19 ربيع الأول 1401هـ الموافق لـ 24 جانفي 1981م.

والسكون، فها هو يخصص جزءًا للوعظ من كل رسالة يبعثها إلى أحد أبنائه، ومن أمثلتها:

- "ابني الأمين: سلاما واحتراما حفظك الله آمين، أمّا بعد: فإني أوصيك بالصدق دوما، ولا تأخذك في الله لومة لائم، وعليك بالقرآن صباحا ومساء، والتعلم بأنواعه وفنونه غير منحصر، والإرشاد في كل ما يحين وقته ليس مخصوصا بساعة دون أخرى، والله الموفق، وإذا تركت فاترك الكذب، ودمتم سالمين، حرّره أبوك المسلم الحسين بن علي حمادي"[1].

- وفي رسالة أخرى، وبعدما يحث ابنه الأمين على ضرورة ملازمة كمية من النقود لجيبه فهو في الغربة، يقول: "وأعلم أن المتوكل بصرفنا غني له خزائن لا تنفذ.. وكلما تخوض معركة إلا وخرجت منها منتصرا بحول الله وقوته، أليس الله بكافٍ عبده.

حيثما تستقم يقدر لك الله نجاحا في غابر الأزمان"[2]

- ومن رسالة بعثها إلى ابنه بوبكر يقول: "أوصيك بتقوى الله والمحافظة على أوامره واجتناب نواهيه صغيرها وكبيرها وأتبع وصية لقمان لابنه: (يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)[3]، (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا

---

[1] من رسالة بعث بها الشيخ الحسين لابنه الأمين، بدون تاريخ، لكن الأرجح أنها تعود لسنة 1963، عندما كان الأمين في صفوف الجيش الوطني الشعبي.

[2] من رسالة بعث بها الشيخ الحسين لابنه الأمين مؤرخة في: شهر شعبان 1382هـ الموافق لـ شهر جانفي 1963م

[3] سورة لقمان الآية 13.

تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)[1].

وعلى كل حال أعلم أنك تحفظ القرآن، ولكن لا ينفع حفظه إلا بالعمل به، ولا نجاح إلا في طاعة الله ورسوله، والله يوفقنا للعمل الصالح إنه قريب مجيب، أبوك الحسين"[2].

- يقول الشيخ محمد الكبير خالدي: كان الشيخ الحسين حريص على أن يكون مستيقظ ومستعدّ قبل آذان الصبح كعادته لأداء واجباته ونوافله، وكان ينام على زربية تصلبت بالاستعمال، فاشترى له ابنه "الأمين" فراشا طريا من الإسفنج، فلما نام على الفراش الجديد لم يستيقظ في وقته المألوف، بل أيقظه المؤذن وهو يؤذن لصلاة الصبح، في الصباح قال لابنه "الأمين": إنّ هذا الفراش لا يلزمني، وخُذه أعطه صدقة لمن شئت[3].

- كان الشيخ الحسين رحمه متواضع إلى أبعد حد، حتى أنه كان يفضل الجلوس مع الفقراء والضعفاء الذين يترفع عليهم البعض من الناس الذين يظنون أن الجلوس معهم إنقاص من قيمتهم الاجتماعية، وكان الشيخ الحسين يهدف من وراء ذلك الأخذ بخواطرهم، ورفع معنوياتهم، وتحسيسهم أنهم لا يقلون أهمية عن علية القوم، وأن المجتمع في حاجة لهم كبقية البشر، كما كان يعلمهم ويعتني بهم ويلفت نظر الناس إليهم، ففيهم من فك أميته وفيهم من حفظ جزءا من القرآن الكريم وفيهم من

---

[1] سورة لقمان الآيات 17، 18، و 19.

[2] رسالة كتبها الشيخ الحسين لنجله بوبكر مؤرخة بتاريخ: يوم السبت 19 ربيع الأول 1401هـ الموافق لـ 24 جانفي 1981م.

[3] لقاء مع الشيخ محمد الكبير خالدي يوم: 04 جوان 2009.

حفظه كاملا، وقائمتهم طويلة ولا نذكر الأسماء حفاظا على كرامتهم وأغلبهم قد توفي فرحمهم الله جميعا.

- ومن مظاهر تواضع الشيخ الحسين وحبه للفقراء والضعفاء، أنه بعدما نفي إلى تونس سنة 1957 واستقر في بلدة "الرديف"، قام بزيارة إلى "المكناسي" حيث كان يدرّس سابقا، وكانت له علاقات وطيدة بأهل هذه البلدة ـ أي المكناسي ـ وعند الوصول استقبله أعيانها استقبالا حارًا وحافلا، وتسابق الجمع على ضيافته، ومن المستحيل أن يلبّي الشيخ الحسين طلبات الجميع، لكنه أشار إلى أحد البسطاء بالموافقة وهو "سي إبراهيم الأعرج" عُرف بالفقر والعرج ـ مبتور الرجل ـ والقصد من ذلك التواضع وإعلاء شأن الرجل بين قومه ولفت نظر أعيان "المكناسي" له، وبالفعل ما إن اقترب المساء حتى تسابق الناس لتقديم أصناف المأكولات لهذا الفقير ليقدمها إلى الضيف الزائر[1].

---

[1] لقاء مع نجل الشيخ الحسين علي حمادي بتاريخ: 28 جوان 2009، حيث رافق والده في هذه الزيارة.

الفصل الثالث

- الشيخ الحسين حمادي الإمام.
- الشيخ الحسين حمادي الواعظ.
- الشيخ الحسين حمادي المفتي.
- الشيخ الحسين حمادي القاضي.
- الشيخ الحسين حمادي الشاعر.
- الشيخ الحسين حمادي الفلاح.

الشيخ الحسين حمادي الإمام

الإمامة مسؤولية عظمى، وتكليف جسيم، وأمانة ثقيلة، ومهنة شاقة خاصة عند الشيخ الحسين فمازالت وصية والده يتردّد صداها "يا الحسين هنيني على الجماعة"، وعلى قناعة تامة تقلد الشيخ الحسين هذا المنصب، ولم يكن يبتغي من وراء ذلك أجرا أو راتبا، فهو من رفض الوظيفة بعد استقلال الجزائر، ورغم تعدد مهامه فهو القائم على جميع شؤون المسجد، ومعلم القرآن، وإمام الخمس، وإمام خطيب، وفي ظروف قاسية وصعبة منها عزلة بلدة "النخلة"، ومجتمع أمّي لا يملك من وسائل العلم والمعرفة غير المسجد، ولا يجعل من العلم والمعرفة أولوية من أولويات الحياة، لأن الفقر والجوع هما المسيطران، حينها تصبح حاجة الرمق قبل حاجة العقل والروح.

وعندما اجتمعت عند الشيخ الحسين عوامل مهمة أولها الإخلاص، وثانيها العزيمة والثبات، وثالثها المواظبة، ورابعها إيمانه وحبه لعمله، وخامسها الالتزام والاستمرارية كان النجاح حليفه، والتميّز صفته، والاحترام من طرف الجميع نصيبه، فكان بحق رجل قدوة، ومعلم فذ، وقائد للحق والخير، وعامل مثابر وإمام للجماعة لا إمام لفئة معينة فما أحوجنا إلى أمثاله.

يقول أحد المقربين من الشيخ الحسين: "منذ عرفت الشيخ الحسين لم أر أو أسمع أنه غاب عن الإمامة أو التعليم القرآني إلا لضرورة ملحّة أو عذر قاهر كمرض أو رحلة حج أو نحو ذلك"[1].

---

[1] لقاء مع العيد عقيب بن الهادي بتاريخ: 04 مارس 2009، من المفيد أن نذكر أن العيد عقيب كان من عمال الشيخ الحسين بغوط سندروس، كما كان والده الهادي من الأصدقاء المقربين للشيخ الحسين.

ويقول أحد تلاميذه: "هو إمام راتب ومواظب على المسجد وتعليم القرآن للتلاميذ والصلوات الخمس، وليس له عمل آخر إلا خدمة الله سبحانه وتعالى والقرآن والصلاة والعبادة"[1].

الشيخ الحسين حمادي الواعظ

لقد تميّز الشيخ الحسين حمادي بأسلوب مرن سلس وهادئ، مبشّر غير منفّر، وميسّر غير معسّر، ومرغّب لا مرهّب، وهو وحده الأسلوب الكفيل بشدّ الناس إلى الهداية وطرق الخير في زمن كانت فيه كل الظروف المحيطة لا تساعد كل الناس على حسن الاستماع للوعظ والوعّاظ على قلتهم.

وقد نجح الشيخ الحسين إلى حد كبير في أداء مهمته، ولعل مقياس نجاحه هو جهوده التي حافظت على القيم الكبرى للمجتمع والوازع الديني في صدور الناس خلال الفترة الاستعمارية، عندما كان الوعظ تمرّد على السلطة، وخروج على القوانين، وإثارة للفوضى، وتحريض للمجتمع على الثورة.

وإذا كان لهذا النجاح أسس ومرتكزات وعوامل مساعدة فإن من بينها وأهمها:

- استفادة الشيخ الحسين من تجارب غيره، خاصة ما وقف عليه في الزيتونة، وطرق وأساليب علمائها الذين عاصرهم هناك، ومنهم "محمد الطاهر بن عاشور"، وابنه "محمد الفاضل بن عاشور"[2]، والشيخ "محمد البشير النيفر"

---

[1] لقاء مع الطالب الطاهر بقاص الجمعة: 23 مارس 2007.

[2] هو الشيخ محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن الصادق عاشور، ولد في مدينة تونس يوم 2 شوال سنة 1327هـ/ 16أكتوبر 1909، وفيها توفي يوم: 12صفر 1390هـ الموافق 19 أفريل 1970م، وهو أحد أهم علماء الدين الذين عرفتهم تونس في القرن العشرين.

وغيرهم، كما لم يكن بمعزل عن أساليب ومناهج الوعظ والإرشاد لدى علماء الإصلاح بالجزائر أمثال الشيخ "عبد الحميد بن باديس"، والشيخ "محمد البشير الإبراهيمي" وغيرهم.

- تحليله الجيّد للواقع الاجتماعي وما يتخبط فيه من مشاكل متعددة، وفهمه العميق لخطط المستعمر الرامية إلى القضاء على الشخصية الوطنية ومقومات الأمة الجزائرية، ومواجهتها في هدوء وروية.

- تبسيط المعلومة والنزول إلى مستوى العامة، واختيار الموضوع في وقته المناسب من المبادئ التي استند إليها في منهجه، وتمرير الرسالة الوعظية في الجلسات العادية وتوجيهها نحو جلسة علم وفائدة في جو من الطرافة والفكاهة أحيانا من معالم طريقه.

- كسبه لودّ الناس وشدّهم إلى دروس الوعظ والإرشاد بتقديم القدوة والنموذج، فإن حثّ على العمل وكسب الرزق الحلال مثلا كان أحرصهم على ذلك، وإن حثّ الناس على تجنّب الشبهات والحرام كان أبعدهم على ذلك، وإن رغب الناس في الصدق والأمانة كان النموذج الأول لهم.

- الصدق والإخلاص فيما يفعل ويقدم، ولذلك وقعت أقواله مؤثرة في صدور الناس، مؤتية ثمارها في قلوبهم، وكما يقال: "ما خرج من القلب دخل القلب، وما خرج من اللسان لم يتعدّى الآذان" ويقال أيضا: "لا ينفع القلب إلا ما خرج من القلب".

- العمل بطريقة التفاضل والأولوية في مواضيع الوعظ، فمنها ما هو ضروري في آنه، ومنها ما يؤجل لآن آخر حسب الحاجة والمستجد وأسس بناء شخصية المتلقي، وما ألحّت عليه الحاجة لأداء فريضة أو عبادة أو معاملة، فخطبة الجمعة مثلا لها مواضيعها وعادة ما تكون مسايرة للواقع الاجتماعي والزماني والمكاني والتاريخي، أما الدروس الوعظية الأخرى فيختار موضوعها وزمانها بدقة، وأحيانا تُختار وتُطلب من المتلقين أنفسهم، مع عدم إغفالنا أنه مفتي ويقصده الناس للفتوى والتعلم، وهو ما يجعلها مرغوبة محبوبة تساير تطلعات المتلقين وتستجيب لحاجتهم الماسة لما يودّون معرفته في أمور دينهم ودنياهم، وهو ما كان يحرص عليه الشيخ الحسين، فالمهم عنده أن يستمع الناس ويستجيبوا، أما الترتيب والأولوية في الموضوع فهي من اختصاصه ويعرف كيف وأين يمرّرها.

الشيخ الحسين حمادي المفتي

جاء في لسان العرب والقاموس المحيط أن الفتوى اسم مصدر بمعنى الإفتاء، والجمع: الفتاوى والفتاوي، قال: أفتيته فتوى وفتيا إذا أجبته عن مسألته، والفتيا تبيين المشكل من الأحكام، وتفاتوا إلى فلان: تحاكموا إليه وارتفعوا إليه في الفتيا، والتفاتي: التخاصم، ويقال: أفتيت فلانا رؤيا رآها: إذا عبّرتها له، والفتوى في الاصطلاح: هي تبيين الحكم الشّرعيّ عن دليل لمن سأل عنه وهذا يشمل السّؤال في الوقائع وغيرها، أمّا المفتي فهو اسم فاعل أفتى، فمن أفتى مرّة فهو مفت، ولكنه يُحمَلُ في العرف الشّرعيّ بمعنى أخصّ من ذلك، قال الصريفي: "هذا الاسم موضوع لمن قام للناس بأمر دينهم، وعلِم جمل عموم القرآن وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، وكذلك السنن

والاستنباط، ولم يوضع لمن علم مسألة وأدرك حقيقتها، فمن بلغ هذه الرتبة سموه بهذا الاسم، ومن استحقه أفتى فيما استفتي فيه"[1].

ولهذا أصبحت الفتوى مهمتها جليلة ومنزلتها عظيمة ومكانتها عالية، لأنها أمر تولاه الله تعالى بنفسه، إذ يقول: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ﴾[2]، وقال بها الرسول صلى الله عليه وسلم الذي تولي هذا المنصب الذي كلفه الله به حيث قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3] ويقول "يحي بن شرف النووي": "اعلم أنّ الإفتاء عظيم الخطر، كبير الموقع، كثير الفضل، لأن المفتي وارث الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وقائم بفرض الكفاية، لكنه معرّض للخطأ، ولهذا قالوا: المفتي موقعٌ عن الله تعالى"[4]، فالمفتي وارث النبي صلى الله عليه وسلم في بيان الأحكام، وقد خلف النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه الكرام، ثم تعاقب أهل العلم إلى يومنا هذا.

وعندما كانت الفتوى بهذه الأهمية فإن للمفتي مسؤولية ثقيلة إذا أفتى، ومسؤولية أثقل إذا تمنّع، جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من كتم علمًا يَعلمه جاء يوم القيامة مُلْجمًا بلِجَام من نار".

---

[1] الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ط 2، سنة 1992، ج 6، ص: 305.

[2] النساء، الآية 176.

[3] النحل، الآية 44.

[4] يحي بن شرف النووي، آداب الفتوى والمفتي والمستفتي، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق، ط1، سنة 1988، ص: 13 و 14.

ومن شروط المفتي كما يحددها "يحي بن شرف النووي": "شرط المفتي كونه مكلفًا مسلمًا ثقة مأمونا متنزّها عن أسباب الفسق وخوارم المروءة، فقيه النفس، سليم الذهن، رصين الفكر، صحيح التصرّف والاستنباط، متيقظا، سواء فيه الحرّ والعبد والمرأة والأعمى والأخرس إذا كتب أو فُهمت إشارته"[1].

وقد نال الشيخ الحسين شرف هذه المهمة الجليلة والخطيرة ـ الإفتاء ـ وتكمن خطورتها في أنها استصدار لمرسوم ديني يتعدّى علاقة الإنسان بخالقه في أحيان كثيرة ليمسّ جوانب أخرى سياسية واجتماعية واقتصادية وقد تتسم بالثورية أحيانا، ولا يؤثر فيه ما وُجد بمحيطه وما يقرّه الواقع، يقول الشيخ "أبو عمرو ابن الصّلاح": "وينبغي أن يكون ـ أي المفتي ـ كالرّاوي في أنّه لا يؤثر فيه قرابة وعداوة وجرّ نفع ودفع ضرّ، لأن المفتي في حكم مُخبر عن الشّرع بما لا اختصاص له بشخص، فكان كالرّاوي لا كالشاهد، وفتواه لا يرتبط بها إلزام، بخلاف حكم القاضي"[2].

وإن كان الشيخ الحسين شديد التحفظ كثير التحرّز فيما أناطه الله به، فإنه لا خيار له غير الرضوخ للأمر الواقع في ظل انعدام من يفتي للناس ويبيّن لهم أمور دينهم سنوات الأربعينات وما يليها، ومهما يكن فإن اضطلاعه بمهمة الفتوى ينمّ عن اطلاعه الواسع، أو على الأقل القدر الكافي الذي يؤهله للإفتاء، من علوم التفسير وأسباب النزول لآيات الأحكام، والناسخ والمنسوخ، وعلوم اللغة والحديث والفقه، والقانون

---

[1] يحي بن شرف النووي، المرجع نفسه، ص: 19.

[2] يحي بن شرف النووي، المرجع نفسه، ص: 19 و 20.

الإسلامي، ورصيد من فتاوي العلماء، ومصادر ومراجع الفتوى.

وما لوحظ وأكدّه بعض من عاصروا الشيخ الحسين في أمور الفتوى يتلخص فيما يأتي:

- كان الشيخ الحسين على مذهب إمام دار الهجرة، الإمام مالك بن أنس[1]، ولا يفتي إلا به.
- تقلد الشيخ الحسين الفتوى لعدم وجود من يفتي ويبيّن الأحكام للناس بالجهة الجنوبية من "وادي سوف".
- كان يتهيأ ويتزوّد للفتاوى المتوقعة والمتداولة في المحيط، مثل زكاة الأموال والزرع والمواشي ونحوها.
- لا يعتمد على نفسه كثيرا، بقدر رجوعه إلى المصادر وفتاوى العلماء.
- شديد التحرّي فيما يقدمه المستفتي من معطيات قبل استصدار أي فتوى.
- لا يتعجّل فيما أستفتي فيه، وفي كثير من الأحيان يطلب من المستفتي أن يراجعه في الغد، أو بعد الغد، أو الأسبوع القادم إن لزم الأمر.
- لا يجيب إن حدث له لُبس أو غموض في قضية، ويوجه المستفتي إلى من له القدرة على ذلك.

---

[1] هو الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي الحميري (93 هـ - 179 هـ / 715م - 796 م) إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة المشهورين، إليه ينسب المذهب المالكي في الفقه، ومن بين أهم أئمة الحديث النبوي الشريف.

- لا يجيب للمشاحن الذي يريد الانتصار لرأي تعصب له، مقابل رأي مخالف لمشاحنه.
- خصّص جزءا من بيته لاستقبال طلاب العلم والفتوى، ولضمان التدقيق والتحرّي والسرية التامة للفتاوى ذات الطابع الشخصي، والفتاوى التي قد تثير جدلا لدى العامة لخصوصيتها وطابعها الاستثنائي.

الشيخ الحسين حمادي القاضي

إن الثقة الكبيرة التي وضعها سكان "النخلة" وكل من عرف الشيخ الحسين حمادي من أهل سوف في شخصه، وشخصيته القوية وميله نحو إحقاق الحق وتحقيق العدل، ونفور المجتمع من التقاضي لدى السلطات الاستعمارية، ولجوء الناس إلى الحلول الصُلحية بعيدا عن المنازعات القضائية بعد استقلال الجزائر، جعل الشيخ الحسين قاضي من الطراز الأول يقضي في ما استعصى من القضايا الآتية:

1) قضايا الميراث وما تعلق به.
2) القضايا الأسرية والاجتماعية.
3) قضايا الأراضي والأملاك الخاصة.
4) القضايا المالية.

1 ـ قضايا الميراث وما تعلق به

وقد نجح الشيخ الحسين أيّما نجاح في حل هذه القضايا، ويرجع ذلك إلى تمكنه وإتقانه لعلم الميراث، "كان عبقريا في علم الميراث"[1]، ولا غرابة في ذلك فقد تلقى تكوينا معمقا في

---

[1] لقاء مع تلميذ الشيخ الحسين الإمام الطاهر حميداتو يوم الثلاثاء 15 جويلية 2008.

الزيتونة حول علم الميراث، وكان حفظ "المنظومة الرحبية"[1] من أساسيات البرنامج، ثم أكمل الشيخ الحسين تكوينه ذاتيا والظاهر أنه كان يحفظ "الدرة البيضاء من أحسن الفنون والأشياء" للشيخ "عبد الرحمان الأخضري"[2]، وهي منظومة تقرب من خمسمائة بيت قسمها الأخضري إلى ثلاثة أقسام: الحساب، الميراث، والقسمة العملية للزكاة، ودليلنا كتابته لأجزاء عديدة من المنظومة على قصاصات ورقية وجدناها في أرشيفه، كما وجدنا له بعض المقاطع لعلها من محاولاته النظمية في علم الميراث[3].

كذلك قدرته على الحوار وطول النفس للإقناع، وقد كان رحمه الله يفتي ويوزع التركة في ظل سرّية تامة، فلا تأخذ القضية طابع العمومية إلا لظرف طارئ أو نزاع احتدم بين

---

[1] المنظومة الرحبية، واسمها بغية الباحث عن جمل الموارث، لكنها اشتهرت باسم ناظمها وهو: أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الرحبي، المعروف بابن المتقنة، وهي المنظومة التي نالت شهرة واسعة بل تكاد تكون أشهر منظومة في الفرائض وقد تلقفها طلاب العلم قديما وحديثا وأقبلوا على حفظها وفهمها ودراستها وتناولها العلماء بالشرح والبيان.

[2] الشيخ عبد الرحمان الأخضري: هو العلامة الجزائري أبو يزيد عبد الرحمن بن محمد الصغير بن محمد بن عامر الشهير بالأخضري، من أعلام الجزائر في القرن العاشر الهجري، ولد في قرية بن اطيوس إحدى قرى طولقة ولاية بسكرة،عام 920 هجري 1512 ميلادي وقد اشتهر بلقب الأخضري، تعلم على يد والده العلامة الشيخ محمد الصغير الذي ألف شرحا على مختصر الخليل، من مؤلفاته السراج: في علم الفلك، الدرة البيضاء في الحساب، أزهار المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب وهو كتاب في الإسطرلاب، السلم المرونق في علم المنطق، القدسية وهي منظومة في التصوف، الجوهر المكنون وهو خاص بالمعاني والبيان وشرحه محمد بن الفكون في نزعة العيون في بيان شرح الجوهر المكنون، كانت وفاته سنة 953هـ / 1546م أثناء تواجده بـ"كحال" (سطيف)، ثم نقل جثمانه إلى مسقط رأسه بناء على وصية أوصى بها تلاميذه أثناء مرضه، دفن رحمه الله بجوار والده. (يلاحظ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، ولاحظ أيضا أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، دار موفم للنشر).

[3] من أمثلة نظمه في علم الميراث: حجب الإخوة من الأم في الميراث

وإخـوة للأم حجـبهم وجب ... بستة مبسـوطة نلت الأدب

الابن وابن الابن ثم البنت وبنت ... الابن والأب والجد هما التمام

فأحفظ هداك الملك العلام

الورثاء فخرجوا به للعامة، وقلما حدث هذا، كما كان يؤصّل الوصايا وينفذها وفق ما أقرته الشريعة الإسلامية.

2 ـ القضايا الأسرية والاجتماعية

وهي في أحيان كثيرة تكون شائكة ومعقدة تحتاج إلى جهد كبير ومثابرة واستمرارية وقدرة فائقة على الإقناع والتقريب بين الأطراف المتنازعة، خاصة عندما يتعلق الأمر بحالات التصادم والطلاق بين الأزواج وتتدخل فيها أطراف أخرى محرضة مع حساسية هذا الموضوع، كان يتولى فيها الشيخ الحسين عملية الصلح تجنبا للوصول إلى أبغض الحلال، وإن قدّر الله ووصل الأمر للطلاق سيكون سعيه حثيثا نحو الحفاظ على الأعراض وحفظ الكرامة والتيسير على الطليقين في عمليات التعويض والنفقة، وعادة ما تتم هذه القضايا بحضور مجلس مصغر لتقديم المساعدة والشهادة على وقائع الجلسة وقراراتها ومتابعة التنفيذ لهذه القرارات.

وكان الشيخ الحسين رحمه الله يفرح فرحا شديدا عندما يصل إلى النهايات السعيدة والمُرضية لجميع الأطراف، وعلى العكس من ذلك حين تخرج القضية من يديه باحتدام النزاع وخروجه للعامة، أو إطالة مداه من أحد الأطراف المتنازعة، فيحمل القضية همًّا في صدره ينام بها ويصحو عليها، مثلما حدث له في قضيتين أسريتين شهيرتين بالنخلة حيث بذل كل جهوده لكن الوقت طال، وجاء وقت الحج لتلك السنة وكان من ضمن حجاج ذلك الموسم - 1393هـ/ 1974م - وأثناء لحظة السفر سأله نجله "الأمين" عمّا يحتاج أو يوصي به؟، فردّ الشيخ الحسين: كل الأمور المادية والخاصة قد سوّيتها، لكن أمرين هامين هما سرّ قلقي ومبعث انشغالي.

وكان يقصد بالأمرين الهامين القضيتين الأسريتين السالفتي الذكر، وقدّر الله أن حجّ الشيخ الحسين ورجع سالما رغم تعرضه لحادث مرور بسيط تسببت فيه دراجة نارية، وكان حل القضيتين العويصتين على يديه.

3 ـ قضايا الأراضي والأملاك الخاصة

تعتبر الأراضي الفلاحية " أراضي الغيطان" من القضايا المعقدة في "وادي سوف"، فهي لا تخضع لضوابط محددة بقدر ما تخضع للعرف والأغراض الشخصية، فقلما يوجد غوط لا يوجد فيه نزاع أو نزاعين حول حدود الأراضي وأبعادها بين الجيران، تصل هذه النزاعات حد العداوات بين الملاك والتعقيد الذي يستحيل فيه الحل أحيانا، وحتى القضاء الرسمي يحبذ أن تحلّ هذه النزاعات بالطرق التصالحية والخبرة العرفية لأنه لا يملك الوسائل القانونية الكافية لمثل هذه الحالات.

في مثل هذه القضايا كانت شخصية الشيخ الحسين رحمه الله تمثل نصف الحل، فإن حضر في نزاع إلا وسلم له أطراف هذا النزاع السلطة الكاملة للتصرّف وأخذ القرار المناسب، لكنه كان فطنا محنكا عادلا يلجأ بدوره إلى "الفلاح"[1]، فهو صاحب الخبرة والعارف بالأعراف التي تضبط أبعاد الأرض وحدودها، وإلى الجماعة حيث يستعين ببعض الأعيان المشهود لهم بالنزاهة والقبول في المجتمع، فإن أتخذ القرار ووضع الشيخ الحسين "القمير"[2] أعتبر ذلك بمثابة قرار قضائي وجب تنفيذه

---

[1] الفلاح: هو شخص خبير في المقاييس العرفية وحدود أراضي الغيطان، اكتسب هذه الخبرة بالممارسة لا بالدراسة والتخصص، وهو شبيه بالخبير العقاري عندنا اليوم.

[2] القمير: هي العلامة ـ المعلم ـ التي توضع في فواصل الحدود بين الجيران، كما توضع في نهايات الأرض.

على الجميع، كما كان له دور كبير في توثيق وتحرير عقود البيوع لأراضي الغيطان وأراضي الفلاحة والبناء.

4 ـ القضايا المالية

وتتمثل في قضايا الديون وكتابتها وجدولتها وفضّ الخصومات المتعلقة بها، والبيوع وتقييم الأموال والغلال وأنصبة الزكاة، وتقسيم الممتلكات الخاصة وتوزيعها بين الأبناء بطلب من مالكها ما يعرف بـ "القسمة"[1].

[1] القسمة: وهي عملية توزيع ممتلكات الأب على الأبناء وهو حي يرزق.

الشيخ الحسين حمادي الشاعر

الملفت للانتباه أن الشيخ الحسين رحمه الله تعاطى الشعر بشقيه الفصيح والشعبي، وأن هذا التعاطي لازمه منذ شبابه، فكانت بدايته في عشرينات وثلاثينات القرن العشرين بحب الشعر والقراءة للشعراء في محيط كان يعج شعرا ويطفح نظما، وبمقاييس غاية في الحبك، وصور فنية غاية في الإبداع، فضلا عن طبيعة التعليم آنذاك، والتكوين العام لشخصية الشيخ الحسين حيث وازن بين الفنّين تلبية لرغبة تغازل وجدانه وتحرك مشاعره، علاوة على موهبة شعرية حباه الله بها، فعشق وتحكم في كلا النوعين من الشعر.

الشيخ الحسين الشاعر الفصيح

إن التعامل مع مختلف العلوم في زمن الشيخ الحسين هو تعامل مع الشعر، لأن كثير من العلوم كانت على شكل منظومات بقافية موزونة وهندسة إيقاعية لتسهيل حفظها وسلاسة التعامل معها، ومن المنظومات ما يُجبر الطالب على حفظها كعنصر من عناصر المنهج التعليمي، وقد تعددت هذه المنظومات في علوم القرآن، اللغة، الأدب، النحو، الفقه، التوحيد والفرائض ونحوها، وفضلا عمّا حملت من علوم ومعارف فهي تساهم في خلق الأذن الموسيقية والحس المرهف وتهذيب الذوق وإتقان فن النظم وهندسة القافية، وتكتمل عملية نظم الشعر بموهبة هي الأساس في ذلك.

وعندما توفرت للشيخ الحسين هذه الموهبة صقلها وطوّرها بحب الشعر ودراسة وتفحص تجارب الآخرين حتى تحكم في النظم وأتقنه، فكانت له تجارب مع الشعر الفصيح منها:

يقول الشيخ الحسين[1]:

"سنة 1931 بتونس العاصمة مدرسة جامع الهواء[2]، اقترح عليّ السيد "البشير صويعي المباركي الهمّامي"، بأن يختبرني في الشعر فقال لي: سمعت بأنك شاعر، وأردت أن أعلمك، فقلت له ما أنا بشاعر، إنما الشعر شاعرية فطرية بدون عروض، فقال: الشعراء يعرفون بعضهم بعضا بتسجيل وتبادل صدر القافية وعجزها، فقلت: هات الصدر ليسهل عليّ إتمامها، فقال: نعم وبدأ"

البشير صويعي	الشيخ الحسين
مال الزمان على النفوس قد اعتــدَى	وبالفــضلاء العــارفين قــد إبتــدَا
سئموا الحياة لمــا لقــوه مــن ريــب	تعسًا له قد ذاقهــم كــأس الــردَى
يا دهر رفقــا عــن نفــوس شــريفة	قــد طابــت أذى الحيــاة ســؤددَا
مــــدّوا إلى العلــياء كل أكــفــهم	لا خير فيك قد قطــعــت لهم يــدّا

ثمّ قال: سجّل هذه الكلمات خشية الضياع، فلمّا سجلتها قلت:

يعقوب قــد جــاءك البــشير ... كي يقــشعر عنــك الظــلام

لله درّك يــا نــجــيــــب ... بالشــــعر قد فقت الأنـــام

فلتقبلنّ تحية منّي إليك السلام

---

[1] لقاء مع الشيخ الحسين يوم الأحد 15 ماي 1977، أجراه معه الأستاذ عبد الرزاق داده.

[2] جامع الهواء: جامع أمرت ببنائه الأميرة عطف، زوجة السلطان الحفصي أبي زكرياء يحيى الأول، في عهد ابنها السلطان أبي عبد الله محمد المستنصر في أواسط القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وكان يسمى في العهد الحفصي باسم جامع التوفيق، وهو يوجد حاليًا بنهج جامع الهواء بالمدينة العتيقة بتونس

فلمّا دفعت إليه هذه الورقة وجد فيها هذه الكلمات بالتورية فعجب من ذلك فقال ناولني القلم وكتب:

لله درّك يا خليل فيما بهرت به الأنام
وشفيت من قلبي غليل حتّى طربت على الدوام
حسنا أتيت ولو قليل فانساق للنفس الكلام

ويقول الشيخ الحسين أيضا[1]:

"في مدرسة جامع الهواء، وكنت أسكن مع حبيب لي "همّامِي" اسمه "التهامي بن محمد الأزهر" متحصل على شهادتي التطويع والعالمية، كنّا نسكن مع بعض في بيت واحد، وكنت قد تركت دين في "المكناسي" عند أصحاب لي، ووعدوني بأن يرسلوه لي عندما أطلبه، وبعثت لهم فتماطلوا بالبعوث، وكان "التهامي" من قبيلة بينها وبين أصحابي شحناء، فبعد وضع رأسينا للنوم قال لي: كيف لم ترسل إليك فلوسك؟ قلت: لم يرسلوا بعد، وبعدما حدّثته أطفأنا المصباح للنوم، وأردت النوم ندمت على كلامي معه فقلت في نفسي":

ما كنت أجزع ولكن غرّني أملي حتّى جزعت وكان الجزع يُبكيني
ولا شاتمت أخا صادقته أبدا ولا كذبت وهذا الوصف من ديني
لكن حملي ثقيل ليس يحمله من ارتدى بجميل الصبر يعنيني
فبُحت رغمًا بِمَا قد كنت ساتره وليس في شيمتي ومن قِبل تكويني
رُحْمَاك ربٍّ بما قاسيت من ألمٍ حتّى تورّمت هذا القدر يكفيني
وأستُر عيوبي فإنّي اليوم مُفتقر يا خالق الأمر بين الكاف والنّون

[1] لقاء مع الشيخ الحسين يوم الأحد 15 ماي 1977، أجراه معه الأستاذ عبد الرزاق داده.

ويقول الشيخ الحسين أيضا[1]:

"سنة 1936 كنت بتونس لأجل مصيف، فلما أردت الرجوع وكان لي صديق يقال له "أحمد كركر" عطّار برحبة الغنم[2]، طالب نجيب عنده شهادة التطويع ولديه العالمية، فحملت متاعي وقصدت محطة القطار، فمررت به لأودعه فقبض على متاعي وقال لي: لا أسلمه لك إلا أن تأتي بكلمات نستعملها للدعاية لجمع التبرعات للفلسطينيين، فقلت له: إنّي مسافر وفكري مشوّش لا قدرة لي على ذلك، قال: لا أسلم لك المتاع إلا بعد كلمة، فقلت: ناولني قرطاسا وقلما وأنا واقف على المحسب قلت":

ارْحَمُوا تُرْحَمُوا

عُلماء الدِّين قُومُوا واعمَلُوا	لرضا الله ربّ العالمينَ
وارشدُوا الأمّة وانصحُوا لَهَا	إنّما النُصح شعار المؤمنينَ
والفتُوا أنظاركمْ تَكْرُمَةً	كرجال جاهدُوا في فلسطينَ
تركُوا أبناءهم في لوْعة	من لضَى الجوع باتُوا باكينَ
جَاهدُوا بالْمَال والنفس معا	نحن بالمال نكونُوا راضينَ
فارْحَموهمْ تُرحَمُوا كمَا أَتَى	عن رسول الله خير المرسلينَ
لنْ تنالُوا البرّ حتّى تُنفقُوا	هكذا قال الله ربّ العالمينَ

وفي سنة 1933 انقطع الشيخ الحسين عن الدراسة بالزيتونة، وكان طموحه مواصلة الدراسة بالأزهر الشريف،

---

[1] لقاء مع الشيخ الحسين يوم الأحد 15 ماي 1977، أجراه معه الأستاذ عبد الرزاق داده.

[2] رحْبة الغَنَم: هي إحدى ساحات مدينة تونس، كانت تباع فيها الأغنام، سميت بعد الاستقلال ساحة معقل الزعيم، ذلك أن الزعيم الحبيب بورقيبة كان يقيم بمنزل يقع على هذه الساحة، وتتوسطها الآن منطقة خضراء تحيط بها عدة معالم من أهمها جامع الهواء وجامع الزيتونة ومتحف الخزف.

وتجري الرياح بما لا تشتهي السفن، ولم يتحقق له ذلك فأنشد قائلا:

فَلَوْ كَانتْ الدُّنيَا تَـدُوم رأيْـتَـني ... سكنتُ بِمصْرَ فهْي أحسنُ مَوطِـني

ولكِنّـهَا لَيستْ تَـدُوم لِـحَادثٍ ... لِهذا رضِيتُ منـهَا بالوطنِ الدّنِـي[1]

ومن أمثلة ما قال الشيخ الحسين في النظم:

أبناء رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]

القاسـم والطيّـب والطّـاهرُ ... وإبراهيم فهو نسل طـاهرُ

ثمّ البنـات أربـع مـشهورَهْ ... رقيّـة وزينـب الـمبرورَهْ

وأم كلثوم وفاطـم الزهـرا ... أبناء خـير الخلق من غير امْترَا

وفي نظم آخر يضع الشيخ الحسين وصفة لمعالجة آفة النسيان، فيقول:

علاج النسيان[3]

إذا أردت عـدم النـسيانِ ... فاكتب أسماء سـادة أعيـانِ

ففي إناء تـمحُها وتـشربُ ... واعمل بـه فإنـه مُجـرّبُ

فهم ثـمان كلـهم أصـحابُ ... رسـول الله ولـه أحبـابُ

عثمان عليّ عبد الرحـمانِ ... وعبـد الله حـافظ القـرآنِ

زيـد ابن ثابت تـميم الدّارِي ... أُبي معـاذ راوي الأخبارِ

[1] يقصد بالوطن الدني: أي القرى النائية التي لا يزدهر فيها العلم والمعرفة، ويقال: العلم والتجارة يموتان في القرية، ولعل ذلك كان في زمن سابق، أما اليوم وقد أتيحت فرص التعلم للجميع، فإن أرباب العلم هم من القرى وهم من المدينة أيضا.

[2] النظم من أرشيف الشيخ الحسين.

[3] النظم من أرشيف الشيخ الحسين.

الشيخ الحسين حمادي الشاعر الشعبي

كل المؤشرات والدلائل تفيد أن الشيخ الحسين قد نظم الكثير من القصائد الشعبية التي لم تصمد أمام المشافهة والتواتر فضاع معظمها وبقي منها القليل الذي حظي بالحفظ والتدوين، ومنها ما يعود إلى بدايات القرن العشرين عندما كان يدرّس بضواحي مدينة "المكناسي" بتونس، وكل السكان آنذاك يعرفون الشيخ الحسين بأنه معلم مؤدب وشاعر، "سي الحسين السوفي كما يسميه أهلي الذين عاشروه ومنهم أبي رحمه الله ترك أثرا طيبا وأقوالا كان الوالد يرددها على مسامعنا وكان يقول الشعر الملحون أيضا"[1].

ومن النوادر الشعرية الهجائية للشيخ الحسين حمادي وبأسلوب فكاهي طريف قصيدة "الراعي والشاي"، التي تعود لما قبل سنة 1930، ومع الأسف تحصلنا على جزء منها فقط، وهو ما تحفظه راوية القصيدة.

"ومن النوادر التي روتها لي عمتي اليامنة[2] رحمها الله أن سي الحسين السّوفي كان مدمنا شرب الشاي و كان أحد الرعاة دائما ينتظره حتى يعد "برّاد" الشاي ليحصل منه على كأس شاي وهو ما كان يقلق سي الحسين، وفي يوم كان الراعي متكأ على مرفقه ينتظر الشاي كالعادة فناوله سي الحسين قليلا من التمر وهو يظن أن التمر سيفقده شهيته للشاي، ولكنه أكل التمر وبقي ينتظر الشاي، فهجاه سي الحسين السوفي بهذه الأبيات"[3].

---

[1] من رسالة للدكتور محمد نجيب العمامي بتاريخ: 07 أفريل 2012.

[2] هي اليامنة بنت السعيدي بن أحمد بن علي العمامي رحمها الله و هي من مواليد آخر القرن التاسع عشر وقد عرفت الشيخ وعاصرته وهو يدرّس بالخروبة بضواحي المكناسي.

[3] رسالة للدكتور محمد نجيب العمامي بتاريخ: 07 أفريل 2012.

يَا بُـومْرِيفقْ بَـرَّ أخْـطَانِي — خلِّيني نْرَكبْ سَـخَانـي[1]
يَـا بُومْرِيفـقْ بَـرَّ رَوَّحْ — تَايْ الـمدّبْ مُـوشْ مْلَـوَّحْ[2]
مِ الـمكْنَاسِي جَـايْ مِطَّـوَّحْ — مَـصْرُوفُو يَاسَـرْ عَيَّـاني
يَـا بُومْرِيفـقْ يَـا حَـنَشْ — يعطيكْ أفعَـى تْجِيـكْ تْكُـشْ
وَلاَّ حَـاكِمْ يِتْغَـشَّشْ — إهـزَّكْ للحـبسْ الـدَّخْلاَنِي
يَا بُـومْرِيفقْ بَـرَّ أخْـطَانِي — خلِّيني نْرَكِبْ سَـخَّانِـي ...

ولا نغادر قصص الشيخ الحسين وطرائفه مع الشاي، ففي أحد جلسات الشاي في بيته بـ "الخروبة" بضواحي "المكناسي" حوالي سنة 1935، وكان الشاي المحضّر قليلا ولا يكفي الجماعة المرافقة له في سهرته، وكان تلميذه "محمد بوراس"[3] هو من يسكب الشاي، ولمّا رآه الشيخ الحسين يملأ الكؤوس أشار إليه بمقطوعة شعرية يوحي له فيها بأن يسكب القليل من الشاي وأن يخفي بقية الكأس الفارغة بأصابعه، قائلا:

يَـا ديـوان الـصالْحينْ — علـى ربّ مْعَـوْلِينْ[4]
يَـا محمّـد يَـا بـوراسْ — أملأ لِـيَّ هَـاكْ الكَـاسْ
وكان تْحَشَّمتْ من النَّـاسْ — تَـقـِّي باصْبَاعَكْ لَثْـنِينْ[5]
يَا ديـوان الصالْـحِينْ — على ربّ مْـعَـوْلِـينْ[6]

---

[1] بومريفق: تصغير للمرفق، حيث كان الراعي يتكئ على مرفقه.
[2] المدّب: المؤدب وهو المعلم والمربي.
[3] محمد هو من أبناء العمامي، لكنهم أطلقوا عليه بوراس لبروز رأسه من الأمام.
[4] المطلع هو لقصيدة شعبية شهيرة معروفة، نظم الشيخ الحسين على منوالها أبياته.
[5] تقي: أحجب.
[6] راوي الأبيات الأمين حمادي نجل الشيخ الحسين.

ومن أمثلة شعره في "الرُبَّاجْ" وهو شعر ترقيص الأطفال عند العرب، ومع الأسف نُورد هذا المقطع الوحيد الذي وقع بين أيدينا:

كـبيرة قَـدْ الجَامِعْ   اللّي إغَنّي عَنْهَا طَامِعْ
- عزيزة هبَّلَتْني   وزَادتْ ذَبّلَتْني
خَلّتْلي قَلْبي هَامِعْ[1]

وكان الشيخ الحسين في جلساته مع الأصدقاء يرتجل الأبيات الشعرية حين تأتي مناسبتها ولم يدونها فتذهب في آنها إن لم يلتقطها حفاظ الشعر، وإن كانت قصائده معدودة الأبيات إلا أنها غزيرة كما يحكي من عاصروه.

كما كان يحب الشعر الشعبي الهادف والطريف ويحترم الشعراء ويصادق بعضهم مثل "محمّد سويعي" المدعو "محمّد اللوزي"[2] الذي يحترم الشيخ الحسين كثيرا ويبادله الزيارات، ويطلعه على جديده وما جادت به قريحته.

ذات خميس نزل الشاعر "محمد سويعي" من البادية الشرقية إلى الحاضرة وفي زيارته للشيخ الحسين كعادته، وبعدما سمع منه الشعر، خاطبه الشيخ الحسين مازحًا وكان يريد من وراء ذلك استفزاز الشاعر "محمد سويعي" ليخرج منه شعرا ارتجاليًا:

---

[1] راوي الأبيات الإمام الطاهر حميداتو تلميذ الشيخ الحسين.

[2] هو الشاعر محمد بن محمد الصالح سويعي المدعو محمد اللوزي من قبيلة الربايع (لفايز) ولد حوالي سنة 1890 وتوفي حوالي سنة 1975 بالخبنة بلدية النخلة، أشهر قصائده: ناضت عركة في لبرور، وكتيت لا قديت.

- ماذا تقول لو شنيتك[1]؟
- فردَ الشاعر "محمد سويعي" وماذا ستقول؟
- فقال:

مْحمّد اللّوزي شَاهي نشْنيهْ   وَاشْ ولاَني إنْفصّلْ فيهْ

- فقال "محمد سويعي": لكنها عاقر ولا تلد يا "نعم سيدي"، وإنّ هجائي لك بأولاده لكني احترمك ولن أفعلها[2].

ومن الأعمال الشهيرة للشاعر "محمد سويعي" قصيدة "ثارت عركة في لبرور" وهي عبارة عن مساجلة بين نخلة "دقلة نور" و الغرس "الجبّار"، نظمها الشاعر قبل سنة 1957 وكان "يقضّها" في حضرة الشيخ الحسين قبل نفيه إلى تونس ولا يمل سماعها ولو أعادها أكثر من مرة في الجلسة الواحدة، وهي:

ثَارت عَرْكة في لبْرُورْ   وبَدّتْ عن لرضْ جمْليهْ[3]
بين الغرس ودقْلة نور   وظهرت بينَاتْهُمْ عَدْويهْ
- الدقْلة هي اللّي بدَاتهْ   وعجبتْها رُوحْها وحُقْرَاتهْ
كيفْ الفلاّحة تُركَاتهْ   وعادت لغْرَاسة فيها هيَ
في وينْ اتْسَوّفْ سبْقاتهْ   تْصقّرْهَا من غير مْزيَهْ[4]
- قالْ الغرسْ نَايَا الرّاجلْ   نايا منْ حقّي نتْبَاجلْ[5]
نايَا عندي زوج منَازلْ   نْقُولْكُمْ عنهن بالعرْبيهْ
وَاحدْ بيهْ طْيَابي عَاجلْ   لاَخرْ كنزْ لمَّاليهْ

---

[1] شنيتك: هجوتك، والشناء في الشعر عند العامة هو الهجاء.
[2] لقاء مع تلميذ الشيخ الحسين الإمام الطاهر حميداتو يوم الثلاثاء 15 جويلية 2008.
[3] عركة في البرور: معركة في عدة أماكن، والبرور جاءت من البر، بدّت: طغت وعمّت.
[4] تصقرها: سمعها وخضع لها.
[5] نتباجل: أفضل وأختار.

- قَـالتْ الدقْـلة صِيتِي عَـالِي — مَا تَنْغَرْشِـي هـزْ هْبَـالِي[1]
تَهـبَطْ التُجَّـارْ عـن جَـالِي — تَبْـدَا تْبَـذِّرْ في الْمَاليـهْ
نْهُوشْ ياسر تَغْدِي في حْجَـالِي — يـقُـولُوا الدقـلة هَاذي هِيَ[2]
- قَـال الغرس الدقـلة خسارَهْ — يَـاخي قـنَّاطَهْ وخمّـارَهْ[3]
وخَـسَّرْتي خَـاطِي التجـارَهْ — وساعة وتْـصُكِّي بَخطيـهْ[4]
وخدمتـهُمْ غَاديـة كُرْفيـهْ[5]

- قــالتْلَهْ مــا تْعكّـيشْ — رَاهُو العَارفْ مَـا يـزْهيشْ[6]
أوّلْ عُمـركْ جِبـتْ الـسِّيشْ — وثَـاني غَلْتَـكْ سَـنْوَانيهْ[7]
طُول عُمركْ عَـايِشْ رخـيصْ — وحتَّـى م الـسُّومَهْ دُونيـهْ
- قَـالْلهَا هيَّا نْديرُوا الْفُـوتْ — ولا دَايمْ الـشَّيْ المغلُـوطْ[8]
نْخَلُّوا الشّيرَهْ إلْمُـولَى الْغُـوطْ — إلْقَـسمُوا بينَـاتْكُمْ لَرْضِـيَهْ
أنتم رَاكُـمْ ديـمَهْ خُـوتْ — قسمة أرض مَاهيشْ حَمِيَـهْ[9]
- نَاضُوا ضَايْـقـينْ زَيْ العَادَهْ — اللِّي هـذَا دَايـمْ في عْنَـادَهْ

---

[1] ما تنغرشي: لا تغضب وتقبل الغير.
[2] نهوش: أنواع النخيل التي لا يرغب فيها الفلاح والتاجر.
[3] قناطة وخمارة: كثيرة القنط أي جفاف العرجون مع أنها سريعة التعفن.
[4] وتصكي بخطية: ينجر عنها ثمن وضريبة.
[5] كرفية: التسخير دون مقابل مادي.
[6] ما تعكيش: لا تسخر، ما يزهيش: لا يستخف بقدرات الناس.
[7] السيش: نوع رديء من التمر ينتج عن عدم تلقيح الطلع، سنوانية: تناوبية أي سنة بسنة.
[8] الفوت: التصويت.
[9] حمية: محسوبية وتعصب.
[10] إلخابيتي مبنية: من الخابية وتسمى أيضا الحوزة وهي بناء سور صغير من الجبس داخل غرفة الخزين، يجمع فيها تمر الغرس ثم يضغط ليترك "عولة" للعائلة.
[11] البوج: الحركة بشيء من التفاخر.
[12] كعبة: حبة.
[13] مكرية: مأجورة.
[14] إبهيت اللقانية: كلام البهتان وما نقل من كلام دون دليل.
[15] الحقيقة: الحاجة والاحتياج للمال.

طلبُوا الفلاَّحة بشهادَةْ اللّي غارسها هُو وهِي
أمَّا خيرْ اللّي في بْلادَةْ ولاّ سافرْ الوطنية
- قالْ الغرس نايا الْحُرْ ونايا نْكسّرْ عظم الشّرْ
نايا إلْعامرْ بيّ الْبرْ ونايا إلْخابيتي مبْنيهْ[10]
كَانكْ ما جبْت خبرْ برّي سولي عنْ ما فيَّا
- قالتْلهْ الدقْلة الْبُوجْ لُواشْ؟ واللّي ثمْ عرْفاتهْ النّاسْ [11]
مُنْهُو إلْديمهْ بالْعسّاسْ؟ شْكُونْ كعْبهْ وحْدهْ محضيهْ؟[12]
مُنْهُو اللّي يقعْدُوا عن لفْراشْ؟ الْخدّامهْ إلْكُلْها مكْريهْ[13]
- سْمعْ الغرسْ وجي مغْلُولْ وضايقْ ما يعْرفْ ما إقُولْ
قالْ الشّيدهْ بالْمفْعُولْ مُوشْ إبْهيتْ اللّقانيهْ[14]
مُنْهُو ينْزلْ عنّهْ الْحُولْ ويُقْعُدْ ما يتْبدّلْ زيّهْ
- قالُوا هيّا إنحُّوا الضّيقهْ اللّي هذا خلّهْ في طريقهْ
الدقْلة إتْنحّ الْحقيقهْ الظّلْمة تقْلبْها فجْريهْ[15]
والغرس مُحْسنْ في رفيقهْ مرْضيّها عروبة وبدْويهْ

الشيخ الحسين حمادي الفلاح

في أوائل القرن العشرين وحتى أواسطه عاش العالم عدة أزمات غذائية أدّت إلى مجاعات كبرى كانت وطأتها ثقيلة على كثير من دول العالم، ولعلها كانت أقل وطأة على منطقة "وادي سوف" لتميزها بتوفر كم هائل من النخيل ومادة التمر الذي يسد الرمق ويُغني عن بقية المأكولات في مثل هذه الظروف.

وهذا ما جعل سكان المنطقة يجعلون غراسة النخيل وإبداع الغيطان قناعة راسخة، وهي قناعة قديمة ترجع إلى

التاريخ الأول لإعمار المنطقة، ولذلك تجد لكل عائلة غوط[1] أو على الأقل جزء من غوط أي "شِقْ"[2]، ومن لا يملك النخيل لا تكتمل مكانته الاجتماعية وأعتبر "مَاوِيًا"[3].

ومن منطلق إعمار الأرض والسعي فيها كما أوصى ديننا الحنيف، واستغناءً على الغير وسد الحاجة اليومية والاكتفاء الذاتي، اجتهد الشيخ الحسين رحمه الله رغم قلة الإمكانيات أن يملك النخيل ككل الناس وأن يشبع الرغبة الملحة والحب الشديد للنخلة كشجرة مباركة وغذاء أمين وأنيسة في وحشة الصحراء، كما عبّر عن ذلك معظم من عملوا عنده بأنه كان يحب النخيل ويخدمه بتفانٍ، بل كان يمارس هواية تسكن صدره، وعملا يستمتع به، وملكا يؤنسه ويُغنيه عن الغير.

لقد اختار الشيخ الحسين رحمه الله بعد رجوعه من النفي سنة 1962 أرضا نقية وبقعة عفية بعيدة عن العمران تكون موضعا لنخلاته ومكانا لممتلكاته، فهي أرض كما يصفها خبراء الفلاحة من خيرة أراضي نخيل "البعلي" لتوفرها على عدة معطيات كعذوبة الماء، وجودة التربة، ونقاوة الهواء، إنها منطقة "سندروس" أين غرس عدد من النخيل وصل خمس نخلات في البداية وفاق الأربعين نخلة حين وفاته سنة 1982، كما ملك عدد آخر من النخيل بغوط "لِبَّالِي" بجانب العمران بحي النخلة الشمالية، وصدق المثل الشعبي القائل: "يرحم من ملك وعاش، ويرحم من مات وخَلّى".

---

[1] غوط: وهو مجموعة من النخيل مغروسة في منخفض أرضي لتقترب جذور النخيل من الماء فيعتمد على نفسه في امتصاص الماء فلا حاجة لسقيه وتعرف هذه الآلية بـ نخيل البعلي.

[2] شق: جزء من غوط أي عدد من النخيل، لأن الغوط قد يملكه شخص، وقد يشترك فيه مجموعة من الجيران.

[3] ماوي: المفلس الذي لا يملك ملكا ولا يسعى له.

الفصل الرابع

- الشيخ الحسين حمادي والحركة الإصلاحية.
- الشيخ الحسين حمادي والحركة الوطنية.
- الشيخ الحسين حمادي والثورة التحريرية المباركة.
- الشيخ الحسين حمادي والآباء البيض.
- الشيخ الحسين حمادي وقائد لاصاص بالرباح (كورنبوا).
- اكتشاف المنظمة المدنية بوادي سوف.
- الشيخ الحسين حمادي ينجو من مجزرة رمضان بوادي سوف.
- نفي الشيخ الحسين حمادي إلى تونس.
- الرحلة الإجبارية إلى تونس.
- الوصول إلى الأراضي التونسية.
- الشيخ الحسين حمادي في الرديف.
- العودة إلى الوطن.
- وتتواصل المسيرة.
- المرض والوفاة.

الشيخ الحسين حمادي والحركة الإصلاحية

ليس غريبا أن يتشبع الشيخ الحسين رحمه الله بأفكار الإصلاح، وأن تسكنه النزعة الإصلاحية وقد عاش في محيط يعجّ بدعاة التجديد وحاملي الراية الإصلاحية، وهو في أوج شبابه أثناء تواجده بين التدريس والدراسة بتونس في الفترة الممتدة من سنة 1918 إلى سنة 1940م، فقد عاصر الشيخ عبد العزيز الثعالبي[1] الذي أسس "الحزب الحر الدستوري التونسي" سنة 1920م على أسس فكرية دينية وإصلاحية، لأن الثعالبي من الإصلاحيين الزيتونيين المتشبعين بأفكار جمال الدين الأفغاني وعبد الرحمان الكواكبي ومحمد عبده وغيرهم، كما عاصر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور[2] من كبار المجددين

---

[1] عبد العزيز الثعالبي: ولد يوم 15 شعبان 1293هـ/ 5 سبتمبر 1876م بتونس، وأصله من أسرة جزائرية هاجرت إلى تونس بعد الاحتلال، وهو زعيم وسياسي وديني. من القليلين الذين زاوجوا بين السياسي والديني، وبين المحلي والإقليمي والعالمي في عملهم، للتخلص من الاستعمار، توفي رحمه الله في أول أكتوبر 1944م، من أشهر مؤلفاته: كتابه الشهير تونس الشهيدة، تاريخ شمال أفريقيا، معجزة محمد، وروح القرآن الحرة. (يلاحظ محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج1، دار الغرب الإسلامي لبنان ط1 سنة 1982، ص: 213 وما بعدها).

[2] الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الشهير بالطاهر بن عاشور، ولد بتونس في (1296هـ = 1879م) في أسرة علمية عريقة، تعلم في الكتّاب حتى أتقن حفظ القرآن الكريم، ثم تعلم ما تيسر من اللغة الفرنسية، التحق بالزيتونة سنة 1313هـ/ 1896م، قام برحلات إلى المشرق العربي لأداء فريضة الحج، وإلى أوروبا وإستانبول، نال الجائزة التقديرية للرئيس الحبيب بورقيبة سنة 1968م، توفي رحمه الله يوم 13 رجب 1393 هـ / 12 أغسطس 1973م بعد حياة حافلة بالعلم والإصلاح والتجديد على مستوى تونس والعالم الإسلامي، ودفن بمقبرة الزلاج، من مؤلفاته: التحرير والتنوير في تفسير القرآن الكريم (30 مجلدا)، وأصول الإنشاء والخطابة، ومقاصد الشريعة الإسلامية، وقصة المولد النبوي الشريف. (يلاحظ محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج3، دار الغرب الإسلامي لبنان ط1 سنة 1982، ص: 304 وما بعدها).

ودعاة الإصلاح حيث كان على رأس الزيتونة عندما كان الشيخ الحسين طالبًا فيها، وكان شديد التأثر بالشيخ بن عاشور، يقول أحد أصدقاء الشيخ الحسين: "بأنه كان شديد التأثر والتعلق بالشيخ محمد الطاهر بن عاشور، وكان يحدثنا عليه كثيرا"[1].

كما لا نغفل تأثير أساتذته وشيوخه في الزيتونة وكان معظمهم ممن عاشوا زمن الإصلاح وتأثروا به وأثروا في غيرهم أمثال:

- **الشيخ إبراهيم النيفر:** شيخ علم ومدرس بالزيتونة ورئيس جمعية العلماء التي ظهرت في مارس 1933 للدفاع عن المصالح الأدبية والمادية لأساتذة جامع الزيتونة.
- **الشيخ عبد العزيز جعيط:** شيخ علم ومدرس بالزيتونة والمفتي المالكي وأكبر الشخصيات الدينية في البلاد التونسية.
- **الشيخ محمد الحطاب بوشناق:** شيخ علم ومدرس بالزيتونة ومن فقهاء الحنفية المتأخرين (1984) له بعض الفتاوى والدراسات المنشورة بالمجلة الزيتونية.
- **الشيخ محمد البشير النيفر:** هو فقيه ومفتي مالكي له بعض الكتب المطبوعة، وكانت تربطه علاقات طيبة مع الشيخ ابن باديس، مدرس بالزيتونة قسم التخصص والمدرسة الصادقية وحاكم بالمجلس المختلط.

أما زملاء دراسته من الجزائر فجلهم اختاروا النهج الإصلاحي والانخراط ضمن صفوف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أمثال:

---

[1] لقاء مع الحاج المولدي داده رحمه الله يوم 25 جوان 2009.

- **علي بن سعد:** ولد سنة 1908 بقمار، التحق بالزيتونة وتخرج منها سنة 1932، عمل مدرسا بمدارس جمعية العلماء المسلمين، أصدر جريدة الليالي الإصلاحية بالجزائر العاصمة سنة 1936، اعتقلته السلطات الفرنسية، امتهن بعد الاستقلال التدريس بالثانوية إلى غاية وفاته رحمه الله سنة 1974.
- **الشيخ محمد الحفناوي هالي:** ولد سنة 1911، تخرج من جامع الزيتونة بشهادة التحصيل سنة 1936، عمل مدرسا بمعهد ابن باديس بقسنطينة، وهو شاعر وكاتب في البصائر، توفي سنة 1965.
- **الشيخ مصباح حويذق:** ولد سنة 1902 بالطريفاوي، التحق بالزيتونة سنة 1931، بعد تخرجه انخرط بجمعية العلماء وعمل في صفوفها مدرسا ومديرا في عدة مدن، سجن أثناء الثورة وتعرض لشتى أنواع العذاب، توفي بمدينة مستغانم يوم 28 فيفري 1973.
- **الشيخ عبد القادر الياجوري:** ولد سنة 1912 بمدينة قمار، درس بالزيتونة وتخرج منها سنة 1934، تولى التدريس بمدارس جمعية العلماء، وأستاذا بمعهد الشيخ عبد الحميد بن باديس، أعتقل عدة مرات من طرف السلطات الاستعمارية، عمل أستاذا بالثانوية بعد الاستقلال إلى غاية تقاعده سنة 1977، نال وسام المقاوم من طرف وزارة المجاهدين، وشهادة تقدير من طرف رئيس الدولة، توفي رحمه الله يوم 12 أوت 1991 بوهران.

وإن سلمنا أن علاقة الشيخ الحسين بهؤلاء الشيوخ كانت قصيرة وعابرة ـ علاقة دراسة ـ فإن جوّها العام يعبق

برائحة إصلاحية زكية ستطال أنف القريب منها، ومحيطها يعج بفكر يحمله شباب متحمس سيؤثر حتما فيمن دخل في دائرته.

لكن علاقة الشيخ الحسين رحمه الله بالشيخ عبد القادر الياجوري كانت متينة واستمرت إلى غاية سنة 1982 - سنة وفاة الشيخ الحسين - تبادل فيها الطرفان المراسلات والزيارات، وكان الشيخ الياجوري يتتبع أخبار الشيخ الحسين لحظة بلحظة، خاصة مرحلة ما قبل الاستقلال وكأنه كان يعلم أن فرنسا لن تتركه ينشط ويوظف أفكاره المناهضة لها، وأن الشيخ الحسين سوف لن يقف مكتوف الأيدي تجاه ما تقوم به فرنسا، ولن يأخذ موقفا سلبيا تجاه الثورة.

وكانت آخر رسائل الشيخ الياجوري للشيخ الحسين قبل الاستقلال عندما استقرّ بمدينة "وهران" سنة 1954 مع عائلته ليقوم بإدارة مدرسة الفلاح، سائلا فيها عن أحواله ومستطلعا عن وضعه، وقد أرفقها بصورة تبين موقع منزله بمدينة "وهران" عسى أن يزوره هناك في يوم من الأيام[1]، أمّا بعد الاستقلال وبعدما التحق الشيخ الياجوري بوزارة الأوقاف - وقد عمل بها إلى غاية سنة 1964م – قام بزيارة وديّة أخوية للشيخ الحسين رحمه الله، لكنها لم تخلو من نشاط تمثل في كلمة مطولة بالمسجد العتيق بالنخلة[2].

---

[1] لم نعثر على هذه الرسالة في أرشيف الشيخ الحسين، لكن تلميذه وابن أخيه الأستاذ خليفة حمادي يؤكد أنه قرأ هذه الرسالة وشاهد الصورة في جوان 1958 بـ "الرديف"، والمؤكد أن إرسالها كان قبل يوم 29 مارس 1956 حين ألقي القبض على الشيخ الياجوري ولم يخرج من السجن إلا بوقف إطلاق النار 19 مارس 1962، ونلاحظ أن فترة بقاء الشيخ الياجوري في السجن هي نفسها فترة نفي الشيخ الحسين إلى تونس.

[2] لقاء مع الأمين حمادي نجل الشيخ الحسين يوم: 07 أفريل 2006.

وإذا ذهبنا إلى أبعد من هذا فإن معظم روّاد الإصلاح في الجزائر نهلوا تكوينهم الأكاديمي الأولي من جامع الزيتونة وهو نفس المنهل الذي نهل منه الشيخ الحسين حمادي، وعلى رأسهم: الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي تلقى تعليمه بها من سنة 1908 إلى 1912، وبقي على صلة بالزيتونة حتى آخر زيارة لها - وهي الزيارة الخامسة - وكانت في 14 جمادى الأولى 1356هـ/ 22 جويلية 1937م قصد منها ابن باديس المشاركة في الاحتفالات التي أقيمت للأستاذ عبد العزيز الثعالبي (1876- 1944م) بمناسبة عودته إلى تونس من منفاه الذي دام أربع عشرة سنة[1]، ومنهم الشيخ العربي التبسي (1895 - 1957م)، والشيخ مبارك الميلي (1895 - 1945م)، والشيخ محمد خير الدين (1912- 1993)، والشيخ حمزة بوكوشة (1907 - 1994) وغيرهم، فمن الطبيعي أن تقترب الأفكار، وتتلامس الأهداف والغايات، وتتوحد الانشغالات، وتكون الخطوات على نفس النهج، وإن اختلفت الوسائل والإمكانيات، وما كان يحلم به الشيخ الحسين جسدته جمعية العلماء المسلمين في شعارها "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا".

ومن المعلوم أن الشيخ الحسين رحمه الله استقر بالنخلة سنة 1940، ولم يلتق بعد هذا التاريخ زعيم الإصلاح بالمنطقة الشيخ عبد العزيز الشريف لقاءً يرتقي إلى مستوى تبادل الآراء والأدوار الإصلاحية، لأن الشيخ عبد العزيز قاد الانتفاضة الشعبية الثانية بسوف "هدّة عميش الثانية" من 13

---

[1] مجلة الشهاب، الجزء السابع من المجلد الثالث عشر، رجب 1356هـ / سبتمبر 1937م، ص: 316 وما يليها.

إلى 18 أفريل 1938، وعلى إثرها سجن بسجن "الكدية"[1] ثم نفي إلى تونس وبقي هناك حتى وفاته سنة 1965، إلا أنه على علم بكل ما دار وما يدور، وعلى اتصال دائم بزاوية "البياضة" ومدرستها الحرّة.

وقد جاءت زيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى وادي سوف سنة 1937م رفقة وفد من العلماء وهم "محمد خير الدين"، "العربي التبسي"، "مبارك الميلي"، و"حمزة بوكوشة"، للإطلاع عن قرب على وضع التعليم ورفع معنويات المدرسين ودعم المدارس القرآنية، فكان لها الأثر البالغ في المنطقة من الناحية السياسية والتمكين للأفكار الإصلاحية وتشجيع أصحابها، غير أن الشيخ الحسين لم يحضر لهذه الزيارة لأنه لا يزال في تونس آنذاك.

يقول أحد تلاميذه: "التقيت بأستاذي الشيخ الحسين رحمه الله سنة 1966، وعند حديثنا على جمعية العلماء ودورها قال لي متأسفا: لم أحضر لزيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى الوادي..وعند استقراري بالنخلة تبادلت الزيارات مع رجال الجمعية، وفي الغالب كنت أنا من أزورهم في الوادي والبياضة"[2].

وكان بإمكان الشيخ الحسين رحمه الله أن يعمل بمدارس ومعاهد جمعية العلماء المسلمين المنتشرة عبر الوطن الجزائري حينذاك مثلما فعل كل زملائه في الدراسة، إلا أن قناعته بتنفيذ وصية والده المتضمنة خلافته بالمسجد العتيق بالنخلة، كانت الدافع لبقائه بقرية معزولة تختلف ظروفها عن الحواضر التي

---

[1] يقع سجن الكدية بقلب مدينة قسنطينة، وهو عبارة عن بناية أنجزتها فرنسا عام 1876 بعمارة كولونيالية.

[2] لقاء مع الأستاذ بن علي مسعود بتاريخ: 05 أفريل 2009 بمدينة عنابة، وكان اللقاء بين الأستاذ مسعود والشيخ الحسين بمقر اتحادية الحزب بالوادي عندما كان منسقا لها سنة 1966.

تشهد حركية تعليمية ودينية وإصلاحية، ورغم ذلك فقد ساير الركب وكان وثيق الصلة بجمعية العلماء المسلمين، كما كان يحدث طلبته عن الجمعية وأهدافها قائلا: "إن عمّال جمعية العلماء من الرجال الذين يريدون الخير للجزائر والأمة الجزائرية"[1] كما كان يتابع ما يصدر عنها من مجلات وجرائد ومطبوعات، وقد وجدنا في أرشيفه ما يثبت ذلك، ومنها جريدة البصائر العدد العاشر السنة الأولى من السلسلة الثانية ليوم الاثنين 28 ذي القعدة 1366هـ الموافق لـ 13 أكتوبر 1947م والمتضمنة هيكلة وتوزيع وإعادة تعيين بعض المعلمين بعد التجربة والاختبار على مدارس الجمعية عبر الوطن.

أما بالنسبة للوضع العام وما شهدته أربعينات القرن الماضي وما قبلها من انحراف وخرافة وشيء من الجهل في الثقافة العامة للمجتمع كان للمستعمر نصيب فيه، كما أن حاجة الناس دفعت بالبعض منهم إلى سلك سلوكات خاطئة عن غير قصد أحيانا، كالتداوي عند العرّافين والمشعوذين في ظل انعدام المرافق الصحية بالمفهوم الحديث، وانتشار الفكر الخرافي وسيطرته على البعض، والإيمان ببعض الخوارق، والتبرك بالأولياء، وبروز عدة مظاهر تنبئ عن فراغ روحي وانصراف للشهوة والملذات، وضعف في الوازع الديني جرّاء الفتور الذي ساد، بتغييب الواعظين والمرشدين والمصلحين والتضييق عليهم، وفرض رقابة مشددة على نشاطهم، ولا يمكن معالجة هذا الوضع إلا بثورة علمية ومعرفية وتعليم أصيل، وتوجيه صحيح يقوده رجال حكماء قادرون على غسل العقول، وإيقاظ النفوس، وتقويم الاعوجاج، أمثال الشيخ الحسين رحمه الله الذي

[1] لقاء مع عبد القادر مرزوقي يوم: 29 مارس 2010.

أحدث نهضة فكرية هادئة ببلدة "النخلة" وما جاورها، غيرت من أحوال المجتمع وأنارت عقولا أراد لها المستعمر أن تبقى سابحة في ظلامها، مستندا على رصيد معرفي اكتسبه، وعلى علاقات التأثير والتأثر بروّاد الإصلاح، أمّا وسيلته فكانت التعليم الصحيح والتوجيه الهادئ والإقناع الحسن.

إن الوضع الثقافي المتردّي الذي أرادت فرنسا أن تبقيه غطاءً يحجب النور عن أعين الجزائريين جعل معظمهم دعاة إصلاح، كما عبّر عن ذلك كاتب افتتاحية مجلة الشهاب: "بقدر ما كان تمسك الأمة بأسباب العلم كان رفضها للجمود والخمول والخرافات والأوضاع الطرقية المنحدرة للفناء والزوال، حتى أصبح القطر الجزائري كله يكاد لا تخلو بيت من بيوته ممن يدعو إلى الإصلاح وينكر الجمود والخرافة ومظاهر الشرك القولي والعملي، وأصبحت البدع والضلالات تجد في عامة الناس من يقاومها وينتصر عليها"[1].

الشيخ الحسين حمادي والحركة الوطنية

لقد حامت الأفكار السياسية حول الشيخ الحسين حمادي وهو في ريعان شبابه – 20 سنة – حين أكمل دراسته بزوايا الجنوب التونسي واتجه نحو الحياة العملية تحضيرا لدخوله لجامع الزيتونة، حينها شهدت تونس مخاضا سياسيا عسيرا تمهيدا لنضج الحركة الوطنية التونسية بداية بتأسيس الشيخ عبد العزيز الثعالبي "الحزب الحر الدستوري التونسي" سنة 1920م على أسس فكرية دينية وإصلاحية، لكن سرعان ما نفته السلطات الاستعمارية سنة 1923، ليظهر في الحزب تيار سياسي جديد بأفكار حداثية تجديدية تختلف عن أفكار الثعالبي،

---

[1] مجلة الشهاب، الجزء الأول من المجلد الثاني عشر، محرم 1355هـ / أفريل 1936م، ص: 03.

وأدى ذلك إلى بروز تجاذبات سياسية وخلافات منهجية وصل إلى تأسيس حزب جديد في 03 مارس سنة 1934م تحت اسم "الحزب الحر الدستوري الجديد"[1].

هذا الحراك السياسي وصل إلى طلبة الزيتونة، وأحدث شرخا بين البعض منهم، وصل حد المنازعات والتضارب مثلما حدث في شهر مارس 1938، وكما تخبرنا المجلة الزيتونية ".. ثم تبع ذلك تشويش عظيم وقع بين تلامذة جامع الزيتونة أفضى إلى وقوع منازعات شديدة آلت إلى تضارب التلامذة فيما بينهم وتداخل رجال السلطة، وكان السبب الأصلي في ذلك كله اختلاف النزعة السياسية بين الطلبة، حيث أن منهم فريقا ينتمي لحزب الدستور القديم ـ اللجنة التنفيذية ـ وفريقا ينتمي لحزب الدستور الجديد ـ الديوان السياسي ـ فطغى عليهم جانب الإحساس، وبالغوا في التعبير عن عواطفهم بصورة أفضت إلى استياء عموم السكان، وتذمرهم من وصول الشقاق إلى هذه الدرجة المزعجة"[2].

ورغم ذلك فإن هذا التجاذب السياسي كان في صالح الحركة الوطنية التونسية وفي صالح تونس، لأن النتائج كانت تكوين سياسي مبكر للشباب من جميع الأطراف، خاصة طلبة الزيتونة لطبيعة ما يتلقونه من علوم وقناعاتهم التي يلتقي معظمها مع قناعة الشيخ عبد العزيز الثعالبي، وفي النهاية أثمرت بنتيجة كبرى وتتويج عظيم تمثل في استقلال تونس يوم 20 مارس 1956.

---

[1] الطاهر بن عبد الله، المرجع نفسه، ص:61.

[2] المجلة الزيتونية عدد محرم 1357هـ / مارس 1938م، المجلد الثاني، الجزء السادس ، ص: 286، وفي هذا العدد وجهت هيئة مدرسي جامع الزيتونة نداء للطلبة دعتهم فيه للهدوء والتعقل ونبذ الخلافات.

وفي نفس الوقت كانت الحركة الوطنية الجزائرية في مرحلة البروز ودخول سن الرشد بتأسيس بعض الأحزاب كنجم شمال إفريقيا سنة 1926، وحزب الشعب في 11 مارس 1937.

وفي شهر فيفري من سنة 1943 حدث تطور نوعي في الموقف السياسي لجميع التيارات والأحزاب الوطنية بما فيها جمعية العلماء المسلمين بصدور "بيان الشعب الجزائري" الذي كلف "فرحات عباس" بصياغته والذي تضمن مجموعة من المطالب الداعية ضمنيا إلى المطالبة بالاستقلال، رفعت إلى السلطات الحاكمة في مدينة الجزائر التي وعدت بدراستها لكنها لم ترد عليها، وعلى إثر ذلك تشكل "حزب حركة أصدقاء البيان والحرية"[1].

ثم كانت أحداث الثامن ماي 1945 التي بينت النوايا الحقيقية لفرنسا الاستعمارية، وتكالبها على الجزائريين بإسقاط خمس وأربعون ألف شهيد، فضلا عن تدمير القرى والمداشر وكل مقومات الحياة، فأصبح هذا الحدث بداية النهاية للوجود الاستعماري بالجزائر من خلال التغيّر الجذري في قناعات الجزائريين، ودعم المبادئ الوطنية بصدورهم، والعمل على تعديل مواقف بعض المترددين، وخلق حركية سياسية في كل القطر الجزائري رجّحت الكفة في الأخير لصالح الداعين إلى إشعال الثورة والتخطيط لإنشاء التنظيمات السرية.

ورغم أن حزب الشعب الجزائري قد حُظر منذ شهر سبتمبر سنة 1939 إلا أن أعضاءه بقوا يمارسون نشاطهم السرّي بين الجماهير، حتى أن السلطات الفرنسية اعتبرتهم المحرضّون على خروج المتظاهرين في أحداث الثامن ماي،

---

[1] المجاهد عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، دار البعث قسنطينة الجزائر، ط1 سنة 1991، ج1، ص: 116 و 117.

وبدخول سنة 1946 ظهر حزب الشعب تحت اسم "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" وطالب بالاستقلال التام صراحة ودون غموض.

وفي 15 و16 فيفري سنة 1947 مؤتمر حزب الشعب الجزائري ـ حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ـ يعقد مؤتمره ويقرر إنشاء المنظمة العسكرية السرية "المنظمة الخاصة" التي كانت نواة جيش التحرير الوطني، وقد أسندت مهمة إنشائها والإشراف عليها للمناضل محمد بلوزداد[1].

أمّا سنة 1948 فقد وُسمت بإجراء انتخابات المجلس الجزائري الذي شهد تزييفا شاملا واعتقال أكثر من نصف مرشحي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، واستعمال القوة والعنف ضد الناخبين المسلمين من طرف الإدارة الاستعمارية، فكان هذا الحدث بمثابة صدمة أيقظت ضمائر المتشككين وقوّت عزائم المترددين، وأيقن الجميع أن الداعين للقيام بالثورة لهم الأحقية والحق فيما سلكوا من نهج، فتصاعدت وتيرة التحضير للثورة، بتشكيل اللجنة الثورية للوحدة والعمل في شهر مارس 1954، ثم وقع اجتماع الاثنين والعشرين[2] في شهر جوان سنة

---

[1] ولد محمد بلوزداد يوم 3 نوفمبر 1924 بحي بلكور الشعبي، تحصل على شهادة البكالوريا سنة 1944 بعد أن درس بمدرسة كوسمي بالحامة وثانوية ميدان المناورات، حيث عمل لدى مصالح مديرية الشؤون الإسلامية للحكومة العامة وواصل تعليمه و هو يناضل في نفس الوقت في صفوف حزب الشعب الجزائري بخلية بلكور، اختير محمد بلوزداد لادارة المنظمة الخاصة حيث تولى بعزم مسؤولياته الجديدة إلى غاية سنة 1949، مرض بالسل الذي أودى بحياته في 14 جانفي 1952، ويرقد جثمانه بمقبرة سيدي محمد بالحي الشعبي بلكور الذي أصبح اليوم يحمل اسمه.

[2] وهم: مصطفى بن بولعيد، ديدوش مراد، باجي مختار، محمد العربي بن مهيدي، سويداني بوجمعة، عثمان بلوزداد، محمد بوضياف، رمضان بن عبد المالك، مصطفى بن عودة، لخضر بن طوبال، زيغود يوسف، رابح بيطاط، الزبير بوعجاج، سليمان بوعلي، بلحاج بوشعيب، عبد الحفيظ بوالصوف، عبد السلام حباشي، عبد القادر العمودي، محمد مشاطي، سليمان ملاح، محمد مرزوقي، وإلياس دريش.

1954، وتعيين قيادة جماعية تضم ستة أعضاء[1] "لجنة الستة"، وفي الاجتماع الموالي أي يوم 23 أكتوبر 1954 تم الاتفاق على إعطاء اسم جبهة لتحرير الوطني للحركة الجديدة وتنظيمها العسكري جيش التحرير الوطني، وتحديد موعد انطلاق العمل المسلح بأول نوفمبر، وفي اليوم الموالي 24 أكتوبر تمت المصادقة على محتوى وثيقة نداء أول نوفمبر 1954.

لعلها تكون هذه أبرز المحطات في مسار الحركة الوطنية والتي ساعدت في تأجيج روح الانتماء وحب الوطن في صدور عامة الجزائريين، وتبين للشعب الجزائري بل أصبح من يقينه أن المستعمر قرُبت نهايته.

وإن كانت هذه الأحداث قد فعلت فعلتها وغيرت قناعة عامة الشعب تجاه المستعمر، فإلى أي درجة وصلت قناعة أمن العلم والمعرفة أمثال الشيخ الحسين حمادي؟ الذي كان مقتنعا في الأصل أن الذي حارب مقومات الأمة، ونهب ثرواتها وانتهك الحرمات فيها، يجب أن يحارب بكل الوسائل، فكانت وسيلته الأولى التعليم العربي الصحيح، وبناء ما أراد المستعمر أن يهدمه، والمحافظة على أركان الشخصية الوطنية، ثم كانت وسيلته الثانية دعم الثورة المطلق بعد اندلاعها من خلال جهوده بالمنظمة المدنية.

والجدير بالذكر أن من الأحداث السياسية الهامة والتي كان لها ثقل في التكوين السياسي للشيخ الحسين حمادي هي أحداث اتسمت بطابع المحلية رغم أن معظمها امتداد لما حدث ويحدث بكل القطر الجزائري، وقد استمدت قوة تأثيرها من قربها وملامستها للشيخ الحسين ومنها:

---

[1] لجنة الستة وهم: ديدوش مراد، العربي بن مهيدي، محمد بوضياف، رابح بيطاط، مصطفى بن بولعيد، وكريم بلقاسم.

- تنصيب أول خلية لحزب الشعب بوادي سوف سنة 1942 بعد اجتماع سرّي بمنزل "الشهيد ونيسي الهاشمي"[1]، وبرئاسة المناضل أحمد ميلودي، وعضوية كل من: البشير ميهي "محمد بلحاج"، عبد القادر العمودي، الهاشمي ونيسي، المولدي ونيسي، عبد السلام الشابي، البشير بن موسى، مصباح سالم، الشافعي قدادرة، وبلقاسم العمودي[2].
- تأسيس خلية لحزب الشعب الجزائري - حركة الانتصار للحريات الديمقراطية - سنة 1947 بوادي سوف من طرف المناضل أحمد ميلودي رفقة البشير ميهي "محمد بلحاج"، البشير بن موسى، عبد القادر العمودي، ونيسي المولدي، عيادي علي، وغندير البشير بن بدادي[3].
- توسع النشاط السياسي وتكثيفه بمنطقة وادي سوف كتأسيس أول فوج كشفي "فوج الرمال" سنة 1947 بطلب من الشهيد محمد العربي بن مهيدي، والتداول الكبير للمنشورات السرية لحزب الشعب وبعض الجرائد الوطنية والتونسية مثل جريدة الزهرة، الصباح، والمغرب العربي، فساهم ذلك في خلق حركية سياسية وارتقاء بالوعي وتنوير للفكر.
- انتخاب المجلس الجمهوري لأهالي وادي سوف، وكان ذلك يوم الأحد 04 أفريل 1948، حيث كان الفوز فيها

---

[1] الشهيد ونيسي الهاشمي: ولد الشهيد سنة 1925 بالوادي، تحصل على الشهادة الابتدائية الفرنسية ومستوى من التعليم الثانوي بقسنطينة، عمل بالإدارة المحلية ثم إدارة البريد، نظرا لنشاطه المكثف نفته السلطات الاستعمارية إلى "الزاوية الكحلة" بالصحراء، في سنة 1955 انضم إلى المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني كمناضل نشيط إلى أن ألقي عليه القبض في شهر أفريل 1957، حينها أعدم دون محاكمة.

[2] المجاهد علي عون عضو الأمانة الولائية للمجاهدين مكلف بالإعلام والتاريخ، محاضرة: مساهمة وادي سوف في تفجير الثورة، ألقيت في إطار أشغال الندوة الفكرية الخامسة محمد الأمين العمودي أيام: 29 و 30 أفريل و1 و 2 ماي 1992، بدار الثقافة بالوادي.

[3] سعد العمامرة، الجيلاني العوامر، شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، م النخلة، ط1، ص: 19.

للوطنيين (أحمد ميلودي) بنسبة تفوق 90%، لكن الحاكم العسكري رفض النتيجة وألغى الانتخابات وأعادها في دورة ثانية يوم الأحد 11 أفريل 1948 بعدما غيّر الترشيحات بما يقصي الوطنيين ويخدم مصالح الإدارة الفرنسية[1].

- المناضل البشير ميهي "محمد بلحاج" يزور الشيخ الحسين بالنخلة، ويكرر الزيارة ابتداء من سنة 1947 حيث كان له نشاط مكثف بالنخلة، أهمّه الإشراف على الاجتماعات السرية في الغيطان للتوعية والتعبئة والتجنيد تحضيرا للثورة.
- اللقاءات المتكررة بين الشيخ الحسين وبعض رجال العلم والسياسة أمثال: الشهيد الشيخ "أحمد التجاني"[2]، الشهيد الشيخ "محمد الضيف لقرع"[3]، الشهيد الشيخ "محمد الطيب لقرع"[4]، والشهيد "الطيب بكاري"[5]، وقد عرف

---

[1] المجاهد علي عون، المرجع نفسه، (محاضرة: مساهمة وادي سوف في تفجير الثورة)

[2] هو الشهيد سي أحمد بن العيد بن الحاج بن سالم بن امحمد التجاني ولد خلال سنة 1901 بالبياضة، حفظ القرآن الكريم على يد والده العيد بن يامة، ثم واصل دراسته بجامع الزيتونة، وبعد تخرجه رجع إلى البياضة واشتغل بالتدريس والتعليم القرآني والإمامة، عرف الرجل بمواقفه المناهضة للاستعمار وأفكاره الثورية الصلبة ومناصرة القضية الوطنية بكل ما يملك، استشهد رحمه الله يوم 01 أفريل 1957، بعدما قتل أحد جنود الاستنطاق وكسّر ذراع آخر.

[3] هو الشهيد محمد الضيف بن الإمام بن سعد لقرع ولد سنة 1913 بالخبنة بلدية النخلة، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ثم التحق بجامع الزيتونة أواخر الأربعينات، وبعد تخرجه عينته جمعية العلماء المسلمين معلما بقرية "آيت عبان" بجبال جرجرة، ساند الثورة ودعمها، كما التحق بصفوف جيش التحرير الوطني، استشهد رحمه الله سنة 1957.

[4] هو الشهيد محمد الطيب بن الإمام بن سعد لقرع ولد سنة 1916 بالخبنة بلدية النخلة، حفظ القرآن الكريم، ثم التحق سنة 1949 بجامع الزيتونة، عين سنة 1954 مدرسا من طرف جمعية العلماء المسلمين بقرية "تيروال" بتيزي وزو، فكان يدرّس بالنهار ويحمل السلاح بالليل وحين اكتشف أمره وعلم باغتيال أخيه فرّ إلى منطقة الأوراس لينضم رسميا إلى جيش التحرير الوطني، استشهد بالأوراس سنة 1958.

[5] الشهيد الطيب بكاري: هو المدعو الطيب بن قدرية ولد سنة 1913 بالبياضة، كان يعمل إماما بأحد مساجد البياضة الجنوبية، انخرط في العمل السياسي مبكرا ثم كان ضمن خلية التنظيم المدني بالبياضة، استشهد ليلة الجمعة 11 رمضان 1376هـ الموافق لـ 11 أفريل 1957م بزملة غدير غرب

هؤلاء بتبنيهم المبكر للعمل السياسي والانخراط بالحركة الوطنية، خاصة الشهيد "أحمد التجاني" الذي كان من أصدقائه المقربين وممن عمل معهم أثناء الثورة بالتنظيم المدني - سيأتي تفصيله لاحقا - وقد عرف الشهيد "أحمد التجاني" بمواقفه الصريحة ومناهضته للمستعمر من خلال دروسه وخطبه وكل سلوكاته، بل ذهب إلى أبعد من ذلك بموقفه تجاه فلسطين حين اغتصبت سنة 1948، "فقد أخذته حمية كبيرة وغيرة شديدة، وقام بحملة واسعة بالأسواق والأماكن العامة لتوعية الناس وتحذيرهم من خطورة الأمر"[1].

- الحركة الدؤوبة والسرية للغاية التي شهدتها منطقة "وادي سوف" لشراء الأسلحة من القطرين المجاورين تونس وليبيا وتخزينها ثم إرسالها إلى نواحي "بسكرة" ومنها إلى الأوراس، وكان ذلك ابتداء من سنة 1947 بطلب من "محمد بلوزداد" الذي زار المنطقة وتفقد خلايا الحزب السرية بالوادي[2]، ورغم السرية التامة التي أحاطت بعمليات شراء السلاح وتخزينه وعدم تفطن عامة الناس لذلك، فالأرجح أن الشيخ الحسين حمادي كان على علم بما يجري والدليل أنه كان على اتصال بالبشير ميهي "محمد بلحاج"، وتربطه علاقة متينة وطيبة بـ "زواري أحمد الصادق"[3]، وهما من سافرا إلى

مركز لاصاص بالرباح رفقة الشهداء سلطان شوشان، بن عمر ميدة، مصطفى عسيلة، الساسي غريبي بن قدور، وجديدي محمد الصغير، فيما يعرف بمجزرة رمضان التي ارتكبتها فرنسا إثر اكتشاف التنظيم المدني بسوف.

[1] الأستاذ السعيد ديدي، علم سوف الشيخ أمحمد التجاني، لا توجد المطبعة أو الناشر، ص: 14 و 15.

[2] سعد العمامرة، الجيلاني العوامر، شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، مطبعة النخلة، ص: 22.

[3] زواري أحمد الصادق: ولد سنة 1908 بالرباح، تربى بالبادية فعرف أسرار الصحراء والصيد والسلاح، كان من الذين جلبوا السلاح للثورة بين سنتي 1948 و 1953 رفقة المناضل محمد بلحاج

ليبيا لشراء وجلب السلاح، "فقد شرعنا في جلب السلاح من الجنوب التونسي وليبيا إلى وادي سوف، منذ منتصف سنة 1948 كمرحلة أولى، ومن منتصف سنة 1953 كمرحلة ثانية، وبإشراف محمد بلحاج، بلغ مجموع ما جلبناه إن لم تخني الذاكرة 08 قوافل، أربعة من الجنوب التونسي وأربعة من ليبيا، وكل قافلة تتكون من أربعة جمال محملة بكميات كبيرة من مختلف الأسلحة والذخيرة"[1].

الشيخ الحسين حمادي والثورة التحريرية المباركة

الثورة الجزائرية لم تكن مفاجأة لمتتبعي مسار الأحداث والفاعلين في الحركة الوطنية كثورة لأن التحضير لها بدأ منذ سنة 1947 حين أنشئت المنظمة العسكرية السرية "المنظمة الخاصة"، إنما المفاجأة توقيتها الذي عجّلت به أزمة الحزب ابتداء من سنة 1953، واختيار لحظة انطلاقها وتنظيمها المحكم ودقة عملياتها التي أدهشت العدو، فكان صداها مدويّا في الخارج والداخل، فغدا الإيمان بها ودعمها من الواجبات لتكمل مسارها وتفرض نجاحها، هذا النجاح الذي استند إلى احتضان الشعب لها، كل الشعب رئيسه ومرؤوسه، أميره وحقيره، كبيره وصغيره، مثقفه وأميّه، وبكل الوسائل المتاحة.

من الجنوب التونسي والليبي، بعد عودته من فرنسا انخرط بصفوف الأمن المدني الفرنسي سنة 1956 إلى غاية سنة 1959، كانت له عدة مواقف مشرفة في خدمة رجال الثورة وتنظيمها المدني بالجهة من خلال التستر على نشاطهم والتدخل لإطلاق سراحهم. كان الفضل لله ثم له في إقناع "كورنيو" بنفي الشيخ الحسين إلى تونس بدل تصفيته، توفي الصادق زواري يوم 01 مارس 2001.

[1] زواري أحمد الصادق بن البشير، تسجيل فيديو بتاريخ شهر أوت 1998، بمنزله بالرباح، حوار وتسجيل الأستاذ: طليبة بوراس.

وتبقى مسؤولية الأعيان والمثقفين ورجال الفكر والعلماء أعظم وأثقل، فهم الطليعة وهم الذين يوجهون إلى النهج الصحيح والمخرج المشرّف.

ولهذا كان الشيخ الحسين رحمه الله من الأوائل الذين آمنوا بالثورة، فاحتضنها وناصرها وراح يشرح أهدافها ومراميها لطلبته ولعامة الناس خاصة في بدايتها عندما اختلط الأمر على البعض جرّاء الدعاية الاستعمارية المضادة وبشتى الوسائل العسكرية، السياسية، الإعلامية، الدعائية، والدبلوماسية، لتشويه الثورة والمجاهدين من طرف المستعمر وأعوانه، ونعتهم بنعوت أقلها أنهم خارجون على القانون ولا يحبون الاستقرار والأمن، وبالموازاة مع ذلك اتخذت السلطات الاستعمارية أخطر قرار تمثل في سنها لقانون حالة الطوارئ الذي صادق عليه البرلمان الفرنسي في الفاتح من أفريل سنة 1955 لكسر الثورة وخنقها في مهدها لكي لا تستفحل وتتغلغل بين الجماهير.

ولذلك كان الشيخ الحسين حذرًا وقد سلك في عمله هذا مبدأ الحكمة والسرّية التامة وبخطوات مدروسة بعيدة عن كل اندفاع قد ينسف كل الجهود الرامية إلى التجنيد والدعم المادي والمعنوي.

وبهيكلة المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني بالمنطقة أشرف الشيخ الحسين على هذا التنظيم في "النخلة" أما مهمته الرسمية فقد كلف بجمع الأموال والسلاح والتعبئة للثورة، والقيام على الشؤون الاجتماعية والمادية المتعلقة بالعائلات المجاهدة وعائلات الشهداء، وتحقيقا للسرية والانضباط بادر إلى خلق نظام مصغر بالنخلة تمثل في تعيين شخص لكل عائلة لضمان التكتم والشمولية، كما استند في عمله القاعدي على

الحكمة والتعقل وترك العواطف، وتوجيه الناس إلى عدم الاندفاع، وقد أثمر هذا المخطط العقلاني تضليل وإرباك "كرنبوا"[1] قائد "لاصاص" بالرباح، حيث يأتي إلى "النخلة" متحسّسًا لكنه لا يصل إلى نتيجة، وهو المعروف بأنه شديد الحساسية من الزيتونيين وعامة المثقفين، وقد أمر "كرنبوا" أعوانه بتشديد الرقابة عليهم وترصد كل حركاتهم، هؤلاء الأعوان الذين قالوا له يوما: "لا يمكن أن تنتهي الدعم الشعبي للثورة إلا إذا قضيت على الزيتونيين"[2].

وإضافة إلى ضغط النشاط التعبوي والدعم اللامحدود للثورة بالجهة الجنوبية من سوف، فقد تعرّض "كرنبوا" لضغط رهيب آخر من طرف قيادته التي وصفته بالعجز والفشل في القضاء على دعم الثورة بمنطقة "عميش"[3]، معتبرة أن كل القيادات في السياسة والثورة وهيكلة تنظيمها المدني خرجت من "عميش"، فغدا "كرنبوا" في وضعية حرجة لا يمكن أن يخرج منها إلا بتحقيق نصر يحفظ له ماء الوجه، وهو ما جعله شديد الحذر والرقابة على كل الوطنيين والأعيان بمقاطعته الإدارية علّه يصل إلى نتيجة تعزز من مكانته وتعطيه شيئا من المصداقية لاسترجاع ثقة القيادة، لكن سرعان ما حدث العكس حيث اندلعت معركة "الدبيديبي"[4] بتاريخ: 15 جانفي 1956،

---

[1] كرنبوا: وينطق لدى العامة كرنبا، وهو Pierre Corne Bois رئيس وقائد مركز لاصاص بالرباح، أي المصالح الإدارية المختصة (SAS) أي:

LES SECTIONS ADMINISTRATIVES SPECIALISEES

[2] لقاء مع الأمين حمادي نجل الشيخ الحسين حمادي بتاريخ: **31 مارس 2006.**

[3] عميش: وهي الجهة الجنوبية من ولاية الوادي ومركزها البياضة وضواحيها الرباح والنخلة والعقلة، وعميش تاريخيا هي كل الجهة الجنوبية ابتداء من حي باب الوادي حاليا في اتجاه الجنوب حتى سندروس جنوب بلديتي العقلة والنخلة.

[4] الدبيديبي: هي الآن منطقة فلاحية على بعد حوالي 7 كلم جنوب غرب بلدية الرباح، وقعت بها معركة من معارك جيش التحرير الوطني فسميت باسمها، وهي معركة شارك فيها أكثر من **60** مجاهدا، أستشهد منهم **24** مجاهدا وكان منهم قائد المعركة الشهيد العربي فرجاني بن الهادي.

على بعد حوالي 5 كلم فقط من مركز "الاصاص" بال...
فأدخلته في ورطة جديدة وعمّقت أزمته وزعزعت ثقته أكثر

ورغم ما تبع معركة "الدبيديبي" من حملات تفتيش
ومداهمات واستنطاق وتعذيب في مختلف مناطق "الر...
و"البياضة" إلا أن التنظيم المدني بقي نشيطا على وتيرة بدايته
والدعم للثورة بشتى أنواعه لم يتوقف لحظة، غير أن الإدار...
الاستعمارية توصلت إلى حقائق ثابتة، منها المجندين الجدد في
المعركة ومصادر السلاح أوحت لها بوجود سند شعبي لم تتمكن
من ضبط قادته ومساحة امتداده وطبيعة هيكلته، حيث كان
الشيخ الحسين أحد القادة الرئيسيين بالجهة الجنوبية من "عميش..."
وعلى اتصال وتنسيق مع الشهيد "أحمد التجاني"[1] بالبياضة.

ولم تكن علاقة الشيخ الحسين بالشيخ الشهيد "أحمد
التجاني" علاقة العمل الثوري فقط، بل هي علاقة علم وتقدير
واحترام، أصبح فيها الشيخ الحسين مرجعا للشهيد "أحمد
التجاني" في شتى المسائل والقضايا العامة، ولعل ما قاله وال...
"العيد بن يامة" في الشيخ الحسين كان له الأثر البالغ، حيث
أوصى ولده الشيخ "أمحمد" - وهو الأخ الأصغر للشهيد أحمد
التجاني - قائلا: "إذا أشكلت عليك مسالة أو طلبت مشورة
فأذهب إلى الشيخ الحسين"[2].

يقول الأمين نجل الشيخ الحسين: "في أواخر سنة 1956
أعطاني والدي ما جمع من المال لتوصيله إلى الشيخ أحمد

---

[1] هو الشهيد سي أحمد بن العيد بن الحاج بن سالم بن امحمد التجاني ولد خلال سنة 1901 بالبياضة، حفظ القرآن الكريم على يد والده العيد بن يامة، ثم واصل دراسته بجامع الزيتونة. وبعد تخرجه رجع إلى البياضة واشتغل بالتدريس والتعليم القرآني والإمامة، عرف الرجل بمواقفه المناهضة للاستعمار وأفكاره الثورية الصلبة ومناصرة القضية الوطنية بكل ما يملك، استشهد رحمه الله يوم 01 أفريل 1957، بعدما قتل أحد جنود الاستنطاق وكسّر ذراع آخر.

[2] لقاء مع الأمين حمادي نجل الشيخ الحسين حمادي بتاريخ: 31 مارس 2006.

التجاني، وحين قدمت له المبلغ طلبت منه أن يحسبه للتأكد، فقال لي: لا أحسب فقد تعاهدت مع الشيخ الحسين على عهد الله ورسوله"[1].

ومن العوامل الهامة التي ساعدت الشيخ الحسين على نجاح مهمته بالتنظيم المدني لجبهة التحرير الوطني:

- شخصيته المؤثرة وقدرته على القيادة والتجنيد، ومدى احترام الناس له وثقتهم به، "كان الشيخ الحسين الأب الروحي لأهل النخلة، ولذلك عندما يطلب منهم تقديم الاشتراكات .. يقدمون ولو كانوا غير مقتنعين بذلك"[2].
- التروّي والحكمة وعدم الاندفاع والانسياق وراء العواطف الجيّاشة والحماسة المفرطة التي يغيب معها العقل، لأن العمل الثوري والنضالي يتطلبان الحسابات الدقيقة التي لا تُترك فيها الثغرات للعدو المتربص.
- العمل بمبدأ السرّية كمنهج سلكه الشيخ الحسين لضمان صيرورة العمل النضالي والحفاظ على التنظيم المدني وأرواح المنخرطين به، ووصل به الأمر في البداية إلى عدم تحرير القوائم، وعدم ذكر الأسماء في الوصولات، "كان الشيخ الحسين لا يكتب الأسماء ولا تحرير القوائم للمساهمين في الثورة في البداية خوفا من سقوطها في يد السلطات الاستعمارية، بل كان يكتب المقتطعات (الوصولات) باسم (أخ في الله) وعندي وصل مكتوب عليه (أخ في الله)، وعندما فُرض عليه كتابة القوائم في إطار التوثيق للمنظمة المدنية أضطرّ إلى كتابة القائمة،

---

[1] لقاء مع الأمين حمادي نجل الشيخ الحسين حمادي بتاريخ: 07 أفريل 2006.

[2] لقاء مع الأستاذ والمجاهد وتلميذ الشيخ الحسين، بن علي مسعود بتاريخ: 05 أفريل 2009 بمدينة عنابة.

لكنها بفضل الله أن الشيخ أحمد التجاني لم يرسلها وأتلفها قبل القبض عليه، ولذلك لم تكتشف قوائم خلية النخلة ضمن قوائم التنظيم المدني في أفريل سنة 1957"[1].

- عدم ظهور الشيخ الحسين على مسرح الأحداث ومكوثه بين البيت والمسجد، وتكليف أعوانه بالمهام، فكان نجله "الأمين" يتصل بخلية "البياضة" وعموم مناضليها وينقل المال، أمّا "الحاج المولدي داده" يعتبره أمين سرّه مكلف بالبريد وتبادل المعلومات، وأحيانا يستعين في هذه المهمة بـ "التجاني دويس"[2]، أما التجنيد فكان يشرف عليه بنفسه من خلال إقناع بعض طلبته وكل من رأى فيه القدرة على الالتحاق بالثورة، أما الإدارة والتنسيق العام فقد خصّص لها جزءًا من بيته لاستقبال الضيوف والاجتماعات الخاصة بالثورة أو مجالس العلم وطلب الفتوى ونحو ذلك.
- انفتاح الشيخ الحسين وسعة صدره للجميع، فقد زاره مناضلو الحركة الوطنية قبل الثورة، والمجاهدون أثناء الثورة، والمناضلون بالتنظيم المدني، والعلماء والطلبة والباحثون، وطلاب الرأي والمشورة، والمتخاصمون الذين يطلبون الصلح، وطلاب الأحكام والفتوى، وحتى أعوان المستعمر و"الآباء البيض"، فظهر للإدارة الاستعمارية بأنه على نفس المسافة من الجميع، وأنه رجل يتساوى عنده الجميع، حتى أنها لمحّت له أحيانا

---

[1] الحاج المولدي داده بن الصادق، لقاء معه يوم: 25 جوان 2009.

[2] التجاني دويس: وهو فطحيزة التجاني التجاني، ولد سنة 1912 بالنخلة، كان أحد تلاميذ الشيخ الحسين ومن أصدقائه، اشتغل بالتجارة وأصبح من أعيان بلدة النخلة آنذاك، توفي رحمه الله يوم: 27 ديسمبر 2001.

بمساعدتها على تهدئة الناس ولعب دور يسهم في الاستقرار الاجتماعي.

الشيخ الحسين حمادي والآباء البيض

كان "الآباء البيض"[1] يزورون الشيخ الحسين ويجالسونه في جلسات حوارية، خاصة في الفترة مابين أواخر سنة 1955 وسنة 1957، وكان الشيخ الحسين يستقبلهم في بيته ويرحب بهم ترحيب الضيوف الكرام، رغم ما قيل حولهم وتخوّف البعض منهم معتبرا إياهم من مبعوثي "باطايون" قائد منطقة الوادي، والنقيب "كورنبوا" قائد مركز "الاصاص" بالرباح، لتقصي الحقائق واستنباط الأسرار.

وفي أول لقاء يرجح أنه أواخر سنة 1955 جرى بين الشيخ الحسين والأب الأبيض (البيّاس شعبيا) المدعو "الحبيب"[2]، وبعد الترحيب وتقديم مستلزمات الضيافة، نظر الشيخ الحسين مليًا في وجه "الحبيب" وقال له:

- وجهك ليس غريبا عليّ، والأرجح أنّي رأيتك سنة 1932 بتونس العاصمة وبالضبط في "باب سويقة"[3] وأنت تركب درّاجة هوائية.

---

[1] الآباء البيض أو جمعية مُرسلي أفريقيا، وهي جمعية إرساليّة تبشيريّة كاثوليكيّة، أسّسها المطران شارل ألمان لافيجري، في الجزائر عام 1868م. وكان لافيجري أسقف الجزائر منذ العام 1867 م. والقاصد الرّسولي للصحراء الغربية والسودان منذ 1868م، أمّا غاية هذه الجمعية فهو نشر المسيحية في القارة الإفريقية، وأصل تسميتها بالآباء البيض الثوب الأبيض الذي اتّخذوه زيًا لهم انسجامًا مع الزّي التّقليدي الذي كان يرتديه سكان شمال إفريقيا.تضمّ جمعية الآباء البيض الكهنة والرّهبان والعلمانيين.

[2] أكد لنا محمد زايد وهو من مواليد 1912، أنه يعرف المبشر "الحبيب" ورآه كم من مرة في النخلة أثناء زيارته للشيخ الحسين، لقاء مع محمد زايد المدعو "بزّوايد" بتاريخ: 13 جوان 2008.

[3] باب السويقة أو باب سويقة هو أحد أبواب مدينة تونس العتيقة .كان يقع قرب حي الحلفاوين المجاور لباب العسل وباب الاقواس، بين باب البنات وباب قرطاجنة من الأسوار الداخلية، وبين باب الخضراء وباب سعدون من الأسوار الخارجية للمدينة العتيقة، وكان قد هُدم عام 1861 .وهو حاليًا أيضا أحد الأحياء الشعبية لمدينة تونس نسبة إلى ذلك الباب.

- فردّ "الحبيب": صحيح بالفعل فقد كنت في هذه السنة في "باب سويقة"[1].

وتعجب "الحبيب" من ذكاء الرجل وقوة ذاكرته، وتأكد أنه يحاور شخصية قوية واثقة بالنفس ضالعة في العلم كما سمع عنها.

وقد تبادل الرجلان الأسئلة وتشعّبت بهما سبل النقاش في شتى شؤون الدين والدنيا والسياسة والثورة وفي لقاءات متعددة، لكنها لا تخلو من أسئلة حرجة مضمونها:

- ما معنى الجهاد ومن هو المجاهد؟
- ما معنى الشهادة، وهل كل من مات يقاتل فرنسا شهيدا؟
- لماذا يرفض الجزائريون التحضر الذي تريده فرنسا لهم؟
- ماذا سيفعل المجاهد الذي يحمل أربع خرطوشات؟[2]

كما حاول "الحبيب" إقناع الشيخ الحسين بأن فرنسا لم تستعمر الجزائر، بل جاءت لتنقذها وتخرجها من التخلف إلى الرقي والحضارة والازدهار[3].

وعندما نفكر بصدق وجدّية في فحوى هذه اللقاءات نجد لها جوانب إيجابية عديدة، منها أن الشيخ الحسين قد سبق عصره وسبق ما ينادي به العالم المتحضر حول حوار الأديان والحضارات، وأنه يقبل الآخر إن كان عدوا، ورأي الغير وإن كان مخالفا لرأيه، كما تنبئ عن سعة صدره وأخلاقه وشهامته بعدم صد من قصده ولو كان من الآباء البيض.

---

[1] لقاء مع الأمين نجل الشيخ الحسين بتاريخ: 07 أفريل 2006.
[2] الأمين نجل الشيخ الحسين، المرجع نفسه.
[3] لقاء مع عبد القادر مرزوقي يوم: 29 مارس 2010.

أما عامة الناس فأغلبهم يجزمون أن الشيخ الحسين أصبح تحت الرقابة المشددة وأكتشف نشاطه قبل اكتشاف التنظيم المدني بوادي سوف سنة 1957 بفضل التقارير الدورية التي قدمها "الحبيب" إلى القيادات الفرنسية بالمنطقة والمتضمنة تحذيرات من خطر الشيخ الحسين واعتباره شخصية مؤثرة قادرة على توجيه الناس نحو دعم الثورة وتمويلها بشتى الوسائل.

الشيخ الحسين حمادي وقائد لاصاص بالرباح (كورنبوا)

كان قائد "لاصاص" بالرباح النقيب "كرنبوا" شديد الحذر من منطقة "عميش" أي مقاطعته الإدارية المُعين بها، ويرجع ذلك إلى توصيات قادته، وتوصيفها بأنها منطقة متمردة مستندين على معطيات تاريخية منها الانتفاضة الشعبية الأولى بسوف "هدّة عميش الأولى" بتاريخ 15 نوفمبر 1918م بقيادة الشيخ الهاشمي الشريف، والانتفاضة الشعبية الثانية بسوف بتاريخ من 13 إلى 18أفريل 1938م بقيادة الشيخ عبد العزيز الشريف.

كما لا ننسى واقع حال "عميش" لمّا عين "كرنبوا" بها سنة 1955 عندما أنشئت "المصالح الإدارية المختصة" (SAS) ، التي وُضعت لها خريطة لتوزيعها حسب الأهمية السكانية والجغرافية والإستراتيجية لكل منطقة، فجاء مركز الرباح استجابة لهذا الواقع المساند للثورة بجميع الوسائل، وأُضيف له ملحق "لبّامة" سنة 1958، وهذا دليل على أهمية المنطقة وتخوّف الإدارة الفرنسية من نشاطها والحد من توسعه وانتشاره.

وعلى الأرجح أن "كرنبوا" كبقية ضباط الشؤون الأهلية من العسكريين الفرنسيين الذين تخرجوا من معاهد متخصصة في الدعاية وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والشؤون الجزائرية والذين يحسنون التكلم بالعربية والبربرية، أي أنه أكثر تفهما للواقع المحلي الجزائري، إلا أنه لم يفهم ما يدور حوله، والدليل أنه لم يتمكن من كشف نشاط خلايا المنظمة المدنية بمقاطعته إلا سنة 1957 عندما جيء له بقوائم النشطين والمناضلين بجهته بعد اكتشاف الدفاتر الرسمية بجهة "حاسي خليفة"[1].

وما تميز به "كورنبوا" أنه كان شديد الخوف من أعيان الجهة خاصة العلماء والمثقفين والمصلحين ورجال الدين، وكل من رأى فيه جانبا من الوعي والقدرة على استقطاب الناس، وعلى رأسهم الشيخ الحسين حمادي الذي خصّه باهتمام كبير ودراسة مستوفية لشخصيته ومكانته الدينية والاجتماعية والسياسية، ووصل إلى قناعة بأن الرجل خطر على فرنسا، فشدّد عليه الرقابة الغير مباشرة كاستعمال أعوانه السريين مثلا، والمباشرة كالدوريات العسكرية التي تتفقد منزله ليلا ومعرفة ما يجري به ومن يقصدونه؟ وفي أحيان كثيرة يقوم "كرنبوا" شخصيا بهذه المهمة مثلما حدث في سنة 1956 وبعدها.

يقول نجل الشيخ الحسين: "في شتاء سنة 1956 كان معي في غرفة الضيافة كل من المولدي داده والتجاني دويس وعمار بقاص، جاء كرنبوا بسيارته أوقفها في وجه النافذة وأشعل ضوءا حادا متفقدا ما في الغرفة، أطفأنا الشمعة وسكتنا ولم نتحرّك حتى تأكدنا أنه ذهب"[2].

---

[1] حاسي خليفة: تبعد عن مدينة الوادي حوالي 30 كلم جهة الشمال الشرقي، وهي اليوم مركز دائرة، وهي المنطقة التي اكتشفت فيها السلطات الاستعمارية والوثائق المتعلقة بالمنظمة المدنية.

[2] لقاء مع الأمين نجل الشيخ الحسين بتاريخ: 07 أفريل 2006.

ولم تأت تصرفات قائد "لاصاص" بالرباح تجاه الشيخ الحسين من فراغ لأنه يعلم مساندته المطلقة للثورة ودعمها، لكنه لم يتمكن من الدليل الملموس، وحجتنا في ذلك أنه بمجرد وقوع معركة "الدبيديبي" في 15 جانفي 1956 سارع "كرنبوا" إلى اعتقال الشيخ الحسين ضمن مجموعة من المناضلين الداعمين لمجاهدي المعركة بالمال والسلاح، وفتح معه تحقيقا مطولا ثم أمر بحجزه مدة 24 ساعة، ليطلق سراحه اليوم الموالي[1].

وقد لعب بعض الأعيان وشيوخ العروش والقبائل أمثال "زواري أحمد الصادق"، والشيخ "البشير بن حميم" (شيخ الربايع)، و"طليبة عبد القادر" (شيخ أولاد أحمد)، و"صوالح طليبة العيد" (شيخ العزازلة) دورا هاما في مساعدة الشيخ الحسين وإخافة "كرنبوا" منه، باعتباره شيخ علم ودين وله أتباع كثيرون، فالمساس به قد يؤدي إلى تذمر المجتمع وتمرده وخلق مشاكل بالجهة تكون عاقبتها وخيمة على الجميع.

اكتشاف المنظمة المدنية بوادي سوف

انتشرت خلايا المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني الداعمة للثورة بالمال والعتاد والرجال في كل قرى ومداشر وادي سوف، وتكثف نشاطها بشكل لافت للانتباه من صائفة سنة 1955 إلى ربيع سنة 1957، بقيادة الشهيد "الحاج البشير غربي"[2].

---

[1] لقاء مع الأمين نجل الشيخ الحسين بتاريخ: 07 أفريل 2006.

[2] ولد الشهيد الحاج البشير غربي سنة 1902 ببلدة حاسي خليفة، وبعدما حفظ القرآن الكريم عمل إماما بمسجد عَمْرة بحاسي خليفة، كلف بمسؤولية التنظيم المدني لجبهة التحرير الوطني من طرف القائد الطالب العربي من سنة تأسيسه 1955 إلى سنة 1957 حين اكتشافه في شهر أفريل (رمضان) من نفس السنة، حيث تمكنت السلطات الاستعمارية من الدفاتر التي تحوي أسماء المناضلين من مختلف جهات وادي سوف، وعلى إثرها ألقي القبض على الحاج البشير غربي يوم 04 أفريل وبعدما

ويشاء القدر أن تكتشف السلطات الاستعمارية هذه المنظمة في الفاتح من رمضان سنة 1376 هـ الموافق للفاتح من أفريل 1957م، وإن تعددت الروايات حول طريقة الاكتشاف، فالمؤكد أن الدفاتر الرسمية المتضمنة لأسماء خلايا المنظمة أصبحت بين أيدي العدو ممثلا في ضباط الحكم العسكري بوادي سوف وعلى رأسهم المتصرف الرئيسي للشؤون العامة بملحقة الوادي "لوس كاتينو" LUCE CATINOT ونائبيه العسكريين "باطايون" BATALLION و"ليطنه فور" LIEUTENANT FAURE، أما القائد العسكري العام فهو الكومندا "فوازار" VOIZARE وله نواب على مستوى مراكز لاصاص وهم:

- القبطان "كورنبوا" CORNEBOIS بمركز الرباح.
- ليطنه "لوكار" LECARD بمركز الدبيلة.
- ليطنه "هيبرتي" HUBERTY بمركز الرقيبة.

وكانت تدور بين هؤلاء اجتماعات تنسيقية دورية بعد تحصلهم على إشارات سبقت تنفيذ عملية المداهمة التي قادها "لوكار" رئيس مركز الدبيلة لمسجد حي "عَمْرة" بـ "حاسي خليفة" والقبض على إمامه "الحاج البشير غربي" مسؤول المنظمة المدنية بوادي سوف وأخذ الوثائق الخاصة بها وشيء من السلاح كان مخبأ بالمنبر، ومن خلال هذه الوثائق تم متابعة المناضلين في مختلف أنحاء وادي سوف في شكل مداهمات وتفتيش وتعذيب وحشي ثم الإعدام الجماعي فيما عرف بـ "مجزرة رمضان 1957 بوادي سوف"، موزعة كالآتي:

لاقى أبشع أنواع التعذيب بمركز الدبيلة أعدم يوم 18 أفريل رفقة مجموعة من المناضلين تقارب الثلاثين مناضلا من حاسي خليفة والمقرن.

- في ليلة 09 رمضان 1376هـ الموافق لـ: 09 أفريل 1957م، استشهاد مجموعة سجن الوادي وعددهم 12 شهيدا منهم أحمد التجاني الذي سبق استشهاده بسجن الوادي، بن موسى بشير، عبادي علي، أحمد لومي، ونيسي الهاشمي..
- في ليلة 11 رمضان 1376هـ الموافق لـ: 11 أفريل 1957م، استشهاد مجموعة عميش وعددهم 07 شهداء بزملة غدير غرب مركز لاصاص بالرباح على يد القبطان "كورنبوا" وهم: بكاري الطيب بن قدرية، شوشان سلطان، ميده بن عمر، عسيلة مصطفى، غريبي الساسي بن قدور، نينة الساسي، وجديدي محمد الصغير.
- في ليلة 16 رمضان 1376هـ الموافق لـ: 16 أفريل 1957م، استشهاد مجموعة مركز الرقيبة وعددهم 10 شهداء، منهم: قديري الطاهر، رضواني الساسي، بوضبية العروسي..
- في ليلة 18 رمضان 1376هـ الموافق لـ: 18 أفريل 1957م، استشهاد مجموعة مركز الدبيلة وعددهم 12 شهيدا من حاسي خليفة على يد "لوكار" ومنهم: الحاج البشير غربي، ونيسي لمين، غربي بشير، خطاب عبد الكريم، والعمامرة البشير...، وفي نفس الليلة استشهاد جماعة المقرن وعددهم حوالي 17 شهيدا منهم: حمي بلقاسم، بته لعبيدي، بن علي خزاني بن العربي، عياشي عمر الطاهر، وهزلة محمد ..[1]

[1] المجاهد علي عون، محاضرة بعنوان: في رحاب شهداء سوف لرمضان 1957، في إطار إحياء الذكرى الأربعين لشهداء رمضان، دار الثقافة محمد الأمين العمودي بتاريخ" 24 و 25 أفريل 1997.

ولم تنته الملاحقات والإعدامات في شهر رمضان بل تواصلت طيلة سنة 1957 والنصف الأول من سنة 1958 تقريبا، ففاق عدد الشهداء 130 شهيدا.

وتشاء الأقدار أن يكون الشيخ الحسين من الناجين من الإعدام رغم ترأسه لخلية النخلة، لكنه بقي من الملاحقين إداريا والمصنفين ضمن القيادات المدنية للثورة الواجب التخلص منها، وهذا ما أكده حدس وبُعد نظر " زواري أحمد الصادق " حين خاطب "الأمين" نجل الشيخ الحسين قائلا: "نعم سيدي - يقصد الشيخ الحسين - لن يتركوه، لكن أوصيك كلما طُلِب إلى المركز اتصل بي كي أتدخل لصالحه"[1].

الشيخ الحسين حمادي ينجو من مجزرة رمضان بوادي سوف

ولعله سؤال كبير يطرحه العارفون بمدى شراسة ووحشية الإدارة العسكرية الاستعمارية وأحكامها القاسية على كل من ورد اسمه ضمن قوائم المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني بعد اكتشافها بـ "حاسي خليفة".

والسؤال: كيف نجا الشيخ الحسين من الإعدام بمجزرة رمضان 1957 وهو رئيس خلية النخلة وأحد الفاعلين الكبار في المنظمة؟.

وما يزيد هذا السؤال قوة ومشروعية أن السلطات الاستعمارية كانت بدايتها في تصفية المنظمة بالشهيد "الشيخ أحمد التجاني" المنسق مع الشيخ الحسين وصديقه، بإعدامه ليلة 01 رمضان 1376هـ الموافق لـ: 01 أفريل 1957م[2]، ثم إعدام

---

[1] هذا ما قاله الصادق زواري لنجل الشيخ الحسين في أفريل 1957 إثر تحقيق مع الشيخ الحسين.

[2] في ليلة 01 رمضان 1376هـ الموافق لـ: 01 أفريل 1957م طوقت القوات العسكرية الفرنسية الزاوية التجانية بالبياضة، ثم طلبوا خروج الشيخ أحمد التجاني لرقية ملسوع على أرجح الروايات، وبمجرد خروجه أحاطوا به وأركبوه سيارة عسكرية واتجهوا به إلى مركز الوادي، وفي المركز أراد

كل عناصر الخلايا بوادي سوف باستثناء من فرّوا إلى تونس قبل القبض عليهم.

وللإجابة على السؤال وجب أن نذكر العوامل التي حالت دون إيجاد دليل مباشر وقطعي يدين الشيخ الحسين ومنها:

- حرق "الشيخ أحمد التجاني" لكل الوثائق المتعلقة بنشاط المنظمة المدنية، "أقدم سي أحمد على حرق كل الوثائق بعد استشارة جمعا من أصحابه منهم عيشوش الطاهر والعربي وهميسي الحبيب وأخيه الشيخ أمحمد وابنه الصادق فأقرّوا حرقها ورميها في بئر الغوط"[1].
- عندما تناهت إلى مسامع الشيخ الحسين أخبار حول اكتشاف المنظمة المدنية بعث السيد "فطحيزة التجاني التجاني" المدعو "التجاني دويس" إلى "الشيخ أحمد التجاني" بالبياضة لاستطلاع الوضع ومعرفة الأخبار، فردّ "الشيخ أحمد التجاني" مع المرسول: بلغ سلامي إلى الشيخ الحسين وطمئنه أن قائمة النخلة لم أرسلها بل أحرقتها"[2].
- في نفس اليوم بعث الشيخ الحسين بمرسول آخر وهو "المولدي داده" إلى "الطالب أحمد دحيدي"[3] بالبياضة حيث كان دكانه بمثابة ملتقى للوطنيين ومركزا لتبادل

أحد الجنود السخرية به بوضع البندقية أسفل قميصه لإظهار سوءته فلكمه الشيخ أحمد لكمة أردته قتيلا، ولما أراد جندي آخر الدفاع على زميله جذبه فتكسرت يده، فأطلق جندي آخر النار من خلفه فاستشهد الشيخ أحمد قبل أن يأخذوا منه أي معلومة تخص التنظيم وأسرار سيره وهيكلته.

[1] الأستاذ السعيد ديدي، علم سوف الشيخ أمحمد التجاني، لا توجد المطبعة أو دار النشر، ص: 16.

[2] لقاء مع الحاج المولدي داده بتاريخ: 25 جوان 2009.

[3] الطالب أحمد دحيدي: هو أحمد بن محمد شايبي، ولد سنة 1916 بالبياضة وبها حفظ القرآن الكريم، انخرط مبكرا بالحركة الوطنية فكان دكانه بسوق البياضة بمثابة مقر للوطنيين من مناضلي حزب الشعب ثم المنظمة الخاصة وصولا إلى الثورة، سجن عدة مرات آخرها سنة 1957 في إطار مجزرة رمضان بوادي سوف، وعندما لم تثبت إدانته أطلق سراحه حيث فرّ بعدها إلى مدينة عنابة التي واصل بها نشاطه الثوري إلى غاية استقلال الجزائر، توفي رحمه الله يوم: 18 جويلية 1991 بعنابة.

المعلومات والأخبار، وحين وصل المرسول وجد أحد أعوان الاستعمار في الدكان فلم يقل شيئا للطالب أحمد غير أن الشيخ الحسين يبلغك السلام، ففهم الطالب أحمد المقصود وحينها اقترب من اليومية المعلقة على الجدار ونزع ورقة ذلك اليوم والتفت إلى المرسول "المولدي داده" وقال له: أتعلم أن حكمة اليوم ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُــودِ﴾[1] ؟ ثم مضغ طرف الورقة وأردف قائلا: بلغ سلامي إلى الشيخ الحسين "وربّ يجيب الخير".

ولمّا وصل "المولدي داده" إلى الشيخ الحسين أخبره بما قال له "الطالب أحمد دحيدي"، فقال الشيخ الحسين: وما فهمت من كلامه؟، فردّ "المولدي داده": إنه يقول في إشارة لم يفهمها عون الاستعمار المتواجد في الدكان حينها، حكمة اليوم ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ أي أحرقوا ما لديكم من وثائق، وفي حالة المداهمة والضرورة امضغوا الوثائق وابلعوها لكي لا تسقط في يد العدو، فقال الشيخ الحسين: وبالفعل هذا ما يقصده "الطالب أحمد دحيدي"، ثم أمر بحرق وإتلاف كل الوثائق المتعلقة بالمنظمة المدنية[2].

- عدم تمكن القبطان "كورنبوا" من إيجاد دليل يدين به الشيخ الحسين، أو حجة دامغة مقنعة يستند لها للتخلص منه، كما كان يحلم ويتمنى دائما.
- مناصرة أغلب أعوان القبطان "كورنبوا" وشيوخ العروش والأعيان للشيخ الحسين واعتباره شخصية لا يمكن المساس

---

[1] البروج الآية: 05

[2] لقاء مع الحاج المولدي داده بتاريخ: 25 جوان 2009.

بها، ووضع ألف حساب قبل الإقدام على أي تصرف تكون عاقبته تمرد شعبي وانتحار قائد المركز

ففي آخر تحقيق مع الشيخ الحسين في ربيع سنة 1957 وهو سابق للتحقيق الذي نفي فيه يوم 19 جوان 1957، جاء الشيخ "البشير بن حميم" (شيخ الربايع) خصيصا من أجل التدخل لإطلاق وتبرئة الشيخ الحسين، وقد ذهب بعيدا في تخويف "كرنبوا" حين خاطبه بصوت مرتفع قائلا: "أتريد أن تهلكنا؟.. إن الشيخ الحسين (مورابو) وعهد الجورنيات غير يدقك ويدقني"[1].

نفي الشيخ الحسين حمادي إلى تونس

بعد اكتشاف المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني في رمضان سنة 1957 وإقدام المستعمر على إعدام كل من استطاع أن يثبت إدانته، توسعت دائرة البحث والتحري لتصفية جميع أعضاء المنظمة خارج من وردت أسماءهم في الدفاتر الرسمية المكتشفة لدى "الحاج البشير غربي"، أو الذين أكتشف نشاطهم بطريقة أخرى، واستغرقت هذه العملية حوالي سنة أي من شهر أفريل 1957 إلى شهر ماي 1958، فكان الشيخ الحسين من أوائل الذين لاحقهم المستعمر، ونتوسع ملف محاولة إدانته إلى القيادات المركزية بالوادي بعد أن كان ممركزا بمركز

[1] مورابو: ناسك وولي صالح، وجاءت من الكلمة الفرنسية MARABOUT، الجورنيات: مزارات أولياء الله والصالحين. يدقك ويدقني: يضرك ويضرني ببركاته وقبوله عند الله، وفي حديث مع الأمين نجل الشيخ الحسين قال: لما سمع شيخ الربايع البشير بن حميم عن طريق الساسي فليون أن الشيخ الحسين عند رئيس مركز لاصاص بالرباح، جاء مسرعا منتفضا معتبرا أن "كورنبوا" أخطأ خطأ قاتلا باعتقاله للشيخ الحسين، ولم يغادر مركز الرباح إلا بعدما تأكد من إطلاق سراح الشيخ الحسين.

"الاصاص" بالرباح، واعتبره النائب العسكري "باطايون"[1] من أولوية الأولويات في إطار تنفيذ المخطط الرامي إلى التخلص من قيادات المنظمة المدنية بوادي سوف، ووصل الأمر به إلى ممارسة ضغوطات[2] على "كورنبوا" لتصفية الشيخ الحسين أو التخلص منه بأي طريقة كانت، فأدى ذلك إلى استدعائه عدة مرات للتحقيق معه لكن الأمر الذي أربك "كورنبوا" أنّ أغلب أعوان فرنسا يحترمون الشيخ الحسين ولم يدلوا بأي تصريح ضده رغم علمهم بنشاطه.

وبعد التحقيق معه عدة مرات بين سنتي 1956 و 1957 وإطلاق سراحه لعدم كفاية وإيجاد الأدلة القطعية، استدعاه للمرة الأخيرة عن طريق أحد أعوانه يوم الاثنين 20 ذي القعدة 1376هـ الموافق لـ 17 جوان 1957م، طالبا منه الالتحاق بمركز "الاصاص" بالرباح صبيحة يوم الأربعاء 22 ذي القعدة 1376هـ الموافق لـ 19 جوان 1957م[3]، وقد استعمل "كورنبوا" طريقة الاستدعاء لتبدو الأمور طبيعية ولا مدعاة للقلق أو الغضب الشعبي الذي قد ينتج عن اعتقال الشيخ الحسين بطريقة عنفية واستعراضية، وبالفعل حضر الشيخ الحسين إلى مركز الرباح في الموعد المحدد في جو من الصمت والكتمان لدرجة أنه لم يتفطن الكثيرون من سكان "النخلة" لذلك، باستثناء المقربين والأصدقاء الذين أبلغهم بنفسه لضمان الدعم والمساندة في حالة حدوث أي طارئ.

---

[1] كان باطايون حينها يشغل منصب النائب العسكري الأول للمتصرف الرئيسي للشؤون العامة بملحقة الوادي "لوس كاتينو".

[2] هذه الضغوطات اعترف بها "كورنبوا" قائد مركز لاصاص بالرباح يوم: 19 جوان 1957، أي يوم قرر نفي الشيخ الحسين إلى تونس، كما سيأتي لاحقا.

[3] لقاء مع الأمين نجل الشيخ الحسين بتاريخ: 07 أفريل 2006، ولقاء مع الحاج المولدي داده بتاريخ: 25 جوان 2009، ولقاء مع محمد زايد بتاريخ: 13 جوان 2008.

وما إن حلّ ضحى الأربعاء 19 جوان 1957 حتى عمد بعض الأعيان إلى تسريب الخبر لتعبئة الناس، فانتشر وتقاطر في كل بيوت بلدة "النخلة" وضواحيها كحبات المطر، وسادت حالة من الترقب والانتظار، وسيطر هاجس الخوف وإحساس بأن قضية الشيخ الحسين دخلت منعرجا خطيرا وحاسما هذه المرة يختلف عن المرات السابقة.

أما "كورنبوا" فقد استند حينها على ملف قديم جديد جمع فيه عدة معطيات وقرائن تعتبر كافية في نظره لإدانة الشيخ الحسين ومن أهمها:

- تجنيد الشيخ الحسين لطلبته ودعوتهم للالتحاق بالثورة ومن أمثلتهم "دوش لخضر بن محمد الصغير" و "دوش علي بن الطاهر"، اللذان توجها إلى تونس من أجل الالتحاق بالثورة من هناك، وكان ذلك في شهر مارس سنة 1957، وبالرغم من تصريح والديهما بأنهما ذهبا من تلقاء أنفسهما ولم يدفعهما أحد، ولا علم لهما بما أقدما عليه، فإن "كورنبوا" أصرّ على تكذيبهما وتركهما في الحجز لعدة أيام حتى يعترفا بمن أقنع ولديهما للالتحاق بالثورة[1].
- الربط بين قضية "عبد القادر مرزوقي" ونشاط الشيخ الحسين، حيث كان "عبد القادر مرزوقي" من تلاميذ الشيخ الحسين الذين تخرجوا من الزيتونة سنة 1951 ليلتحق سنة 1955 بالمنظمة المدنية مساعدا لعمّه الشهيد "مرزوقي مرزوقي"، وعند اكتشاف المنظمة المدنية سُجن في شهر أفريل سنة 1957 لمدة عشرة أشهر وهُدم

[1] لقاء مع المجاهد دوش لخضر يوم: 18 ماي 2010.

بيته ببلدة "النخلة" وفرض عليه "كورنبوا" الإقامة الجبرية بالرباح حتى الاستقلال[1].

- لا يستبعد أن يكون لتقارير الآباء البيض دور في لفت انتباه السلطات الاستعمارية نحو الشيخ الحسين، لأنها صنفته في خانة الشخصيات الخطرة والمؤثرة، خاصة ما رفعه الأب الأبيض "الحبيب" إلى القيادات العسكرية بعد لقاءاته المتكررة مع الشيخ الحسين.

وفي صباح يوم 19 جوان 1957 كانت الساعة الثامنة والنصف تقريبا، وقف الشيخ الحسين وجها لوجه مع "كورنبوا" في مكتبه، وبعد تحقيق لم يدم طويلا تمحور حول تجنيد الشيخ الحسين لطلبته، سأله بلطف وأدب:

- هل يوجد لك أقارب بتونس؟
  - نعم لي أقارب.
- أين؟
  - بـ "الرديف".
- ما صلة القرابة؟
  - عائلة أخي "إبراهيم حمادي".
- هل تستطيع الالتحاق به اليوم؟
  - ما الأمر، وما حلّ به؟
- لا، بل تقرّر إبعادك إلى هناك.
  - كيف..لا يمكن أن التحق بأخي في هذه الفترة القصيرة؟!
- لا.. بل يجب مغادرة "النخلة" اليوم والمبيت خارجها.
  - كيف.. لا يمكن؟
- بل يمكن، وقبل الساعة الخامسة مساء.

---

[1] لقاء مع عبد القادر مرزوقي يوم: 29 مارس 2010.

وإن لم أتمكن من المغادرة اليوم؟

- إلى الساعة الخامسة تحمّل مسؤوليتك إن حدث لك مكروه،

- أنا أضمنك حتى الساعة الخامسة مساء، وسوف أعطيك وصل عبور لتسمح الك الدوريات العسكرية بالمرور[1].

إنها مفاجأة غير متوقعة، أن تأخذ قضية الشيخ الحسين هذا الاتجاه بعد أن دلت كل المؤشرات على إعدامه أو الزجّ به في غياهب السجون، وأن تتحول غلظة "كورنبوا" وشراسته مع الشيخ الحسين إلى هذه الليونة، رغم ما في النفي والإبعاد عن الأهل والديّار من قسوة ومساس بالحقوق الأساسية للإنسان.

وعندما كان الشيخ الحسين يُبَلّغ بقرار النفي في مركز الرباح كان نجله "الأمين" عند "زواري أحمد الصادق" يطلب منه التدخل الفوري، فردّ "زواري أحمد الصادق":

- اطمئن ولا مجال للقلق ما دام "نعم سيدي" هنا بمركز الرباح، فقد نبهنا "كورنبوا" أن المساس بـ "نعم سيدي" مساس بنا وبجميع السكان.

- لدي إحساس بأنهم لا ينوون الخير لوالدي هذه المرة!

- اطمئن.. فالخوف لو نقلوه إلى الوادي، أو أخذه "بريدو".

- ولو نقلوه إلى الوادي ما الذي سيحصل؟

- لو نقلوه إلى الوادي أخبرني فورا لأتدخل هناك[2].

ونلاحظ في كل ما حدث صبيحة هذا اليوم - 19 جوان 1957- عدة ملاحظات أهمها:

- استدعاء الشيخ الحسين للحضور إلى المركز بطريقة عادية وقبل يومين - أي يوم 17 جوان 1957-

[1] الأمين حمادي نقلا عن والده، لقاء بتاريخ: 31 مارس 2006.
[2] لقاء مع الأمين نجل الشيخ الحسين بتاريخ: 07 أفريل 2006.

- التحول المفاجئ في موقف السلطات الاستعمارية ممثلة في "كورنبوا" تجاه الشيخ الحسين.
- قصر مدة اللقاء بين "كورنبوا" والشيخ الحسين خلافا للتحقيقات السابقة. (من الساعة الثامنة والنصف إلى العاشرة والربع)
- منح وصل عبور للشيخ الحسين كي تسمح له الدوريات العسكرية في الصحراء بالعبور ودون مضايقة.

وما يستنتج من هذه الملاحظات:

- أن قرار النفي كان مدروس مسبقا، وتم بالتنسيق بين أغلب أجنحة القيادات العسكرية الاستعمارية.
- البعض لم يرض بقرار النفي ويريد تصفية الشيخ الحسين، وهذا ما كشف عنه "كورنبوا" بقوله: "أنا أضمنك حتى الساعة الخامسة مساءً"، أي وقت نهاية دوام العمل، وكأنه كان يخاف من هذه الأطراف أن تنفذ ما ترى صوابا في تلك الليلة، ويُجْمِع كل الشيوخ الذين عاشوا الحدث أن المتشدد "بريدو" هو من يريد تصفية الشيخ الحسين بأي ثمن، ومعلوم أن "بريدو"[1] كان بمركز "لاصاص" بالدبيلة ومتطوع مع منحه الضوء الأخضر لتصفية أعضاء المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني.
- التقدير الجيد لعواقب ما يحدث مع اتخاذ أي قرار غير النفي، والاعتراف بمكانة الشيخ الحسين دينيا واجتماعيا وشعبيا وسياسيا.

[1] قام بريدو في إطار متابعات مجزرة رمضان 1957 بتصفية مجموعة من مناضلي المنظمة المدنية بالنخلة قرب مقبرة الخبنة حاليا "ديار بريدو".

- نفي الشيخ الحسين رغم ما فيه من ظلم، فقد رأى من قرروه أنه الحل الوسط والضامن لاستتباب الأمن والاستقرار بالجهة.

الرحلة الإجبارية إلى تونس

كانت الساعة حوالي العاشرة والربع صباحا من يوم 19 جوان 1957 عندما خرج الشيخ الحسين من مكتب "كورنبوا"، وقد ارتسمت على وجهه علامات الحيرة والاستغراب، وحامت حول حياته ملامح التغيير والتحول السريع، لأن ما حدث وسيحدث مفاجأة لم يكن ينتظرها، ولم يتهيأ ويعتد لرحلة إجبارية وفي وقت قياسي، وهو رجل لا يملك من مقومات الحياة ما يحول بينه وبين الفقر والفاقة، لكنه يملك تقدير واحترام الناس وينزل في قلوبهم منزل الابن والأخ والأب، والشيخ المعلم، والمربي الفاضل، والإمام الموقر.

وبوصول خبر نفي الشيخ الحسين إلى عامة الناس حتى وقفت بلدة "النخلة" بصغيرها وكبيرها بغنيها وفقيرها بجليلها وحقيرها وقفة رجل واحد، لتوفير ما يلزم توفيره، وتحضير ما يلزم تحضيره، ليصل شيخها الفاضل إلى بر الأمان.

وما أن حلّ منتصف نهار ذلك اليوم حتى اكتملت كل عناصر الرحلة، وأهم عناصرها:

المركوب تمثل في:

- جمل: تطوع به "زواري أحمد الصادق".
- جمل: تطوع به "عمر زايد" المدعو "الرّيم".
- حمار: تطوع به "عمر شويرفات".

العنصر البشري تمثل في:

- العائلة: الشيخ الحسين، الزوجة، الأبناء: الأمين، مسعودة، علي، مريم، بوبكر.
- المرافق وخبير الطريق: حمادي عبد القادر، أخ الشيخ الحسين.

الزّاد تمثل في:

- حسن التوكل على الله.
- شيء بسيط من الطعام يسد الرمق في الطريق.

كان يوم 19 جوان سنة 1957 يوما شديد الحرارة، وصلت فيه سرعة رياح "الشهيلي" أقصى مداها أثناء القيلولة[1]، وتصاعد فيه الغيم والسراب إلى حد اختفاء الأفق، ساعتها صلى الشيخ الحسين صلاة الظهر بالجماعة ثم أشار إليه البعض بالانطلاق فردّ الشيخ الحسين:

ننطلق بعد صلاة العصر علنا لم نعد نلتقي بعد هذه الساعة.

ويا ليت الزمن يتثاقل، بل يطول، بل يتوقف بين الظهر والعصر لكي تطول قدما الشيخ الحسين وهي تطأ الأرض التي أحبها، بل عشقها، بل دافع عليها، فكان الجزاء إبعاده عنها، وحرمانه من شمَ عبقها والنظر في آفاقها والتمتع بجمالها.

لكن شأن الزمن يدور وعجلته تمضي ولن تتوقف، فيأتي وقت العصر ويصلي الشيخ الحسين صلاة العصر بالجماعة، ويخرج الجمع من حيث خرج الشيخ الحسين في موكب يحفه الصمت، ويخيّم عليه الوجل، شخصت فيه الأعين ووجمت فيه القلوب، إنها لحظة الفراق، بل لحظة الوداع.

[1] لقد أشارت عدة قصائد شعبية إلى شدة الحر في ذلك اليوم.

كلّ شيء كان مهيأ للرحيل القافلة على أهبة الاستعداد، تنتظر الشيخ الحسين، لتسير نحو مكان بعيد ولأجل غير مسمّى، معظم سكان "النخلة" علموا بساعة الرحيل، لكن لا أحد منهم يعلم بساعة الرجوع، ولذلك تجمعوا لتوديع شيخهم الوداع الأخير.

انطلق الموكب يتهادى بين بحر من الرمال حيث تتصاعد الكثبان الرملية وتشتد الحرارة على سفوحها، فأشعة الشمس الحارقة قد انعكست على أكبادها، فكان لفحها يفور على وجوه المشيعين الذين كره كل منهم أن يكون أول المودعين.

لكن الشيخ الحسين يبادر وبكل شجاعة لتوديع المرافقين، فلعله يطلب منهم الرجوع إلى بيوتهم، بعد أن وقف ملتفتا نحو جهة الغرب، وكأنه يوصيهم خيرا بالبلدة التي أحبّها، ويستجيب الناس لطلبه، فبدّلوا السير مع القافلة بالتجمع فوق الكثبان يشيّعونها بأعينهم وهي تتوارى بين أمواج من الرمال.

الوصول إلى الأراضي التونسية

بعد مرور الشيخ الحسين على مركز المراقبة بـ "العضل"[1]، ومركز "شوشة اليهودي"[2]، ثم مركز "بوعروة"[3] نزل بمدينة "نفطة"[4] بعد مسير دام ثمانية أيام كاملة كانت شدة الحرارة السبب في ذلك، أي يوم: 28 جوان 1957، وفور نزوله

---

[1] العضل: تقع شرق بلدية حاسي خليفة، بها مركز عسكري فرنسي لمراقبة حركة العبور، لا يزال بناؤه قائما إلى اليوم.

[2] شوشة اليهودي: وتعرف بـ "برج شوشة اليهودي" ويقع على مسافة قريبة شمال منطقة الطالب العربي حاليا، لا يزال بناؤه قائما إلى اليوم.

[3] بوعروة: وهي دائرة الطالب العربي حاليا، حيث يقع المركز الحدودي للعبور.

[4] نفطة: تقع في ولاية توزر بأقصى الجنوب الغربي للجمهورية التونسية، يحدها من الشمال شط الغرسة، ومن الجنوب شط الجريد، ومن الشرق مدينة توزر، ومن الغرب بلدة حزوة، سبق للشيخ الحسين أن درس بزاوية سيدي إبراهيم بنفطة في بدايات القرن العشرين (1911 إلى 1918م).

اعتقله الحرس التونسي رفقة "عبد القادر" أخيه و[illegible]
وسجن الجميع بـ "توزر"، أمّا بقية أفراد العائلة فقد [illegible]
في "نفطة" لأحد أصدقاء الشيخ الحسين أثناء دراسته [illegible]
تحقيقات مكثفة وتحريات دقيقة أطلق سراحهم يوم: 15 [illegible]
1957، ليعودوا إلى "نفطة" حيث رجع "عبد القادر" [illegible]
"النخلة" وأرجع معه الجملين والحمار، في حين واصل [illegible]
الحسين وعائلته المسير إلى "توزر" أين تم تناول وجبة [illegible]
لدى "زواري مصطفى"[1]، ثم التوجه إلى محطة القطار [illegible]
"توزر" للركوب إلى "الرديف"[2].

وفي القطار لفت انتباه الشيخ الحسين حركة كهل [illegible]
في العربة ذهابا وإيابا وعيناه لا تكاد تفارق وجه الشيخ الحسين،
ولم يدم على هذا الوضع طويلا حيث اقترب منه وخاطبه:

- أنت سيدي الحسين؟
- نعم أنا الحسين!
- مرحبا سيدي الحسين، لولا الحزام[3] لما عرفتك لقد تحولت ملامحك كثيراً!
- آه نعم، أنت "عمر بن بلقاسم"!
- نعم أنا "عمر بن بلقاسم"!

---

[1] وهو زواري مصطفى بن الصغير، جزائري من منطقة وادي سوف كان يقيم بمدينة توزر في الخمسينات.

[2] لقاء مع نجل الشيخ الحسين علي حمادي بتاريخ: 28 جوان 2009.

[3] وهو حزام أهداه عمر بن بلقاسم بن أحمد بن علي العمامي إلى الشيخ الحسين قبل سنة 1940 عندما كان الشيخ الحسين يدرّس في بلدة الخروبة بضواحي المكناسي، ونظرا للفراق بين الرجلين الذي دام أكثر من 20 سنة، وتقدم الشيخ الحسين في السن، كان من الصعب التعرف على صديقه وشيخه لولا معرفته غاية المعرفة للحزام الذي يتحزّمه الشيخ الحسين.

واسترجعا الرجلان التاريخ وتبادلا الحديث مطولا، وعرف "عمر بن بلقاسم"[1] الحقيقة الكاملة لمجيء الشيخ الحسين إلى تونس وما تعرض له من مضايقة بمدينة "توزر"، كما اكتشف الشيخ الحسين أن "عمر بن بلقاسم" أصبح من منتسبي الحرس الوطني التونسي، وترافقا إلى غاية الوصول إلى "الرديف" حيث يقيم "عمر بن بلقاسم" مؤقتا، ولذلك ألحّ على استضافته وإكرامه، وقد حال دون ذلك استقبال السكان "السوافة" للشيخ الحسين بمحطة القطار بـ "الرديف".

الشيخ الحسين حمادي في الرديف

نزل الشيخ الحسين بـ "الرديف" يوم: 15 جويلية 1957 مع وقت المغرب، حيث وجد في استقباله "عمارة بن الميعادي"[2] يؤم صلاة المغرب جماعة بجانب المحطة، وكان كل المصلين من "السوافة" اللاجئين والعاملين بشركات المناجم هناك جاءوا لاستقبال الشيخ الحسين بعدما سمعوا بنفيه إلى بلدتهم ومواساته والرفع من معنوياته.

وكان من بين عوامل استقراره وتأقلمه السريع في "الرديف" وجود إخوته هناك ومنهم "إبراهيم حمادي"، و"الطيب حمادي" و"ميداني حمادي" وجمع من أقاربه وذويه،

---

[1] عمر بن بلقاسم: هو الشهيد عمر بن بلقاسم بن أحمد بن علي العمامي ولد سنة 1916، من تلاميذ الشيخ الحسين ومن أصدقائه المقربين الذين ربطتهم علاقة متينة ارتقت إلى مستوى الأخوة، لأن الشيخ الحسين كان يقيم ببيت والده بلقاسم، وكان يعتبره كأحد أبنائه، كما كانت والدته "سمَونة" تعتبر الشيخ الحسين كأحد أولادها، عندما كان مدرسا بالخروبة بضواحي المكناسي، أستشهد عمر بن بلقاسم في معركة بنزرت الشهيرة (معركة الجلاء) كما تسمى رسميا في تونس في شهر جويلية سنة 1961، وترك من الأبناء: اليامنة، منجي، ومحمد الأمين.

[2] عماره الدبيلي: هو عماره الدبيلي بن الميعادي بن عمر ولد سنة 1916 بالنخلة، حفظ القرآن الكريم على يد الطالب علي بن حمادي سنة 1928، رحل إلى المتلوي ثم إلى الرديف وأسس مدرسة قرآنية بها، بعد الاستقلال اشتغل بالتربية والتعليم حتى سنة 1978 حين ألمَ به المرض، توفي

ومجموعة ممن درس معهم أو درّسهم، ولذلك استأنف الشيخ الحسين نشاطه مبكرًا، كالتعليم القرآني[1]، الوعظ والإرشاد، والفتوى ونحو ذلك، لكن الملفت للانتباه أن الشيخ الحسين لم يثن النفي من عزيمته إزاء مناصرة الثورة ودعمها.

يقول أحد تلامذته: "التقيت الشيخ الحسين في الرديف ورغم أن اللقاء كان قصيرا والظروف كانت صعبة، إلا أن اللقاء أكد لي فيه الشيخ الحسين دعمه المطلق للثورة"[2].

ولعل أكبر الأدلة على استمراره في العمل الثوري التحاق ابنه "الأمين" بالثورة في شهر أكتوبر 1960، وقد قيل له: "كيف تترك ابنك يلتحق بالثورة وأنت كبير في السن ولا معين لك غيره؟".

فرد الشيخ الحسين: الحمد لله الذي حقق لي أمنية كنت أتمنى أن أحققها، وهي صعودي للثورة[3].

العودة إلى الوطن

بعد بقاء الشيخ الحسين خمس سنوات وسبعة عشرة يوما في منفاه بتونس ـ الرديف ـ عاد إلى الوطن يوم إعلان استقلاله في 03 صفر 1382هـ الموافق لـ 05 جويلية 1962م، فكان يوما مشهودا وعيدا يختلف عن بقية الأعياد لكل الجزائريين، لكن سكان "النخلة" كان عيدهم عيدان، والفرحة فرحتان، عيد تحرّرت فيه البلاد والعباد وما أعظمه من عيد، وعيد عودة الشيخ الحسين حمادي الأب الروحي والمربي الفاضل والإمام

---

[1] لقد استعرضنا نشاطه التعليمي بالرديف في صفحات سابقة من هذا الكتاب وبالضبط في الفصل الثاني الشيخ الحسين المعلم والمربي.

[2] لقاء مع الأستاذ والمجاهد بن علي مسعود بتاريخ: 05 أفريل 2009 بمدينة عنابة.

[3] لقاء مع الأمين نجل الشيخ الحسين حمادي بتاريخ: 31 مارس 2006.

الموقر لداره وأهله وبلدته التي أحبّها، ووطنه الذي تفانى في خدمته.

وما أشبه اليوم بالبارحة، ذات يوم من صيف سنة 1957 خرج سكان "النخلة" لتوديع شيخهم إلى منفاه، وذات يوم من صيف سنة 1962 خرج سكان "النخلة" لاستقبال شيخهم وهو يعود من منفاه، والمحرك في كلا اليومين فيض من الحبّ والوفاء والاحترام والتقدير لرجل ملك قلوب الناس، وترك أثرا في وجدانهم، وخطّ تاريخا حافلا في الذاكرة الجماعية.

وتتواصل المسيرة

بعد عودة الشيخ الحسين من منفاه استقرّ ببلدة "النخلة"، ولم تمض أيام قليلة وهي الأيام التي توافد فيها الأحباب والأصدقاء المهنئين بالعودة السالمة، حتى باشر مهامه السابقة بالمسجد العتيق بالنخلة والمتمثلة في الإمامة والتعليم القرآني والوعظ والإفتاء وممارسة القضاء التقليدي[1] ونحو ذلك.

وتتواصل مسيرة الشيخ الحسين لمدة عشرين سنة، وهي المدّة التي اختلفت عن سابقاتها بـ:

1) استقلال الجزائر وما تبعه من حريات في ممارسة العمل الديني بشتى جوانبه.
2) تأطير الدولة للمدارس القرآنية والمساجد وتنظيم وهيكلة الشؤون الدينية.
3) التطور الذي شهده التعليم الرسمي من خلال منظومة تعليمية تربوية جزائرية ساهمت في النهضة العلمية والثقافية العامة للمجتمع تكاملت مع الدور الذي يلعبه المسجد والمدرسة القرآنية.

[1] لقد سبق وأن تعرضنا لنشاطه في هذه المرحلة بالتفصيل في الفصول السابقة.

4) الوعي الاجتماعي بأهمية التعليم بأنواعه، حتى وصل الناس إلى المزاوجة بين التعليم الرسمي والتعليم القرآني، فنجد التلميذ يدرس القرآن خارج الدوام المدرسي وفي العطل الصيفية.
5) التطور العام في المستوى المعاشي انعكس إيجابيا على المستوى الثقافي للمجتمع.

فكل هذه العوامل خلقت الفرق بين ما بذله الشيخ الحسين في سنوات الأربعينات وفترة ما بعد الاستقلال، لا على مستوى مجهوده الشخصي إنما على مستوى الطابع الاجتماعي العام ومساهمته ومدى استجابته للعلوم والمعرفة في زمن الاستعمار.

وإن كان الجميع يشهدون للشيخ الحسين بالجد الذي يحركه الصدق والإخلاص إلى آخر لحظة من حياته، فإن التقدم في السن وفعل الشيخوخة لا يمكن أن يُغفلَ في مشواره الطويل إذا ما علمنا أن عمره تجاوز الستين حين رجع من منفاه أي سنة 1962، وقد واصل مهامه لمدة عشرين سنة بعد هذا التاريخ.

المرض والوفاة

في سنة 1982 بدأت أيام الشيخ الحسين تتداول بين تعب تقدم السن والمرض المُرهق، وبحلول شهر مارس من نفس السنة تدهورت صحته وانقطع عن المسجد ولزم الفراش ابتداء من يوم: 24 مارس 1982، واستمرت معاناته مع المرض إلى منتصف شهر أفريل حين فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها صباح يوم الخميس 21 جمادى الثاني 1402هـ الموافق 15 أفريل 1982م[1].

[1] تسجيل الوفاة بدفاتر الحالة المدنية تم يوم: 18 أفريل 1982.

وإثر إعلان الوفاة مباشرة تدفق الناس من كل حدب وصوب على بلدة "النخلة" في تجمّع بشريّ لم تشهد هذه القرية الهادئة والنائمة بين الرمال نظيرا له في تاريخها، وأقيمت صلاة الجنازة بعد صلاة العصر في الساحة المحاذية للمسجد العتيق بالنخلة، ثم حُمِلَ النعش بعد أن خيّم على المكان صمت رهيب وسكون مُطبق إنها لحظات الوداع الأبدي، لكن لسان الحال "اللهم أجمعنا معه في جنة الرضوان، اللهم أجمعنا وإياه مع زمرة الصالحين والصدّيقين آمين".

ويشاء الله أن يُقبر الشيخ الحسين كما تمنى في مقبرة "النخلة"، ويشاء الله أن يقبر الشيخ الحسين ليلة الجمعة، ويشاء الله أن يزامن بين وفاة الشيخ الحسين ويوم العلم "عيد العلم" الموافق لـ 16 أفريل من كل سنة وهي ذكرى وفاة العلامة رائد الإصلاح الشيخ عبد الحميد بن باديس، ويشاء الله أن تقدم الجزائر احتفالات عيد العلم سنة 1982 إلى يوم الخميس 15 أفريل لتزامن يوم العلم ساعتها مع يوم الجمعة وهو يوم العطلة الأسبوعية، وكأن كل شيء يوحي لنا بأن اسم الشيخ الحسين لصيق بالعلم والعلماء.

رحل الشيخ الحسين رحمه الله إلى دار الخلود، لكن يمضي الرجال ويبقى النهج والأثر، وأكبر أثر تركه الشيخ الحسين مسيرة تنوير، ونهضة علم وبناء الإنسان، فكان النتاج أجيال من المتعلمين.

فَـفُزْ بِعِلْمٍ تَعِـشْ حَـيًّا به أَبَدًا ... النَّاسُ مَوتَى وأهلُ العلمِ أَحِيَاءُ

والمرء يذكر بالجمائل بعده ... فارفع لذكرك بالجميل بناء

الفصل الخامس

- حادثة النفي في الشعر الشعبي.
- مرثيات حول الشيخ الحسين حمادي.
- مبادرات تستحق الإشادة والتنويه.

حادثة النفي في الشعر الشعبي

كان لحادثة نفي الشيخ الحسين حمادي وقع كبير على نفوس عامة الناس، وقد تألم الجميع لفراق إمامهم ومعلمهم، فعبّر كل منهم بطريقته الخاصة، ولعل أهم وسيلة للتعبير عند العامّة هي الشعر الشعبي كفن رائج بينهم نظمًا وفهمًا، ويعبر بصدق عمّا يختلج في صدورهم، وينفس شيئا من حسرتهم وتضجّرهم، ولذلك وُجد عدد من القصائد التي تؤرخ لحادثة النفي وما زالت تردد إلى اليوم، ومنها:

قصيدة للشاعر بن علي محمد البشير بن سعد[1]، وهو من أقرب الناس للشيخ الحسين، حيث كان نقيب المسجد العتيق بالنخلة حين النفي، يقول:

أَدُّوا شيخِي مـن قـُدَّامِي	نِي جَاعـلْ رُوحـي نَقيبْ
اللهِ يجْعـلْ دْعَايَـا رَامِـي	الدُّوتْ القـاطعْ فِي الحليـبْ[2]
قـَلْبِي عَنَّهْ مَـاهُو دَامِـي	مَا نرْضَى إِلْشيخِي التَعْـذيبْ[3]
على شيخِي نُـقـْعُدْ نْحَامِي	من صُبْحِي حتّـى التغرِيـبْ[4]
يَارِيتْهَا تُوصْـلَهْ أَقـْدَامِي	ولاَّ مَرْكُـوبِي سـبيبْ[5]
نَـقـْطَعْ رَقـْرَاقْ وعَامِي	نْوَانِسْ من اسْمَـهْ أَدِيبْ[6]

---

[1] هو محمد البشير بن سعد بن علي بن محمد بن مبروكة، ولد بالنخلة سنة 1879، امتهن الفلاحة ورعي الغنم، كما كان من خدام بيت الله المسجد العتيق بالنخلة مؤذنا ونقيبا مع الإمام الشيخ الحسين إلى غاية وفاته سنة 1963.

[2] دعايا رامي: دعائي مستجاب، الدوث: وهو قطعة صغيرة من المعي الغليظ لجدي الحليب، يجففها البدو ثم يضعونها في الحليب لتساعده على التجبن بسرعة شديدة، والشاعر هنا يتمنى أن يكون دعاؤه مستجاب بسرعة كسرعة الدوث في تجبن الحليب.

[3] دامي: شجاع وله القدرة على التحمّل، إلشيخي: أصلها إلى شيخي مدغمة.

[4] نحامي: ندافع، التغريب: ساعة الغروب.

[5] مركوبي سبيب: أي مركوبي حصان له سبيب، والسبيب الشعر الطويل على رقبة الحصان.

[6] رقراق: الأرض المنبسطة الفسيحة، عامي: الرمل المرتفع جدا، نوانس: من المؤانسة.

وهذا شاعر[1] آخر يصور لحظة الرحيل ولوعة الفراق في يوم شديد الحر كثيف الغبار، سائلا المولى عز وجل أن يهون غربة الشيخ الحسين وأن يفرج كربه ويخفف عليه الشقاء والمهانة، وأن ينتقم الله ممن كان السبب في هذا الفراق بأن يقصم ظهره ويقصف عمره، فيقول:

الـــشّيخْ عـــزمْ مـــشي خلاّنـــا	هـــوّنْ غرْبَتـــهْ يَـــا خـــالْقي مُولاَنـــا
– هـــوّنْ عليـــهْ الغُربَـــهْ	وفـــرّجْ عليـــهْ شـــديدْ الكُرْبَـــهْ
واجعـــلْ تْرَابَـــهْ خْيَـــارْ التُرْبَـــهْ	وخَفّـــفْ عليـــهْ الـــشقَاء والْهَانَـــهْ[2]
مَـــلاّ عجَـــبْ مَاطمّـــكْ ضـــرْبَهْ	الشيخْ مَاعَـــادشْ قـــريبْ حْـــذَانَا
– الـــــشّيخْ شَـــــرّقْ	في أرض تـــــــونسْ رَاحْ إدرّقْ[3]
نَهـــارْ شـــهيلي صـــهْدهْ إحـــرّقْ	نَهـــارْ أغْبَـــرْ مْظَلّـــمْ إبَانَـــهْ[4]
عـــلاَشْ الكَـــافرْ فينَـــا إفـــرّقْ	يُـــقْـــصُفْ عُمرهْ إطْرْشَـــقْ مـــسْلاَنَه[5]
– شـــيخْنَا الـــحُـــسينْ	شـــيخْ علـــمْ يُحْفُـــظْ الـــستّينْ
قَرّانَـــا القُـــورَانْ وكـــلامْ الـــدّينْ	راجـــلْ معـــرُوفْ إبْهمْتَـــهْ وشَـــانَهْ[6]
خليفتَـــهْ إنْ شَـــاالله لـــــمينْ	إســـدْ فَجّـــهْ إعَمّـــرْ مكَانَـــهْ[7]
– دارُوا هزْعَـــــــــــهْ	لزمُوا على الـــشيخْ رحلـــة وفزْعَـــهْ[8]

---

[1] لم نتأكد من قائل هذه القصيدة، حيث سجلت منذ زمن بعيد، وقد توفي كل رواتها، وفي محاولتنا لمعرفة قائلها تم ترجيح كل من الشاعرين محمد سويعي المدعو (اللوزي) أو عبد القادر بن المجذوب.
[2] الهانة: المهانة.
[3] إدرق: اختفى.
[4] إبانه: كما يبدو
[5] إطرشق مسلانه: يقصم ظهره.
[6] القوران: القرآن، كلام الدين: علوم الشريعة والدين.
[7] لمين: وهو الأمين ابن الشيخ الحسين، حيث يتمنى الشاعر أن يكون خليفته ابنه الأمين.
[8] هزعة: زوبعة وفوضى، لزموا: ألزموا وأجبروا الشيخ الحسين على الرحيل والفزع.

الكَـــافِرْ والقَـــوَّادْ يَـــاتِيهِمْ نزْعَـــهْ يعطِيهُمْ رَزْيَـــة وقْـــلُوبْنَا طَرْبَانَـــهْ[1]
يَالنْدرَا يَا شِيـــخْ وَقْـــتَاشْ الرَّجْعَـــهْ يِتْلَمْ الشَّمـــلْ تْـــعُـــودْ عْـــمَـــانَا[2]

أمّا الشاعر إبراهيم رضواني[3] فقد عبّر عن حادثة النفي بصور عفوية مباشرة لا تخلو من مشاعر فيّاضة وقيم التقدير والاحترام للشيخ الحسين، والطلب والدعاء من الله أن يهلك الكافر الذي تسبب في غربة شيخه، وأهم ما يلاحظ في القصيدة تنبؤ الشاعر باستقلال الجزائر وحينها يعود الشيخ الحسين من نفيه إلى الجزائر، وهو ما حدث بالفعل، يقول:

مشَي شيخنَا خلّى لِـقْـلُوبْ حزينَهْ إرُدْ غربْتَهْ بِـالْخيرْ بَـاشْ إجينَـا[4]
- هَـــــــزَّهْ غَـــــــادَهْ قْـبْلِي شـهِيلِي نُوبْتَـهْ صَـهَّادَهْ[5]
إن شاء الله الكافرْ يِـشْتَاقْ أوْلاَدَهْ دعوة جـمَاعة تْصَادْفَهْ في كْنينَـهْ[6]
- ســـــبَبْ مَـــــشْيَانَهْ قُبطَـانْ كـافِرْ لاَ حَمَـلْ قُرآنَـهْ[7]

---

[1] القواد: الواشي موصل الخبر، ويطلب الشاعر من الله أن ينزع ويقتلع جذور الكفرة المستعمرين وأعوانهم من الوشاة أن ينزعهم من على الأرض وأن يأتيهم من الرزايا لنفرح وتطرب قلوبنا.

[2] يتلم: يجتمع، عمانا: أصلها معانا وتنطق شعبيا عمانا.

[3] هو إبراهيم رضواني بن محمد بن علي بن نصر بن مبروك المدعو إبراهيم الترهوني ولد بالنخلة سنة 1885، عمل بالفلاحة والرعي، وقد تعددت إقامته بين النخلة وتوزر والرقيبة، توفي رحمه الله أواخر شهر أوت سنة 1979 بالرقيبة.

[4] إجينا: يجيء ويأتي لنا.

[5] هزه غاده: أي حمله أخوه عبد القادر، وغادة هي تصغير واختصار لاسم عبد القادر عند العامة، ثم يشير الشاعر إلى حرارة الجو في ذاك اليوم (19 جوان 1957)، فهو ريح قبلي شديد الحرارة والصهد.

[6] كنينه: قلبه، يتمنى الشاعر أن ترفع الجماعة تلو الصلاة كف التضرع ليهلك قلب الكافر الذي تسبب في غربة شيخه.

[7] يذكر الشاعر هنا المتسبب في نفي الشيخ الحسين وهو قبطان كافر لا يؤمن بالقرآن، ويقصد به قائد "الاصاص" بالرباح القبطان "كورنبوا".

حـــضرُوا ولاَيَـــا الله في هَزَّانَـــهْ لَحُوهْ في مـــضرَبْ بعيـــدْ عليْنَـــا[1]

– وَحْـــــــــشَهْ جَـــــــــوَّرْ لاَ صُبتْ نعْزَمْ من قـــدَاهْ إنْحَـــوِّلْ[2]

إنْدهَمْ عنْ أَوْلاَدي وحُوشِـــي لَـــوَّلْ إنْعَاسنْ مع الشيخْ اللِّي إقرِّي فينَـــا[3]

– عـــــــــزَمْ مْـــــــــشرَّقْ نـــسبْتَهْ بِـــالْخيرْ لا تـــدَرَّقْ[4]

الـــمُوتْ تِـــدِّي والزمَـــانْ إفَـــرِّقْ فَازُوا أَمَّالي الشرقْ بيـــهْ عليْنَـــا[5]

– مـــــــشَى مَـــــــا وَلَّـــــــى هُمْ النـــصَارَى يكفـــرُوا بالْملَّـــهْ[6]

ياخِـــي حَقْـــنَا شَـــيَّـــعْ وزَادْ تْعَلَّى نربْحُـــوا لِسْتِقْـــلالْ بَاشْ إجِينَا[7]

وفي قصيدة أخرى مع الأسف عثرنا على مطلعها فقط، وهو مطلع رائع يوحي إلى شاعر أو شاعرة متمكنة، يقول:

شِيخنَا رحَلْ رحلة بعِيدَهْ طويلة مدِيدَهْ ربِّ إفَرِّجْ علِيهْ الشدِيدَهْ

والمؤكد أن هناك العديد من القصائد لم نصل إليها، دخلت طي النسيان أو لم تدون في حينها فذهبت بوفاة من نظمها.

---

[1] ولايا الله: أولياء الله والصالحين.

[2] وحشه جوّر: اشتدت وحشته، ولم يجد ما يعزم به ليرحل معه ويسكن بجواره.

[3] إندهم: نمرّ، ويشير الشاعر هنا إلى مسكنه (حوشه) الأول حيث كان يسكن بمدينة توزر التونسية، ليقترب ويجاور الشيخ الذي يدرسه.

[4] عزم مشرّق: أي رحل إلى الجهة الشرقية (تونس)، تدرق: تُخفى، أي أن نسبه لا يخفى على أحد.

[5] يعتبر الشاعر في هذا البيت أن (أمالي الشرق) ويقصد بهم أهل تونس فازوا علينا عندما نفي الشيخ الحسين إلى جوارهم.

[6] ما ولى: ما رجع، ويصف النصارى بالكفرة الذين لا يؤمنون بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

[7] بعدما يصف الشاعر النصارى وكفرهم، يصف في هذا البيت أن المؤمنين حقهم لا يضيع وأن حقنا ظهر وزاد رفعة وهو ربح الاستقلال ويعود الشيخ لبلده.

مرثيات حول الشيخ الحسين حمادي

لقد ترك الشيخ الحسين أثرا كبيرا في نفس كل من عرفه وتعامل معه، خاصة طلبته وأصدقائه وجلسائه، وكانت الصدمة كبيرة والفراغ رهيب بوفاته، فاختلفت وسائل التعبير بين الحسرة والعَبرة والكلمة الصادقة النابعة من أعماق القلب مقولبة في قصيدة رثاء.

وأوّل القصائد التي فرضت نفسها في الترتيب قصيدة من نظم "حميداتو الهادي بن صالح"[1] موضوعها دعاء وتضرع إلى الله عز وجل لينزل الشفاء للشيخ الحسين حين لزم الفراش في العشر الأواخر من شهر مارس سنة 1982، أي قبل وفاته بعدة أيام، وتقول القصيدة:

دعاء وتضرع [2]

يَا رَب يَا مُولاَيْ أُلطُفْ بِينَا ... وهَاتْ الشِفَاءْ إِلْشِيخْنَا وهَنِّينَا

– هَاتْ الشِفَاءْ مِن عِنْدَكْ ... ونَايَا طلبتْ اليُومْ رَانِي عَبْدَكْ

مْحقِقْ بِيهْ كل شِي فِي عِلْمَكْ ... وهذَا المصَباحْ اللِّي يِضْوِي عَلينَا

– رَاهُو الشِفَاءْ مِنْ رَبِّ ... وهُو اللّي يعلمْ وَاشْ مَا فِي قَلْبِي

هَازْ يَاسِرْ وجِسْمِي مْخَبِّي ... وخَايِفْ إِرُوحْ كَانْ صَدْ عَلينَا

– إن شاء الله مَا إِصُدِّشْ ... إِزُولْ الْمَرَضْ وإن شاالله مَا إِقْدِّشْ[3]

بْجَاهْ الإِلَهْ ومنْ حَيْ وقَدَّسْ ... ويَا رَبْ يَا مُولاَيْ أُشْفقْ فِينَا

– خَايْفَهْ يِتَقَّى ... وفِي ملكْ رَبِّ معدْنَاشِي ضَدَّهْ[4]

---

[1] هو حميداتو الهادي بن صالح بن عمر بن عبد الله بن حميداتو ولد بالنخلة سنة 1917، كان من طلبة الشيخ الحسين وأصدقائه، توفي رحمه الله يوم: 23 مارس 2006 بالنخلة.

[2] تسجيل مع حميداتو الهادي بن صالح بتاريخ: 16 ماي 2002.

[3] إصدش: يذهب ويختفي، إقدش: لا يقدر ويتمكن.

[4] يتقى: يختفي، ضده: نده ومثيل له.

حتّى ولْدَهْ مَا إجيشْ قــــدَّهْ ... يَا رَبْ أغفــرْ ليهْ وإغْــفــرْ لِينَــا

يَا رَب يَا مُــولاَيْ أُلطُفْ بِينَا ... وهَــاتْ الشفَاءْ إلْشيخْــنَا وهَنِّيــنَا

النخلة: السبت 03 أفريل 1982

أمّـا الشاعر الشعبي "الساسي حمادي"[1]، فقد استجاب سريعا لعاطفته الجيّاشة وانكسار وجدانه بفقدان عمّه الشيخ الحسين، فانبعثت من حالته هذه قصيدة "المصاب الجلل" بعد ثلاثة أيام من وفاة الشيخ الحسين.

المصاب الجلل [2]

رحلْ زُولْ من عندنا عَزيزْ عَلينَــا ... شُورْ بَرْ جَــافي لاَ بَقَــاشْ إجينَــا

– عَـــــزَمْ إتْعَــــدَّى ... خَلّصْ الْفــرض اللاَّزْمَــهْ لاَبُــدَّهْ

يُومْ الجمعة عشرين واسْتَنّى الْعَدَّهْ ... واثـــنين جمـادى اهــلال عَلينَــا

اثنين ســفر ثم أربعـــه في الْعَـــدَّهْ ... وآلاف من هجرة تــاريخْ نْبينَــا

– عَـــــزَمْ في شُـــــورَهْ ... نْطَصْ إنْخَفَى في نصف ربع الدُّورَهْ

كَمَّلْ أنْفَاسَهْ تَمْ بيهَــا حْـضُورَهْ ... في مُجتمعنَـــا لاَ بَقَاشـــي فِينَـــا

الله يَقبْلَهْ قبُولْ أَحْـسَنْ صُــورَهْ ... براكة كْتَابَهْ اللِّـــي نــزلْ لنْبينَــا

– عــــزَمْ في حَالَـــــهْ ... إتَقَّـــى بَابَـــايْ ســمحْ زْوَالَـــهْ

ترك إخوتَهْ مــع أســرتَهْ وعْيَالَــهْ ... تركْ الْجَمَاعَــهْ دَايْخَــهْ وحزينَــهْ

---

[1] هو الساسي بن إبراهيم بن علي بن حمادي، ولد صيف 1930 بمنطقة دوار الماء بالحدود الشرقية لوادي سوف، تقلد الشاعر عدة وظائف بعد الاستقلال، فعمل ممرضا بمستوصف الرباح من سنة 1962م إلى 1978 م، ثم موظفا بشركة سوناطراك من 1979 م إلى 1982 م، ثم انتقل إلى شركة نفطال وظل عاملا بها إلى غاية سنة 1991 م وهي السنة التي أحيل فيها على التقاعد، وهي السنة نفسها التي بدأ بها عمله حارسا مؤقتا بدار الثقافة محمد الأمين العمودي بالوادي، إلى أن اشتد به المرض فلزم الفراش في شهر أفريل 1997 م، وافته المنية يوم الجمعة 25 جويلية 1997 م عن عمر يناهز 67 سنة.

[2] القصيدة من أرشيف الشاعر الساسي حمادي المخطوط.

يَا رَبْ اخلِفْ موقعهْ بأَمْثالَهْ ... (لامينْ) هو المصباح يِضْوي عَلينَا

– عَزَمْ فِي سَاعَهْ ... دَرَّكْ عَلينَا لاَ قْدرْنَا ودَاعَهْ

حسِّيت قلبي مْرِجْ كِي الدلاَّعَهْ ... وكثرتْ أَوْجَاعَهْ مْكَبْرَهْ بِغْبينَهْ

(لامين) هو اللي يِخْلِفْ سْمِيحْ قْنَاعَهْ ... الله يرحمه اللِّي قَادْ السفينة بينَا[1]

– الله يرحمهْ قَرَّانَا ... كتَابْ رَبِّي خَالْقِي سُبْحَانَهْ[2]

وقدَّاشْ قَدَّمْ سُنْتنَهْ وبيَانَهْ ... أستَاذْ هتَفْ بالشريعة فِينَا

الله إسَكْنَهْ فسِيحْ أرض جْنَانَهْ ... الله يقبْلَهْ مْعَ الصدِّيقِينا

– الله يرحمه ويزيدَهْ ... عن قَدْ مَا تْكَرَّمْ ومَدْ من إيدَهْ

الله يجعله مْجَاوِرْ مُحَمَّدْ سيدَهْ ... في جنَّة الفردوس علِيِّينَا

لكن قلبي الْحُزنْ مْسطَّرْ بيدَهْ ... الله يَجعْلَهْ من الراضْيينْ علينَا

– الله يجعله مْسَامحْنَا ... جَوَّرْ عَلينَا إِبْفُرقْتَهْ جرَّحْنَا

إرْتَاحْ هُو أُو للرجَاء لَوَّحْنَا ... الله يجعل اللِّي يِخلْفَهْ إهَنِّينَا

إن شَاالله (لامين) بأمَانْتَهْ إِفَرْحْنَا ... نرْتَاحْ ويزُولْ الدركْ علينَا

النخلة: الأحد 18 أفريل 1982

ومن المرثيات الجميلة وبلغة راقية وبليغة ما جاء على لسان "الشيخ أحمد توبة"[3]، والتي كانت إلى وصف مناقب الشيخ الحسين أقرب منها إلى البكائية بالمفهوم التقليدي للشعر العربي

---

[1] لامين: هو الابن الأكبر للشيخ الحسين وكان يتمنى الشاعر أن يكون خليفة لوالده في إمامة المسجد.

[2] حفظ الشاعر الساسي القرآن الكريم على يد والده إبراهيم وعمه الشيخ الحسين حمادي، ويشير في هذا البيت إلى ذلك.

[3] هو الشيخ أحمد توبة إمام بقرية الجديدة، تبادل مع الشيخ الحسين الزيارات.

نم قرير العين يؤنسك الذكر ... نعم الأنيس يضاء به القبر

وعيت كتاب الله رسما وغاية ... وعلمته الأجيال بقى لك أثر

وعمرت بيت الله جل حياتك ... شيمتك النصح والحمد والشكر

مكارم الأخلاق فيك سجية ... في شخصك نبتت أصولها العشر

دين وعلم، حياء وعفة ... كرم وفاء ثم لين وصبر

صدق أمانة زدت حلما بشاشة ... بمقدم الضيف يعلو وجهك البشر

لمثلك الناس اليوم في حاجة ... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

فقدناك عزيزا وفقدك نقمة ... للعالمين وإن لم يشعروا خسروا

يرفع العلم بموت أهله ... إذا رفع التنزيل الساعة انتظروا

كنت تؤنسنا وإن بعد الداران ... لقاء القلوب له سرّ

كانت بك البلاد عامرة ... واليوم بعدك النخلة قفر

إذا غابت الشمس والليل مظلم ... يخلف ضوءها الكواكب الصغر

كلا وهل ينعش النبت طل الندى؟ ... ويثمر إذا لم ينزل القطر

والعلم غذاء العقول وماؤها ... وإذا لم يكن سيتفحل الشرّ

بنيت نفوسا للهدى داعية ... وليس ينكر فضلك حرّ

أعطاك الله خير هدية ... فزت بها دنيا وفي القيامة ذخر

طاب مثواك يا خير واعظ ... وزكّى روحك المسك والعطر

أحبك في الله إني صادق ... وحب الصالحين خير وبرّ

يجمعا الله في ظل عرشه ... إذا اشتد يوما الهول والحرّ

الجديدة: أفريل 1982

مبادرات تستحق الإشادة والتنويه

إن أهم تكريم لشخصية الشيخ الحسين هو الاعتراف بجهوده وفضله على المجتمع من الناحية العلمية والتعليمية والأخلاقية، والتعريف به وبأعماله الجليلة لجيل اليوم والأجيال القادمة، وفي ذلك تثمين لدوره وترسيخ لثقافة الاعتراف بالفضل لأهل الفضل، وتدوين المآثر لتخليدها وكتابة التاريخ الصحيح والأصيل لشخصيات جديرة بأن تكون من محاور هذا التاريخ.

وقد جاءت عدة مبادرات خلال الثلاثين سنة الماضية تصبّ كلها في هذا المنحى رأينا من الواجب ذكرها والإشادة بها، ومن أهمها:

تسمية إكمالية النخلة باسم الشيخ الحسين

جاءت تسمية إكمالية النخلة باسم الشيخ الحسين استجابة لمطلب شعبي نادى أولا بتسمية مسجد حي النخلة الشرقية بـ "مسجد الشيخ الحسين حمادي" ولم يتم ذلك بقرار رسمي إلا أن الكثير من الناس يعتمدون هذه التسمية، بل ذهب البعض إلى أبعد من ذلك حين يسمّون "حي النخلة الشرقية" بـ "نخلة الشيخ الحسين"[1] لكن بمرور الوقت وتسمية إكمالية النخلة فقد غلبت على المسجد تسمية "المسجد العتيق بالنخلة".

وفي سنة 1993 وعملا بالمرسوم الوزاري المشترك رقم: 1951/34 المؤرخ في 15 جانفي 1984 والمتضمن تسمية المؤسسات المدرسية التابعة لوزارة التربية والتعليم الأساسي، حرص السيد "بن خليفة عثمان" مدير الإكمالية آنذاك حرصا

---

[1] لم تقتصر تسمية أحياء بلدية النخلة على حي النخلة الشرقية، فقد أطلق على حي النخلة الغربية تسمية "نخلة عسيلة" نسبة إلى الشيخ عبد الكريم عسيلة، كما أطلقوا على حي النخلة الشمالية تسمية "نخلة الشاذلي" نسبة إلى الشيخ الشاذلي، وهناك من يسميها "نخلة بن ماضي" نسبة إلى الشيخ محمد بن ماضي رحمه الله الذي عمل إماما ومدرسا بمسجدها لأكثر من ثلاثين سنة.

شديدا على اقتراح تسمية المؤسسة باسم "الشيخ الحسين حمادي" بعدما درس سيرته واكتشف جهوده في مجال التعليم القرآني والتعليم الديني والعام، وعرض المقترح على رئيس المندوبية التنفيذية لبلدية النخلة السيد "العايش غنبازي" ليجسد هذا الأخير المقترح في مداولة تحت رقم: 15 بتاريخ 06 أفريل 1993، ثم صادق عليها رئيس دائرة الرباح السيد "محمد شرشالي" تحت رقم: 604 بتاريخ 04 ماي 1993، ثم موافقة السيد مدير التربية لولاية الوادي "طاهر خليل" بتاريخ: 03 جويلية 1993، لينتهي الإجراء بصدور قرار التسمية رقم: 1994/315 عن السيد والي ولاية الوادي بتاريخ: 23 جانفي 1994، والقاضي أن تكون التسمية كالآتي:

المدرسة الإكمالية الشيخ الحسين حمادي بالنخلة.

وفي يوم السبت 06 ذي القعدة 1414هـ الموافق لـ 16 أفريل 1994، وبمناسبة إحياء احتفالات عيد العلم أقيم حفل تكريمي للشيخ الحسين والإعلان الرسمي على التسمية الجديدة.

مقترح ترسيم تظاهرة ثقافية دورية باسم الشيخ الحسين

وهي مبادرة تقدم بها مجموعة من الشباب بعدما شكلوا لذلك لجنة عمل وتحضير أعدّت بطاقة فنية[1] وبرنامجا للتظاهرة وكل التفاصيل المتعلقة بها، على أن تحمل اسم الشيخ الحسين ويكون الشخصية المحورية دراسة وتاريخا، وقد اختارت هذه اللجنة بلدية النخلة لتبني ورعاية التظاهرة وبالتنسيق مع بيت الشباب بالنخلة ومع كل من يريد أن يكون طرفا فاعلا.

---

[1] تحصلنا آنذاك على نسخة من البطاقة الفنية لهذه التظاهرة، وهي محفوظة في أرشيفنا إلى اليوم، وهي بطاقة تتضمن كل التفاصيل لتظاهرة ثقافية جديرة بالدراسة، وقد ركزت على ثلاث نواحي هي: الناحية الثقافية، الناحية التاريخية، والناحية الإبداعية.

وقد قدمت هذه اللجنة ممثلة في منسقها طلبا رسميا مرفوقا بالبطاقة الفنية لهذه التظاهرة بتاريخ: 30 جانفي 1999 إلى بلدية النخلة لدراستها وتعديلها ثم الرد عليها وفي متسع من الوقت يصل إلى ثلاثة أشهر، لأن التاريخ المقترح لإقامة النشاط هو 29 و 30 أفريل و الفاتح من ماي 1999، لكن لا ندري الأسباب التي حالت دون إقامة هذا النشاط.

وإذ نذكر هذا ليس من باب اللوم أو المعاتبة لأحد، لأننا نجهل أصلا المبررات والموانع التي وقفت دون التنفيذ، لكن نريد أن نُظهر مدى حرص الشباب لنفض الغبار على ملف يحمل تاريخ الشيخ الحسين والاعتراف بفضله كرجل علم وجهوده ومساهمته في الحركة الوطنية والثورة التحريرية الجزائرية الكبرى.

تكريم الشيخ الحسين وتصنيفه ضمن أعلام ولاية الوادي والجزائر

لقد بادرت مديرية الثقافة لولاية الوادي سنة 1999 بجمع كل المعلومات المتعلقة بالشيخ الحسين حمادي وتكوين ملف شامل حوله، ثم تصنيفه ضمن أعلام منطقة "سوف" والجزائر، وهو عمل جليل في جانبه الإداري وطابعه الرسمي والتوثيقي، وقد تجسد هذا التصنيف في كتاب على شكل دليل تحت عنوان "أعلام سوف" أصدرته دار الثقافة لولاية الوادي لاحقا سنة 2006 جاء فيه ترجمة الشيخ الحسين[1].

ثم جاءت المبادرة الثانية لقطاع الثقافة بولاية الوادي ممثلا في دار الثقافة ومديرية الثقافة والمتمثلة في اقتراح الشيخ الحسين حمادي ضمن الشخصيات المكرمة بفعاليات الاحتفالات

---

[1] يلاحظ أعلام سوف، إعداد مديرية الثقافة لولاية الوادي، إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، مطبعة مزوار سنة 2006، ص: 24 و 25.

بعيد العلم لسنة 2000، وقد لقي هذا المقترح قبولا وترحيبا لدى والي ولاية الوادي الذي رعى التظاهرة التكريمية لثلاثة أعلام وهم: الشيخ الحسين حمادي، الأستاذ المربي عمراني إسماعيل، والأستاذ مسعود مناعي.

وقد كان لهذه التظاهرة الأثر الطيب والإيجابي خاصة في جانبها الدراسي والبحثي في جهود المكرمين، وعلى مدى أربعة أيام: من 13 إلى 16 أفريل 2000، بدار الثقافة لولاية الوادي، كان نصيب الشيخ الحسين فيها محاضرة مفصلة حول حياته وجهوده في التعليم والثورة، ألقاها تلميذه الأستاذ "بن علي الضيف"، مع عرض لبعض وثائقه الخاصة.

الندوة الفكرية الأولى الشيخ الحسين حمادي

وهي مبادرة بادرت إليها "جمعية الكوثر الثقافية والاجتماعية" بالتنسيق مع بيت الشباب بالنخلة في شهر جانفي سنة 2006، وشُكل لهذا الغرض لجنة تحضيرية اجتمعت عدة مرات، وفريق بحث تكفل بتحضير الملفات الخاصة بالشيخ الحسين وجميع الملفات المتعلقة والتي تدور حول محاور الندوة، ووصلت عملية التحضير إلى غاية البحث على مساهمين وداعمين لهذه الندوة.

وقد وافق رئيس المجلس الشعبي البلدي بالنخلة على رعاية هذه الندوة بتاريخ: 18 مارس 2006، وذلك ردًا على طلب وُجه له من طرف "جمعية الكوثر الثقافية والاجتماعية" واللجنة التحضيرية للندوة لرعايتها.

ولم ندر ما الذي حدث في الفترة الفاصلة بين التحضير وفترة التنفيذ المقررة في شهر سبتمبر 2006، ولم ينفذ النشاط، فلعله ركود الصيف، ولعله المال، والأرجح أنه المال فالجانب

المادي له دخل كبير، خاصة وأن الجمعية كان لها طموح بأن يكون للندوة بُعد محلي ووطني.

وإن شاءت الأقدار أن لا تتم الندوة الفكرية الأولى الشيخ الحسين حمادي، فإنه يكفي الإشادة بقناعة الجمعية وإيمانها بجهود علم من الأعلام واجتهادها بأن تفعل شيئا يسهم في تعريف الخلف بما فعل السلف.

جائزة الشيخ الحسين حمادي للقرآن الكريم

وهي جائزة استحدثتها بلدية النخلة في رمضان سنة 1429هـ الموافق لـ سبتمبر 2008م في طبعتها الأولى وأصبحت دورية سنوية تحمل اسم الشيخ الحسين كلمسة اعتراف وتكريم لجهوده التي بذلها من أجل التعليم القرآني وتفانيه في خدمة كتاب الله، وما وصل إليه في عدد المتخرجين والحفظة، حتى غدت بلدية "النخلة" تسمى "بلدة القرآن".

وتهدف الجائزة إلى تشجيع حفظة القرآن من مختلف الأصناف (ربع القرآن، نصف القرآن، والقرآن كاملا)، وتجري على عدة أطوار طيلة شهر رمضان بمختلف مساجد البلدية، لتنتهي بالدور النهائي في ليلة القدر وتتويج الفائز، ويتخلل هذا الدور عدة نشاطات موازية أهمها المحاضرات وتكريم تلاميذ الشيخ الحسين ومعلمي القرآن الكريم.

إنتاج حصة إذاعية خاصة بالشيخ الحسين

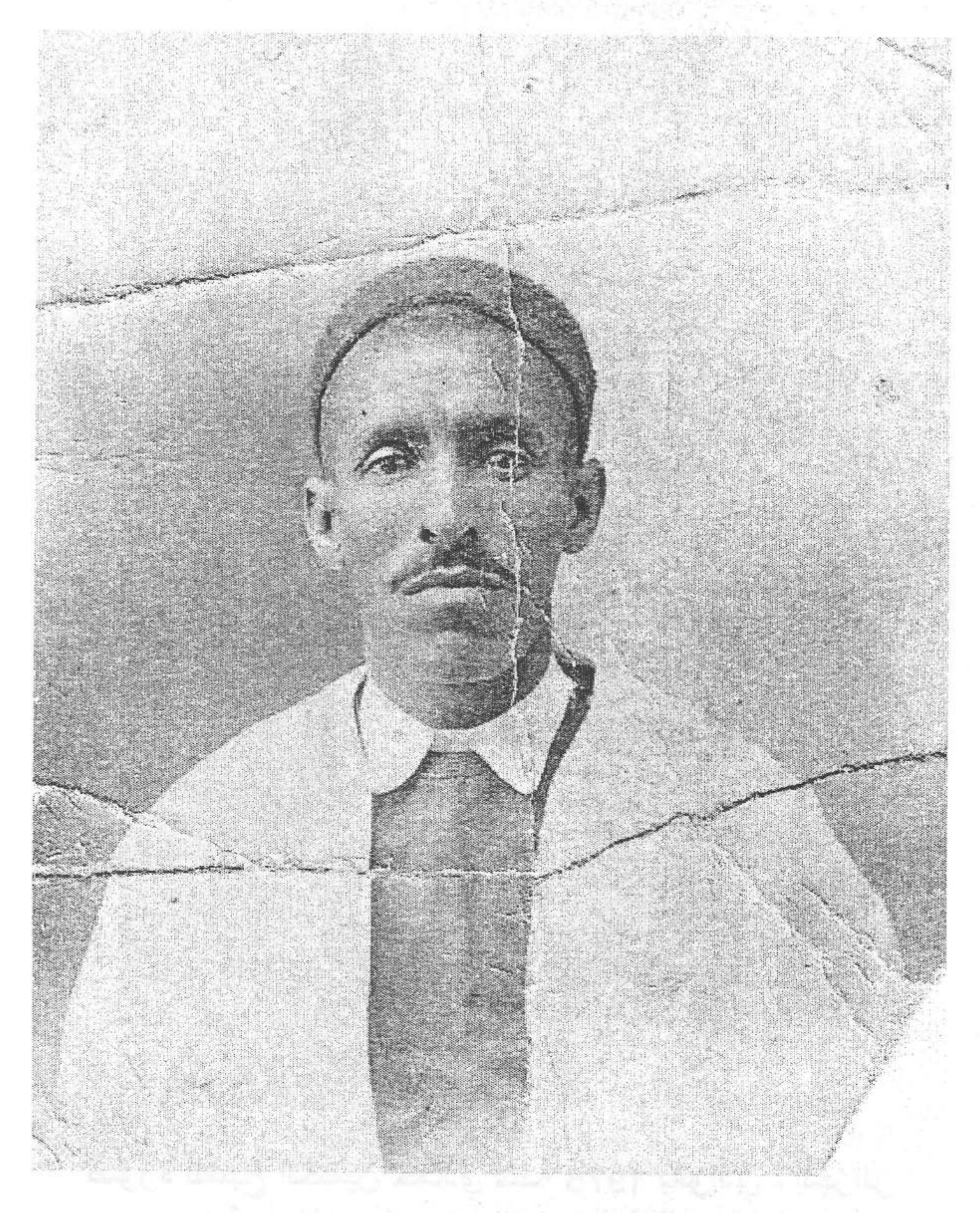
وهي حصة تحت عنوان "أسماء في الذاكرة" خصصت للتعريف بالشيخ الحسين حمادي في أربع حلقات أسبوعية متتالية بُثت ابتداء من تاريخ: 27 أفريل 2007، وقد اجتهد منتجها ومقدمها "الحافظ بن خليفة" في إعطاء الرجل حقه، والإلمام بكل

تفاصيل حياته وجهوده التعليمية والعلمية وأخلاقه ومناقبه من خلال اتصالاته المكثفة بتلاميذ الشيخ الحسين وأصدقائه وكل من يملك حقائق ومعلومات حوله.

وقد وثقت هذه الحصة مجموعة من المعلومات المهمة على شكل تسجيلات لأناس مهمين جدا، فيهم الآن من رحل عنّا رحمه الله، فغدت مرجعا مهما لأي دراسة أو بحث حول الشيخ الحسين حمادي.

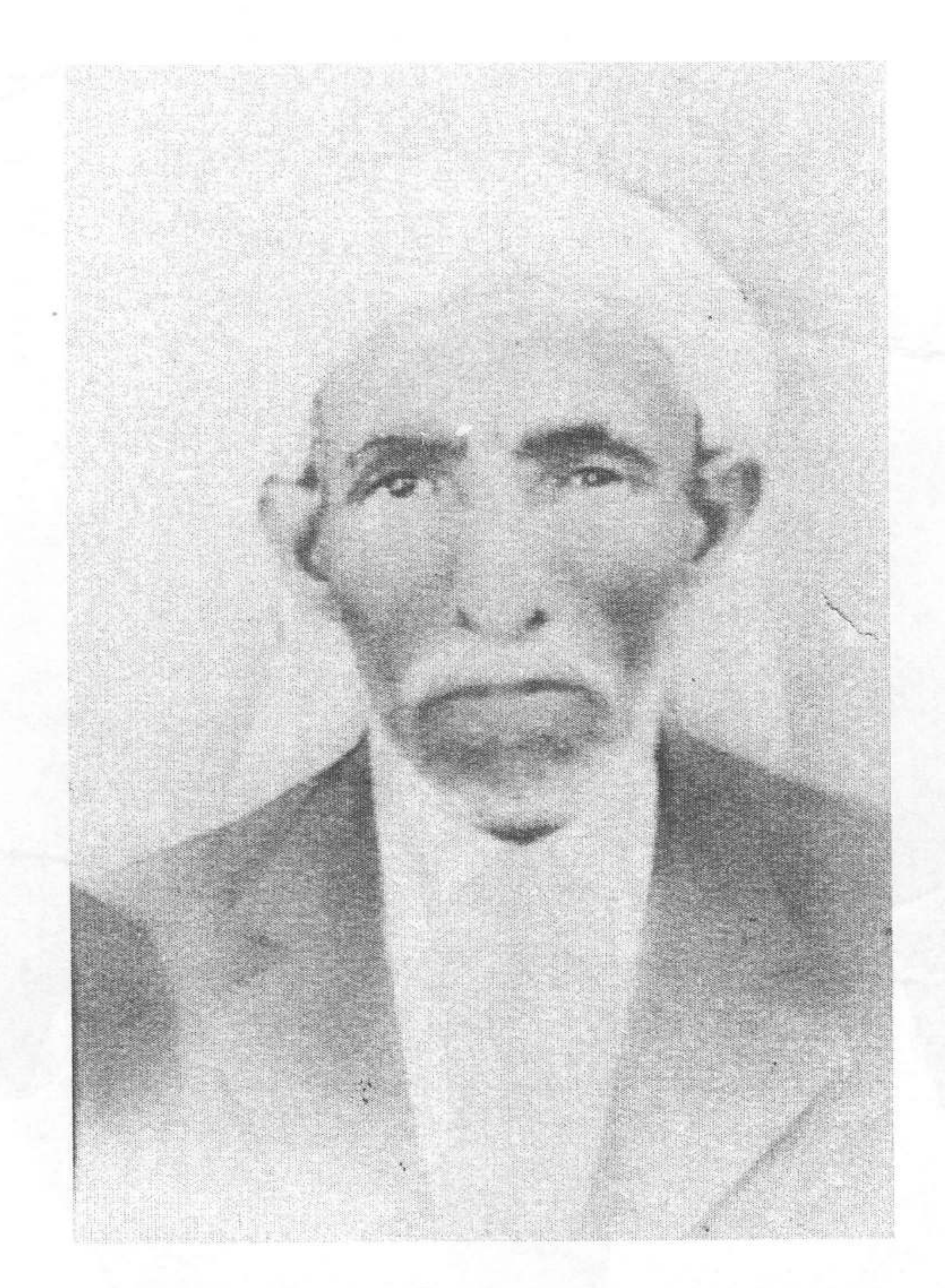
الـملاحق

الملحق رقم 01



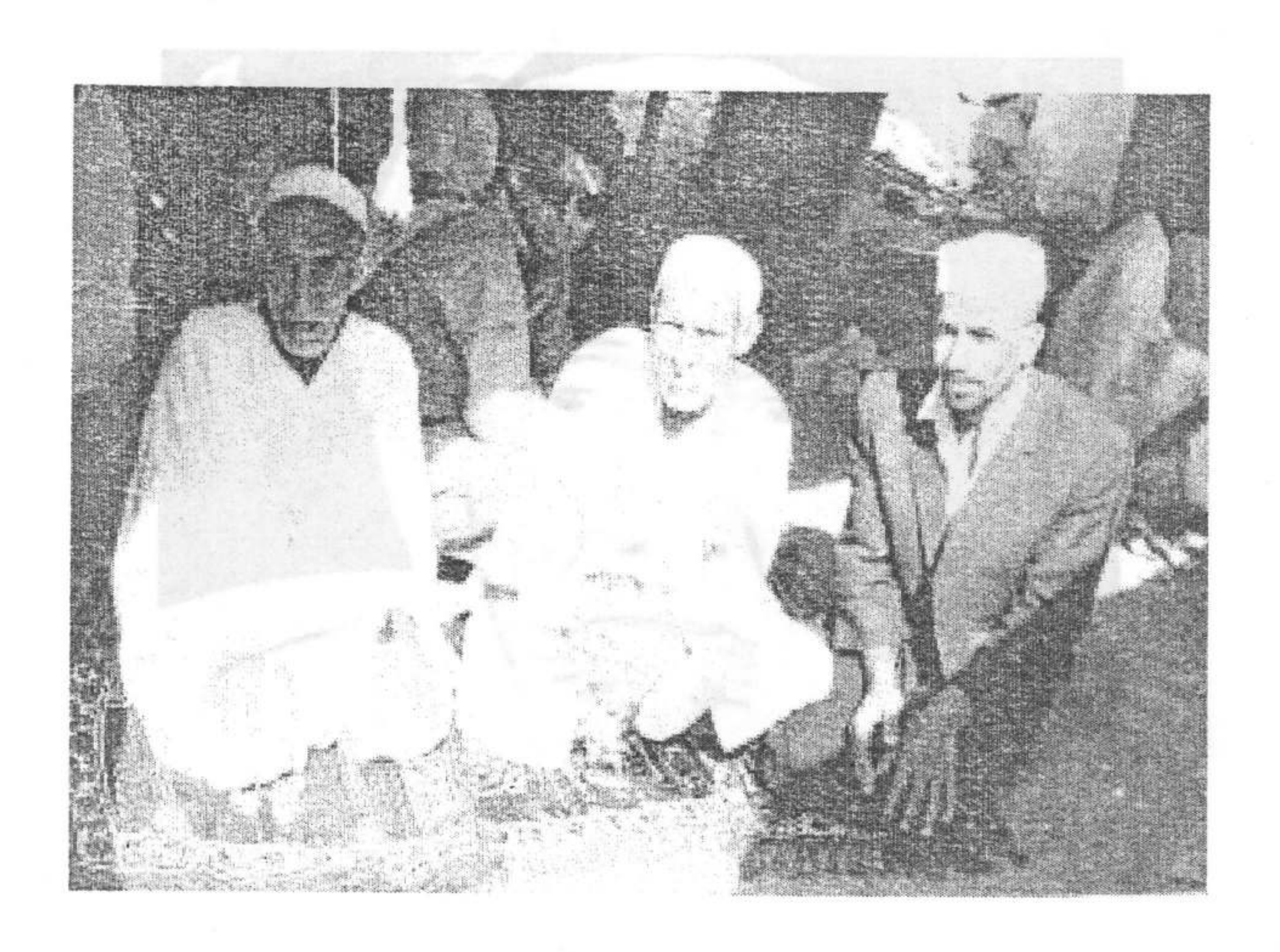
صورة للشيخ الحسين حمادي سنة 1932 بالزيتونة - تونس

الملحق رقم 02



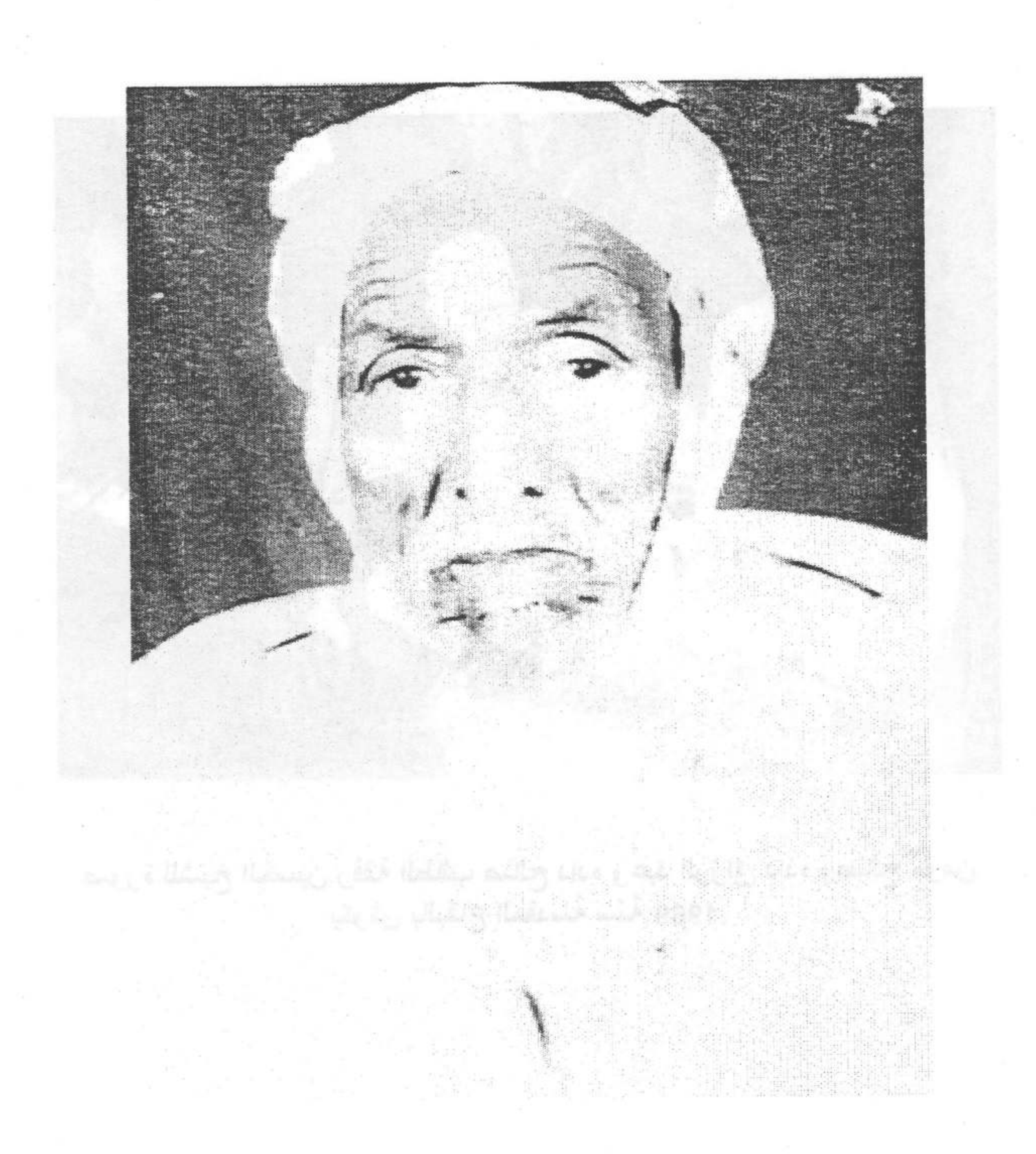
صورة للشيخ الحسين حمادي سنة 1975 بالوادي - الجزائر
وقد أدخلت عليها تعديلات من طرف رسام

الملحق رقم 03



صورة للشيخ الحسين رفقة الطالب صالح داده وعبد الرزاق داده وصالح مومن بكوش بالبقاع المقدسة سنة 1969.

الملحق رقم 04



صورة للشيخ الحسين حمادي سنة 1982 بالوادي - الجزائر

الملحق رقم 05



صورة للمسجد العتيق بالنخلة (مسجد الشيخ الحسين حمادي) سنة 1969.

الملحق رقم 06

٣

اسم الكتاب	تصحيح الشيخ	ساعته	الشهادة التلميذ الحسين بن علي السوفي
[illegible]	[illegible]		[illegible]
	[illegible]		[illegible]
	[illegible]		[illegible]
	[illegible]		[illegible]
	[illegible]		[illegible]
	[illegible]		[illegible]
	[illegible]		[illegible]
	[illegible]		[illegible]

صورة للصفحة الثالثة من دفتر التقييم والمتابعة بالزيتونة لسنة دخول الشيخ الحسين لها سنة 1350هـ، ويظهر اسمه في الأعلى "الحسين بن علي السوفي"، وإمضاء شيخه "محمد الحطاب بوشناق"

الملحق رقم 07

٩

اسم الكتاب	تصحيح الشيخ	ساعته	الشهادة للتلميذ [illegible]
			الحمد لله أنتج اختباره أنه من [illegible] السنة الثانية من المرتبة المتوسطة [illegible] ١٣٥١ [illegible] ١٩٣٢ الأستاذ [illegible]
			[illegible] صاحب هذا الدفتر [illegible] ١٣٥١ [illegible]

صورة للصفحة التاسعة من دفتر التقييم والمتابعة بالزيتونة بتاريخ 09 جماد الثانية سنة 1351هـ الموافق لـ 09 أكتوبر 1932م وفيها انتقال الشيخ الحسين إلى السنة الثانية من المرتبة المتوسطة، إمضاء الشيخ "محمد العزيز النيفر"

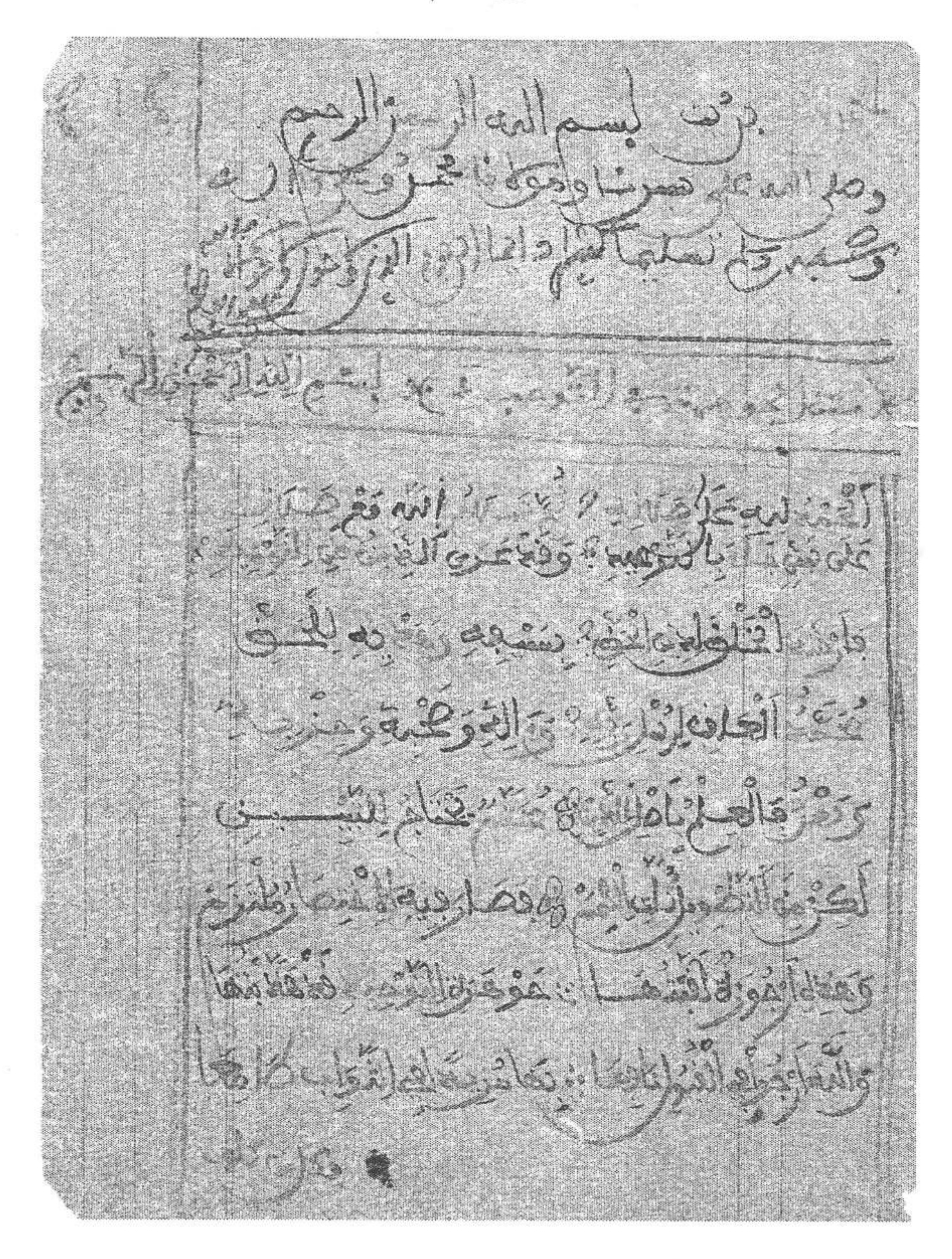
الملحق رقم 08

17 جانفي 1968

الحمد لله اشهد على نفسه سوفية الهادي
وهو بحالة جائزا شرعا بانه باع الى الحاج
المسعي مسعي بن محمد قطعة التراب التي له
على ملكه بريسم بعشر على بثمن خمسة واربعين الف
فرنك واعترف البائع بقبضها وهي محدودة
من جميع الجهات بحد عقيب وقبلة قطعة
ابناء خليفة بن باحه وجوفا المشتري مسعي
الحاج وشرقا ايضا الحاج المذكور كما شهد
بها ذكر حمادي الحسين وفرح عبد الكريم
وافويد رشيد العيد بالي وحرزو في جيلاني
وبشير الشريكي ونسي الاخضر بفاص
شهد وانا الحسين حمادي الحسين بان
التراب المشتري من سوفية الهادي
بن علي بن خليفة وعبد الرزاق المسعي
على السواء

جزء من محضر اتفاقية بيع قطعة أرض بإشراف وتحرير الشيخ الحسين بتاريخ: 17 جانفي 1968.

الملحق رقم 09



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد

من مقتنيات الشيخ الحسين المخطوطة "الجوهرة في التوحيد"

الملحق رقم 10

إذا أردت [illegible] .:. وكتبت أسماء سادة أعيان

[illegible] .:. [illegible]

[illegible] أصحاب .:. رسول الله وله أحباب

عثمان علي [illegible] .:. [illegible]

زيد ابن ثابت [illegible]

[illegible] الأخيار

نموذج من نظم الشيخ الحسين حمادي بخط يده

الملحق رقم 11

[illegible]

أما بعد [illegible]

[illegible]

[illegible] أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه [illegible]

[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] والله على كل شيء قدير

[illegible]

رسالة وعظ بخط الشيخ الحسين حمادي رحمه الله

المصادر والمراجع

المطبوعة

- الشيخ عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، سنة 1994.
- تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1975.
- محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1971.
- زغيدي محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 1989.
- الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830- 1956، دار المعارف للطباعة والنشر تونس، الطبعة الثانية 1990.
- الطاهر الحداد، التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة، تقديم وتحقيق محمد أنور بوسنينة الدار التونسية للنشر، 1981.
- د. عمار طالبي، آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية، ط 3 سنة 1997، ج1، مجلد 2.
- تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر ، م و ك ، الطبعة الرابعة سنة 1984.
- حمادي الساحلي، فصول في التاريخ والحضارة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992.
- د. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3 عيون البصائر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1997.
- الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ط 2، سنة 1992، ج 6.
- معجم أجمل ما كتب شعراء العربية، حامد كمال عبد الله حسين العربي، دار المعالي ودار الدولية، الطبعة الأولى سنة 2002.

- ديوان الإمام الشافعي، جمع وتحقيق وشرح د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة 1992.
- المجاهد عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، دار البعث قسنطينة الجزائر، ط1 سنة 1991، ج1.
- سعد العمامرة، الجيلاني العوامر، شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، مطبعة النخلة.
- الأستاذ السعيد ديدي، علم سوف الشيخ أمحمد التجاني، لا توجد المطبعة أو دار النشر.
- أعلام سوف، إعداد مديرية الثقافة لولاية الوادي، إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، مطبعة مزوار سنة 2006.
- يحي بن شرف النووي، آداب الفتوى والمفتي والمستفتي، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق، ط1، سنة 1988.
- مفكرة نهاية القرن العشرين، المطبعة العصرية، 2000/1999.

المخطوطة

- الأستاذ علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر (هـ)، التاسع عشر (م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر 2001/2000.
- محاضرات الندوة الفكرية 11 محمد الأمين العمودي، المنعقدة بالوادي أيام: 15 إلى 17 أفريل 1998.
- الأستاذ: محمد السعيد عقيب، محاضرة بعنوان جمعية الشباب السوفي الزيتوني، الندوة الفكرية الخامسة عبد القادر الياجوري بقمار أيام: 24 و 25 و 26 ماي 2006.
- المجاهد علي عون عضو الأمانة الولائية للمجاهدين مكلف بالإعلام والتاريخ، محاضرة: مساهمة وادي سوف في تفجير الثورة، ألقيت في إطار أشغال الندوة الفكرية الخامسة محمد الأمين العمودي أيام: 29 و 30 أفريل و1 و 2 ماي 1992، بدار الثقافة بالوادي.
- المجاهد علي عون، محاضرة بعنوان: في رحاب شهداء سوف لرمضان 1957، في إطار إحياء الذكرى الأربعين لشهداء رمضان، دار الثقافة محمد الأمين العمودي بتاريخ: 24 و 25 أفريل 1997.

- وثيقة صادرة عن نقابة الأشراف بتونس تحتوي على نسب العزازلة وشجرة العزال التي تصل إلى حسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهي محررة من طرف محمود محسن نقيب السادة الأشراف بحاضرة تونس بتاريخ: يوم الخميس 06 صفر 1373هـ الموافق لـ: 15 من أكتوبر 1953، ومصادق عليها من طرف وزارة العدل التونسية.
- دفتر المتابعة الشهرية وكشف التقييم الخاص بالحسين بن علي السوفي بجامعة الزيتونة من سنة 1350هـ / 1931م إلى 1351هـ / 1933م.
- رسالة كتبها الشيخ الحسين لنجله بوبكر مؤرخة بتاريخ: يوم السبت 19 ربيع الأول 1401هـ الموافق لـ 24 جانفي 1981م.
- رسالة بعث بها الشيخ الحسين لابنه الأمين، بدون تاريخ، لكن الأرجح أنها تعود لسنة 1963، عندما كان الأمين في صفوف الجيش الوطني الشعبي.
- رسالة بعث بها الشيخ الحسين لابنه الأمين مؤرخة في: شهر شعبان 1382هـ الموافق لـ شهر جانفي 1963م
- رسائل الدكتور محمد نجيب العمامي أستاذ محاضر في الأدب العربي الحديث والنقد الأدبي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سوسة، تونس، بتاريخ: 07 أفريل 2012، و 03 جويلية 2012.
- الموقع الرسمي لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية: http://www.marwakf-dz.org
- Registre Matricule des élèves admis a l' Ecole / Année Scolaire: 1960/1961

المجلات والدوريات

- المجلة الزيتونية عدد محرم 1356هـ / مارس 1937م، المجلد الأول، الجزء السابع.
- المجلة الزيتونية عدد محرم 1357هـ / مارس 1938م، المجلد الثاني، الجزء السادس.

- المجلة الزيتونية عدد صفر 1357هـ / أفريل 1938م، المجلد الثاني، الجزء السابع.
- المجلة الزيتونية، عدد: شوال 1356 هـ / ديسمبر 1937م، المجلد الثاني، الجزء الثالث.
- حسونة المصباحي، جريدة العرب عدد الخميس 03 جمادى الثانية 1430هـ الموافق لـ 28 ماي 2009م / السنة 31 العدد 8216.
- الأستاذ محمد الحبيب الباهي، صحيفة الشروق التونسية بتاريخ: 03 فيفري 2009.
- مجلة الشهاب، الجزء الأول من المجلد الثاني عشر، محرم 1355هـ / أفريل 1936م.

التسجيلات

- حصة أسماء في الذاكرة، إنتاج إذاعة الوادي الجهوية وتقديم الحافظ بن خليفة، وهي حصة أسبوعية في أربع حلقات خاصة بالشيخ الحسين حمادي، بثت ابتداء من شهر أفريل 2007.
- زواري الصادق بن البشير، تسجيل فيديو بتاريخ شهر أوت 1998، بمنزله بالرباح، حوار وتسجيل الأستاذ: طليبة بوراس.
- تسجيل مع حميداتو الهادي بن صالح بتاريخ: 16 ماي 2002.
- الأستاذ علي بن الزاكي بن الحاج الصادق بن أحمد بن علي العمامي، اتصال هاتفي بتاريخ: 14 أفريل 2012.
- الأستاذ عمر بن الكامل بن أحمد بن علي العمامي، اتصال هاتفي بتاريخ: 11 أفريل 2012.

اللقاءات الشفوية

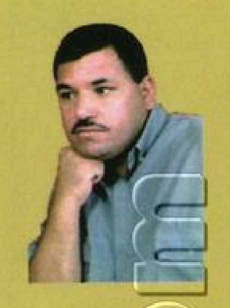
- لقاء مع الشيخ الحسين حمادي يوم الأحد 15 ماي 1977، أجراه معه الأستاذ عبد الرزاق داده.
- مجموعة من اللقاءات مع الأمين حمادي نجل الشيخ الحسين حمادي ابتداء من تاريخ: 31 مارس 2006.
- لقاء مع الطالب الطاهر بقاص الجمعة: 23 مارس 2007.

- لقاء مع الأستاذ خليفة حمادي بتاريخ: 22 جوان 2008.
- لقاء مع محمد زايد بتاريخ: 13 جوان 2008.
- لقاء مع تلميذ الشيخ الحسين الإمام الطاهر حميداتو يوم الثلاثاء 15 جويلية 2008.
- لقاء مع العيد عقيب بن الهادي بتاريخ: 04 مارس 2009.
- لقاء مع بوبكر حمادي نجل الشيخ الحسين بتاريخ: 21 مارس 2009.
- لقاء مع الأستاذ بن علي مسعود بتاريخ: 05 أفريل 2009 بمدينة عنابة.
- لقاء مع الشيخ محمد الكبير خالدي يوم: 04 جوان 2009.
- لقاء مع الحاج المولدي داده بن الصادق يوم: 25 جوان 2009.
- لقاء مع علي حمادي نجل الشيخ الحسين بتاريخ: 28 جوان 2009.
- لقاء مع الأستاذ عبد الرزاق داده يوم: 13 نوفمبر 2009.
- لقاء مع الشيخ عبد القادر مرزوقي يوم: 29 مارس 2010.
- لقاء مع الشيخ عبد القادر مرزوقي يوم: 23 ماي 2010.
- لقاء مع عبد القادر مرزوقي يوم: 23 ماي 2010.
- لقاء مع الأستاذ البشير بقاص يوم: 28 ماي 2010.
- لقاء مع العربي عبيد أحد إطارات المعهد الإسلامي بتاريخ: 25 جوان 2010.



الفهرس

الفصل الخامس



المؤلف

- هو بن علي محمد الصالح بن خليفة
- من مواليد 1965 بالنخلة ولاية الوادي.
- خريج المعهد التكنولوجي للتربية بجيجل.
- فنان تشكيلي وكاتب.
- أقام العديد من المعارض المحلية والوطنية والدولية.
- نشر الكثير من أعماله الفنية والأدبية بالصحف الوطنية.
- حاصل على عدة جوائز ولائية في الفن التشكيلي.
- حاصل على جائزة وطنية في الفن التشكيلي.
- حاصل على جائزة وطنية في قصة الطفل.
- حاصل على جائزة وطنية في البحث التربوي.
- حاصل على جائزة وطنية في كتابة المقال الصحفي.
- متحصل على عضوية الديوان الوطني لحقوق المؤلف.
- عضو بالمجلس الولائي للثقافة بالوادي (2000 - 2005)
- مصنف ضمن موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين.
- مهتم بالبحث وتدوين الأدب الشعبي له مؤلفات في ذلك.

صدر للمؤلف

- الرسام الصغير (سلسلة تربوية لتعليم الرسم والخط العربي)
- 1500 مثل وحكمة شعبية من وادي سوف.
- الألغاز الشعبية في وادي سوف.
- في ربوع الجزائر (قصة مصورة للأطفال).
- مفكرة نهاية القرن العشرين (بالاشتراك).
- الواضح الجلي في تاريخ أولاد مبروكة وشجرة بن علي.
- الشاعر الشعبي الساسي حمادي حياته ومختارات من أشعاره.
- من روائع الشاعر الشعبي علي عناد.
- عبد الرزاق شوشاني شاعر الوطن والبادية.
- الموسوعة السوفية للأمثال والحكم الشعبية.
- الألغاز الشعبية بوادي سوف (دراسة ومدونة).


ISBN 993136019-4
9 789931 360193

